







32101 057496976

Princeton University Library

This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or re-  
new by this date.

--	--



التفسير  
الكتاب الله المنير

الجزء الثالث

بقلم: محمد الكرمي

Daftar  
inv. # 73/1/10/12

\* ( سورة المائدة ) \*

وهي مدنية الآ قوله اكملت لكم دينكم فانه نزل والنبي (ص) على راحلته في حجة الوداع عدد آياتها عند الأكثرين ١٢٢ آية وجاء في الآثار ان القرآن كان ينسخ بعضه بعضا وإنما يؤخذ بحكم اذا أمر رسول الله (ص) بأخذه وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء ولقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى كادت سرتها تمس الأرض وأغمى على رسول الله (ص) حتى وضع يده على رأس شيبه بن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن رسول الله (ص) فقرأ علينا سورة المائدة وورد عن الباقر عليه السلام من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس ايمانه بظلم ولا شرك ابدا وعن الصادق عليه السلام قال نزلت المائدة كملا ونزل معها سبعون الف ملك .

\* ( بسم الله الرحمن الرحيم : يا أيها الذين آمنوا

أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام الآ ما

يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله

يحكم ما يريد ) \*

العقد هو الشدّ سواء كان في المعنويات كعاقدة الأنسان لنفسه على الالتزام بفعل شيء او تركه وينسلك مع المعنويات معاقده مع غيره على شيء بلفظ كبعث مثلا او بعمل جوارحي كصفقه على يده ربطا للمعاملة ام في الماديات كشدّ طرفى الحبل ولا شك ان منظور الشرع افعال المكلفين من حيث ما يترتب عليها من اثر فلا ربط لذلك بمثل شدّ

طرفى الحبل والشارع فى معاملات الناس بلا استثناء ليس بمؤسس لان الحياة كانت تضطرّ الأنسان بحكم معيشته الى ان يعاقد غيره بحلف او نكاح او اجارة ونظير ذلك .

فالأنسان اداء لما تريده المعيشة منه ما كان يلتفت الى شىء سوى تأمين مقاصده والشرع امضى للعرف ما هو عليه الا الباطل منه فقد حذفه من نظام الحياة وحرّمه كبيع المجانين والاطفال والربا والكالى بالكالى ونظير ذلك ممّا هو مدوّن فى الفقه فأفوا بالعقود يتناول كل عقد الا ما اخرجه الدليل فما ليس عليه دليل واضح مخرج يبقى فى دائرة العموم الذى يجب الوفاء به وهو المشى على طبقه ويفيد ذلك حرمة نكته تكليفا والبهيمة هى الدابة ذات الاربع بما يسع عنوانها من مصاديق وانما سميت بهذا الأسم لأنّها لا تميّز الضارّ من النافع والعدوّ من الصديق والحسن من السيء الا ما فتحته لها الصدف كفرار الهرة من الكلب والشاة من الذئب ونحو ذلك وكأنّه مأخوذ من البهمة وهى ابهام المطلب .

والأنعام حسبما يستفاد من منبع اشتقاقها انها الحيوانات التى انعم الله بها على الانسان ليستفيد منها وان كان معناها فى متفاهم العرف هو الأبل والبقر والغنم وعلى ما استفدناه تشمل كل حيوان يؤكل او يركب فتتناول حتى الوحشى ممّا يؤكل والآية تفيد هذا المعنى بل ممّا فيها من الاستثناء بقوله الا ما يتلى قد يستفاد ما هو اعم وهو كل ذوات الاربع من الأنس والوحش والذى يتلى مبهم يسرى ابهامه الى المستثنى منه فلا يعلم ما هو الحلال ولا بد ان يكون بيان ذلك غير متأخر عن وقت الحاجة .

وغير محلّى الصيد حال من قوله أحلّت لكم اى حال كونكم غير محلّى

RECAP

BP130

4

K376

1981

JUN '3



التفسير ج ٣ الشهر الحرام وشيء من احكام الاحرام ٣  
 الصيد وانتم فى حال احرام بحج او عمرة وحرم جمع حرام بمعنى المحرم  
 اى لا بس الاحرام فان من محرّماته فى الشريعة تناول الصيد ، ان الله  
 يحكم ما يريد لا تشهياً قطعاً لان التشهى قبيح على الحكيم وانما  
 احكامه على وفق المصالح الداعمة لها .

\* ( يا ايها الذين آمنوا لا تحلّوا شعائر الله ولا

الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين

البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا

واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمكم شأن قوم

ان صدّوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على

الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد

العقاب ) \*

أحلّه يحلّه اذا اتخذه حلالا يعنى جائزا مباحا والشعائر جمع  
 شعيره وهى المعالم اى مواقع احترام الله كالتكاليف كلها ويندرج فيها  
 مناسك الحج والشهر الحرام هو الزمان الذى حرم الله فيه القتال ولو  
 كان بحق كالجهاد والدفاع والألف واللام فى الشهر الحرام للجنس  
 يشمل عموم الا شهر الأربعة رجبا وذا القعدة وذا الحجة والمحرم  
 والهدى ما يذبحه او ينحره الحاج والقلائد جمع قلادة وهى الهدى  
 نفسه اذا كان مقلدا بما يشعر انه هدى وأم يؤم اذا قصد والآم  
 القاصد والفضل هنا هو الرزق من تجاره وغيرها وجرمه حمله والشأن  
 الثعلبان هو البغض والصد هو المنع والعدوان هو التجاوز غير

المشروع .



ومفاد الآية خطاب للمسلمين انهم لا يجوز لهم ان لا يعيروا حرمت الله بالا او يتساهلوا فيها بل يجب عليهم احترامها والوقوف عند حدودها التي رتبها الله سبحانه وعينها كما لا يجوز لهم ان يستبيحوا القتال في الأشهر الحرم حتى للمشركين ولا ان يحولوا بين الهدى ومحله الذي يجب ان يبلغه حتى لو كان ذلك من انسان يستحلّون ماله وهكذا لا يجوز لهم منع القلائد عن وصولها الى محلّها او اخذها لأنفسهم ولو كانت لغير مصون وذكر القلائد بعد الهدى ذكر خاص بعد عام وقد يكون النهى لأجل ما قلد الهدى به من نعل يستفاد من لبسه او حبل او غير ذلك فهذا حرام اخذه ايضا كما لا يجوز للمؤمنين ان يقفوا امام الآمين لبيت الله الحرام ولو لم يكونوا مسلمين اولئك القاصدون لهذا البيت بداعي استفادة فضل ورزق من طريق تجارة وغيرها وبداعي رضوان الله عليهم فيما يحسبون ان حجبهم مع الشرك بالله مثير لهم من لدنه اثمارة معنوية وهذه المطالب التي ذكرناها من حرمة الحيلولة امام الهدى المساق لمحله او اخذه من يد صاحبه استحلالا لماله لانه غير مصون بكفره وهكذا القلائد وهكذا الوقوف امام حجّاج المشركين لا مجال لها مع قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا .

اما اذا حملناها على عمومها بما يتناول الهدى بما هو والقلائد بما هي والآمين لبيت الله بما هم فآنها وان سلمت من النسخ بما ذكر وكانت من المحكمات الا ان المناهى فيها تكون تأكيدية للعمومات الواردة في حرمة مال المصون والتعدّي عليه والوقوف امام وجهه بدون مجوّز مشروع .

وقوله واذا حللتم فاصطادوا اصحار بالمفهوم الذي افاده قوله

سابقا غير محلّى الصيد وانتم حرم ، قوله ولا يجرمكم شأن قوم معناه ولا تحملكم عداوة اناس صدّوكم سابقا عن دخول المسجد الحرام وهو عام الحد يبيّه على منعهم عن دخوله وهذا ايضا ان أريد به المشركون فقد نقض بقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان اريد به ما هو اعمّ يعنى لو أنّ اناسا كانوا صدّوكم عن المسجد الحرام سابقا وأسلموا بعد ذلك فإنه لا يجوز لكم ان تمنعوهم كما منعوكم فأنهم ان فعلوا باطلا فان المؤمن لا يجوز له ان يفعله كان مفاد ذلك يحكما غير منسوخ .

ثم انه سبحانه امر جميع المؤمنين بالتعاون والتساند على فعل كل معروف وخير كائنا ما كان وفعل كل ما يوجب تقوى الله والبعد عن محرّماته وما لا يرضاه كما نهاهم عن التجمع والتعاون على كل مآثم كائنا ما كان وعن كل تجاوز على حقوق الأعيار المصونين من ناحيته تعالى وما وما لا وحيشية وامرهم بخوف الله فى كل مظنة وهدّدهم على ذلك بان الله شديد العقاب لمن لم يتقّه ولم يحترم ما احترمه من واجب ألزم بفعله وحرام أمر بتركه .

\* ( حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ  
لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتريسة  
والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكّيتم وما ذبح  
على النصب وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق  
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم  
واخشون اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم  
نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطرّ فى  
مخمصة غير متجانف لأثم فإنّ الله غفور رحيم ) \*

الميتة فى اصطلاح الشرع كلّما لم يذك تذكية شرعية و فى عرف  
الناس بما هم ناس ما مات حتف انفه معمولاً والأهلال هو التصويت  
والخنق هو التضيق على مجرى التنفس حتى لا يجرى فيه الهواء والوقذ  
هو الضرب المبرح فيشمل رمح الدابة لغيرها والتردى السقوط من عال  
والنطيحة فعليه بمعنى مفعول وهى المصدومة بضرب الحيوان لها برأسه  
يقال نطحه اذا ضربه برأسه والسبع كل حيوان مفترس والذكاة الشرعية  
يندمج فيها الذبح والنحر والذبح هو فرى الأوداج الاربعة بالشرائط  
والنحر طعن الأبل فى لبّاتها بالشرائط ايضا كما يدخل فيها اخراج  
السّمك من الماء حياً ويموت خارج الماء واخذ الجراد من الارض وهو  
حى والنصب جمع نصاب وهى الحجارة تتخذ للعبادة والأزلام جمع زلم  
وهو القدح والأستقسام طلب القسمة فيكون بمعنى الاستخارة كما يكون  
بمعنى القمار وطلب الرّيح من طريقه وسيجىء بيان ذلك والمخمصة  
الجوع وفلان خميص البطن اذا كان مطويها جوعاً والمتجانف المتمايل  
والجنف الميل .

ومفاد الآية حرّمت عليكم الميتة بكافة منافعها يعنى ان الانتفاع بالميتة مطلقا حرام فيتناول اكلها وبيعها وشرائها ولبس جلودها وما الى ذلك من جهات الانتفاع بالميتة التى يلابسها فعل المكلف والدم بحكم الميتة ويلزم تقييده بالمسفوح لوروده فى القرآن كذلك ولحم الخنزير مثل الميتة ايضا وهكذا كل ذبيحة سمى عليها غير اسم الله كأن يذبحها صاحبها للصنم ويقول باسم اللات مثلا والتى ماتت بقطع نفسها بالخنق سواء اختنقت من نفسها بأن خنقها حبل رباطها او خنقها انسان او حيوان والتى رمحتها دابة اخرى او برح بها انسان ضربا حتى ماتت والتى سقطت من جبل او من شفير بئر فهلكت على اثر سقوطها والتى نطحها حيوان فأماتها بالنجاح والتى افترسها السبع فماتت من وخز انيابه او مخالبه أكل منها ام لم يأكل كل ذلك من منخنق وموقود ومتردى ومنطوح وما اكل السبع يحرم تناوله والانتفاع به لأنه ميتة الا ما أدركت ذكاته مع خنقه ووقده وتردّيه ووقوعه منطوحا لحيوان ومأكولا لسبع بأن استطاع الإنسان ان يجرى عليه الذكاة الشرعية وحياته مستقرة فأن الحيوان بهذه الصورة لا يضره ما طرأ عليه من خنق ووقد وتردّى ونطح واكل السبع منه ويحلّ بالذكاة على الشرط الذى اسلفناه .

وكذلك يحرم ما ذبح على النصب وهى كما قيل حجارة مسطحة تذبح عليها الذبيحة تقربا لآلهة الشرك فيكون سبب تحريمها هو هذا القصد لا الأهلل عليها لغير الله فحتى لو لم يهمل عليها بشيء تكون حراما والاستقسام بالالزام الذى هو حرام له معنيان (احدهما) الضرب بالقдах كما را طلبا للاستفادة وهو حرام (وثانيهما) الضرب بالقдах شبه الاستخارة المعمولة بين اهل الدين عند التحير فى مطلب من مطالب الدنيا فكانوا يكتبون على سهم افعل وعلى آخر لا تفعل ويغفلون

السهم الثالث من كل كتابه ويضعون هذه السهام المتماثلة في خريطة ويضربونها بعضا ببعض ويمدّ المستقسم يده في الخريطة ويخرج واحدا من السهام فاذا كان فيه افعال تقدم الى مطلبه واذا كان فيه لا تفعل أحجم عنه واذا خرج الثالث رده في الخريطة وضربها جميعا وكـرّر العملية حتى يحصل له أمّا امر او نهى فهذا من الحرام ايضا .

ذلكم اشارة الى كلّ ما سبق فسق وانحراف عن دين الله الذى اراده لعباده ، اليوم ليس المراد به يوما خاصا بل المراد به انكم بعد ما فتحتم مكة واستوليتم على قريش ودانت لكم القبائل كرها وطوعا وحكمتموهم ومشى حكمكم عليهم يئس الذين كفروا اى استمروا كافرين من قبائل العرب وغيرهم اولئك الذين لم تنلهم ايدىكم بعد لبعدهم عنكم من سقوط دينكم وبطلانه ومغلوبيته فلا تخافوا هؤلاء بعد اشتداد شوكتكم وخافون بأطاعة وامرى واعتناق ما اخترته لكم من دين قويم .

اليوم يعنى فى هذا الزمن الذى مكنتم فيه من البلاد وعرفتكم بالأحكام وواترت بنزولها عليكم بين الفترة والفترة مراعاة للمصالح الداعية اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى وهى نعمة الاسلام والأيمان ومقرراتها ورضيت اليوم لكم الاسلام كما رضيته لكم بادئا والفرق بين بادئه وخاتمته انه فى الأول كان بمنزلة طرح يراد تحقيقه فلما اخذ جريانه وانتصر على الحوادث شيئا فشيئا ووصل الى هذه الغاية فقد طبّق تطبيقا عمليا ، وانتصب دينا على انه تمييز للاسلام .

وقوله فمن اضطرّ بمنزلة استثناء من قوله حرمت عليكم الميتة وتوابعها اى ان ذلك حرام للمختار أمّا المضطرّ الذى يخاف على نفسه التلف جوعا لعدم مطعم محلّ يتناوله فانه يجوز له ان يتناول من هذه المحرمات ما يسدّ به رمقه أمّا التجاوز عن سدّ الرمق فهو ميل لأكل

الميتة فيحرم واطلاق المغفرة على ما يتناوله الأنسان مع الأضرار مشعر  
بانه ذنب غير مكتوب للضرورة اليه رحيم بعباده لا يعنت بهم ولا يشقّ  
عليهم بألحاق حالة الضرورة بحاله الأختيار .

وقد وردت عدّة آثار من طرق الخاصة والعامة بنزول آية اليوم  
اكملت لكم دينكم بمناسبة غد ير خم وقد استقصينا الكلام على ذلك فى  
المجلد ين ٤٣٠ من نتائج الفكر فليراجع على ان قضية غد ير خم لا  
ترتبط موضوعيا بالآية المذكورة فان واقعة غد ير خم ممّا ثبتت بتواتر عند  
العامة فضلا عن الخاصة ومن طرق رواياتها ماجاء فى سبب نزول اليوم  
اكملت لكم دينكم فقد قال الشوكانى وغيره عند تفسيره لهذه الآية من  
كتابه فتح القدير مكث رسول الله بعد نزول هذه الآية احدا وثمانين  
يوما ثم قبضه الله اليه وفاصلة الزمان ما بين حجة الوداع ووفاته (ص)  
بهذه المقربة التى ذكرها .

\* ( يسألونك ماذا أحلّ لهم قل أحلّ لكم الطيبات وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلمونهنّ ممّا علّمكم الله فكلوا ممّا مسكن عليكم وادكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب ) \*

واو الجماعة في يسألونك راجع للمؤمنين بنبيّ الإسلام حيث يسألونه عمّا يحلّ ويحرم من المطعومات بدليل السياق والطيب هو ما ترضاه الذائقة بطبيعتها لا بالتحميل عليها والجراح هو الذي يجرح اى يوقع جروحا في طرفه والتكليب هو تعليم الكلب كيف يصيد وعلى هنا تفيد معنى اللام بمعنى امسكن الصيد لكم لا أنهنّ امسكنه لأنفسهن ليأكلنه . ومفاد الآية يسألك المسلمون يا نبيّ الاسلام ماذا احلّ الله لهم من المطعومات فأجبهم ان كلّ ما طاب لذائقتهم من المأكولات فهو حلال لهم فالتحليل اذا ما ش على منطقة طبيعية لأن كل ما ذكر آنفا من الدم والميتة ونظير ذلك ممّا تأباه الطبيعة المختارة ولا ترضى به الا اذا اكرهت عليه ثم اعتادته وميزان الأختيار انه لو وضع المحلّل والمحرم في خوان واحد لتناول الإنسان بدافع اشتهاؤه من كلا الطرفين كما يتناول من انواع الأغذية المطبوخة المصفوفة امامه وليس الأمر في ذائقة الانسان بالأختيار كذلك بالنسبة الى الميتة والمذكيّ والدم واللبن ولحم الخنزير ولحم الغنم وقس على ذلك كل ما هو محرّم ومحلّل وهذا مطلب بديهي .

وما علّمتم من الجوارح مكلّبين اى واحلّ لكم ايضا صيد مأكول اللحم ممّا علّمتم من الجوارح والجوارح تكون في الطيور كالصقور وتكون في الوحوش كالفهود الا انه سبحانه خصّها بالكلاب فلا يكون ما يصيده غير



الكلب مباحا إلا إذا أدركت ذكاته وأما ما لم تدر ك ذكاته فلا يحلّ إلا في صيد الكلب المعلم وهو الذي يستشلى إذا شلاه صاحبه ويقف إذا أوقفه ويمسك الصيد فلا يأكل منه لأنه إذا أكل منه فقد أمسكه لنفسه ولم يمسه لمعلمه، واذكروا اسم الله عليه حين اشلائه فمن تعمّد اغفال ذكر الله لا يحلّ له أكل ذلك الصيد واتقوا الله في مناهيه إن الله يوم قدومكم عليه ووقوفكم بين يديه لأجل أن يحاسبكم على ما كسبتم في دنياكم سريع الحساب فنيلكم لجزاء أعمالكم خيرا أو شرا لا تريت فيه .

\* ( اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهنّ أجورهنّ محصنين غير مسامحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالآيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ) \*

ليس المراد بقوله تعالى اليوم أحلّ لكم الطيبات إن الطيبات ما قبل اليوم كانت حراما عليكم بل كما اسلفنا إن الطيب من المطعومات حلال بأصل الطبيعه وقيد اليوم إنما جرى به لا يبراز الأمر الطبيعى بلباس الحكم الشرعى والطعام لغة ما يطعم فهو يعمّ حتى ذبائح أهل الكتاب ويستظهر من ذلك طهارتهم وعلى ذلك كثرة من أهل العلم والمروى عن الصادق عليه السلام إن طعام أهل الكتاب الذى يحلّ للمسلمين مختص بما لا يحتاج إلى التذكية وما ليس بمجرّم فى دين الإسلام ومعنى طعامكم حلّ لهم أنه يجوز لكم أن تقدّموا من طعامكم لهم وليس بحرام عليكم وأما تناولهم له فهو موكول إلى اختيارهم، والمحصنات هنا كما

اسلفناه يراد بها العفاف من النساء اّما محصنات المؤمنين فلا كلام في جواز التزوج بهنّ اّنا الكلام في تزوج المسلم بالكتابية فهل يجوز او لا يجوز فليل لا يجوز وان مفاد هذه الآية منسوخ بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو مذهب اكثر الخاصة وقيل يجوز كما هو مذهب كثير من العامة والمنظور بالا جور المهور وانتصب محصنين على الحال اى يجوز ذلك حال كونكم اّعفاء غير زناة ولا متخذين منهن صواحب في السرّ او العلانية ولازم ذلك ان الزانى بالمرثئة غير ذات البعل او المصادق لها لا يجوز له ان يتزوج بها والمعروف في السنة خلافه فان الزنا بالخلية من الزوج والعدّة لا يحرّمها عليه اذا اراد التزوج بها وهكذا سابقّة الصداقة لا تحرّم ، ومن يكفر بما يجب الأيمان به من الاعتراف بالصانع وتوحيده والتصديق بنبيّه فقد حبط عمله السابق على الكفر اذا كان مسبقا بالأيمان والعمل على مقتضاه وهو في الآخرة من الخاسرين لمتاعبه السابقة ومشاقّه التي تحمّلها ولو في طريق الدين الذي عقّبه بالكفر والجحود .

\* ( يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة

فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا  
برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا  
فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء  
أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم  
تجدوا ماء فتميموا صعيدا طيبا فامسحوا  
بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم  
من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم  
لعلكم تشكرون ) \*

إذا اقمتم إلى الصلاة معناه إذا اردتم القيام للصلاة مثل إذا قرأت  
القرآن فاستعد بالله وإذا دخلت فسلم وقد يلوح من الآية انه عند  
ارادة كل قيام للصلاة يلزم ايجاد هذه العملية سواء حدث للانسان  
ناقض لطهوره ام لا وليس الأمر كذلك فان الطهور اذا حصل للانسان  
لم يكن قابلا للتكرار لأنه من تحصيل الحاصل نعم نذبت السنة التي  
تجدد الوضوء ولو كان الانسان على طهور وطبعا لا يكون هذا التجديد  
الآ صوريا للفوائد في ايقاع نفس الصورة بنظر الشرع والوجه هو ما يواجهه  
الانسان من قبيله وقد حدّ طولها بما بين قصاص الشعر والذقن وعرضا  
بما دارت عليه الأبهام والوسطى ، وحدّدت الآية محل غسل اليد بالمرافق  
وهو تحديد واضح وتفيد كلمة الى ان اليد تكون من اطراف الاصابع  
ولكن هذا الأنصراف بدوى والحقّ انها انما تفيد بالقطع تحديد محل  
الغسل وانه ما بين الاصابع والمرافق ولا تعرّض لها بمكان الأبتداء وانه  
من الاصابع او من المرافق ولكن السير الطبيعي قاض بانه من المرافق

لأنه هو المنسجم دون العكس والغسل امر عرْفِي وهو اجراء الماء على المحلّ المغسول ولا يشير الى ذلك حتى بطرف خفيّ والباء في برؤسكم تشعر بالبعضية ولأنه هو المنسجم دون مسح الرأس كلّ لما فيه من الكلفة والأذى احيانا والطبيعي من ذلك مسح المقدم والكعبان هما العظامان المحيطان بمفصل القدم من الساق .

وقد قرأ وارجلكم بالنصب يعني بالعطف على الوجوه والأيدي كما قرء بالجرّ بالعطف على الرأس وهو الحقّ لجهات (الأولى) ان الأرجل لو كان حكمها الغسل لوجب على البليغ ان يقول فاغسلوا وجوهكم وايدكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم ليقع المغسول الى جنب مثله اما فصله بالمسوح فهو تشويش قطعاً وموهم لخلاف ما يراد به جزماً (الثانية) ان القارئين بالجر اكثر من القارئين بالنصب وقد روى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسّلتان ومسحتان وقال عكرمة ليس في الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وقال عامر الشعبي نزل جبريل بالمسح وقال قتادة افترض الله مسحتين وغسّلتين وقال ابن جرير الطبري بذلك ايضاً الى كثير من نظائره (الثالثة) ان التكليف بغسل الرجلين حرجي في اغلب الأحوال .

والجنب في لغة الشرع هو من انزل او جامع ومفاد الآية بجريها الطبيعي يا ايها الذين آمنوا اذا اردتم ان تقوموا بفريضة الصلاة وكنتم على غير طهر فتوضؤا بهذه الصورة فاغسلوا وجوهكم بالتحديد الذي اسلفناه وايدكم الى المرافق والغاية في العرف خارجة عن المغيّا نعم من باب احراز غسل الوجه واليدين لا بد من ادخال جزء خارج تحققاً من غسل العضو الداخل وامسحوا ببّلة وضوءكم لانه هو المتبادر ببعض من رؤسكم وهو مقدم الرأس لانه المحلّ المنسجم وكذلك امسحوا وارجلكم الى

الكعبيين ببلّة الوضوء ايضاً للتبادر الآنف وأما اذا كنتم جنباً فان الوضوء لا يسبغ لكم الدخول فى الصلاة بل لا بدّ من الغسل والغسل لا يفهم من كلمة فاطهروا الاّ تلويحاً لمكان المقابلة بينه وبين الوضوء وان كنتم مرضى تخشون استعمال الماء لمكان المرض سواء فى الجنابة وغيرها كما يشعر بذك عنوان المرض او كنتم مسافرين لا ماء عندكم او لا وقت لديكم او لا فراغ يمكنكم معه الوضوء او الغسل او جاء احد منكم من الغائط او قاربت النساء فلم تجدوا ماء تتوضؤون به او تغتسلون فاقصدوا وجه الارض الطيب من القذارات فاضربوا الارض بيدكم ويستفاد ذلك من قوله فامسحوا ببعض وجوهكم لمكان الباء وهو الجبهة بما تسعه الكفان الماسحتان والحواجب وطرف الأنف، والأيدى هنا جملة وفى السنة تتحدد بالزنود لا المرافق ولا المناكب وضمير منه يرجع للصعيد ويظهر من الآيه كفاية الضربة الواحدة للوجه والكفين فى بدّل الوضوء والغسل معاً. قوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج تعليل للانتقال بالتكليف من الوضوء والغسل الى التيمم ولكن يريد ليظهركم بواحد من الطهورين امّا الماء واما التراب وليتم نعمته ببيان التكليف التى لو عملتم بها لأنجحتكم فعسى ان تشكروه على ما أنعم عليكم لتعود فائدة الشكر لكم.

\* ( واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به

اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم

بذات الصدور ) \*

ذات بمعنى صاحبة وصاحبة الصدور هي المعانى المكنونه الخزونه  
 فى القلوب والنوايا التى تصطّم عليها الجوانح ، الخطاب فى قوله واذكروا  
 يجوز ان يكون لعموم بنى آدم ويجوز ان يكون لفريق خاص فعلى الأول  
 المراد بنعمة الله هي نعمة الوجود والخلق السوى ويكون المراد  
 بالميثاق هو ما اخذه من الخليقة فى عالم الذرّ بقوله أَلست بربكم قالوا  
 بلى وبالسمع والطاعة هو قول بلى وعلى الاحتمال الثانى يكون الخطاب  
 للمسلمين خاصة باعتبار ما اخذ منهم النبىّ فى بيعة العقبة من الموآثيق  
 على نصرته ونصرة دين الله ، واتقوا الله اى خافوه فى نقضكم لموآثيقكم ان  
 الله لا تخفى عليه خافية فأنه يعلم ما اكنّته صدوركم وتوقّر فى قلوبكم .

\* ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء  
 بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا  
 اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير  
 بما تعملون : وعد الله الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم : والذين كفروا  
 وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ) \*

القوام مبالغة في القيام والمنظور بكثرة القيام لله كثرة السعى في  
 سبيله امرا بمعروف ونهيا عن منكر وتأيدا لحق وتنقيصا من باطل وعلى  
 مثل هذا والشهادة بالقسط هي أن يشهد بالحقيقة التي عاينها وجها  
 لوجه ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا معناه لا يحملكم بغضكم  
 لأنسان او جماعة على ان تخفوا الحقيقة التي تكون بنفعهم فأنكم اذا  
 قمتم بالعدل فقد اديتم وظيفتكم الملقاة على عاتقكم والعدل اقرب لتقوى  
 الله سبحانه وضمير هو اقرب عائد الى ما يتصدد من قوله اعدلوا وهو  
 العدل ، وخافوا وعد الله في سرهم وعلانيتكم ان الله خبير بما تعملون  
 من حق وباطل .

وعد الله - ووعد الله لا بد من تحققه لأنه لا يخلف الميعاد -  
 الذين جمعوا بين العلم الذي هو عقيدة بالله وانبيائه وكتبه وملائكته  
 وكل ما هو ثابت من لدنه وبين العمل الذي هو ابراز تلك العقيدة  
 وانماؤها وهو الاتيان بالأعمال الصالحة التي امر بها سبحانه او رغب  
 فيها ان لهم مغفرة عن ذنوبهم التي نزعوا ايديهم منها وتداركوها بما  
 يمكن تداركه واجر على ماتحملوا الزحمة فيه لأجل الله بما يزيد على مقرّر  
 اعمالهم ، والذين الحدوا بالله او الحدوا بما يوجب الألحاد به شبيها

التفسير ج ٣ من هم الباسطون لأيد يهيم في دك المسلمين ١٨  
من الألداد بالله وكذبوا ببراھیننا اللى ندى بها لأقامة الحق ودك  
عروش الباطل اولئك اصحاب النار، وقوله لهم مغفرة واجر عظیم جملة  
ابتدائية فى محلّ نصب على انها مفعول ثانى لقوله وعد الله .  
\* ( يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ  
هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم  
عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) \*

المراد بالقوم الذين هموا ان يبسطوا ايديهم الى السلميين  
لأهلاكهم وابداهم وتشتيت جماعتهم يجوز ان يراد بهم كافة اعداء  
الدين الإسلامى وان الله حصن الدين منهم وحفظ المسلمين من شرهم  
ويجوز ان يراد بهم ماجاء فى بعض الآثار انهم يهود بنى النضير  
وكانوا قد عاهدوا النبى على ترك القتال وان يعينوه فى الديات فأتاهم  
مع جماعة من اصحابه وقال لهم ان رجلا من اصحابى اصاب رجلى من  
معهما امان منى فلزمنى أن اديهما فأريد ان تعينونى فقالوا نعم  
اجلس حتى نهياً ما اردت وهموا بالفتك به فأذنه الله بذلك فأطلع  
النبى اصحابه وانصرفوا ويجوز ايضا ان يراد بهم ماجاء فى اثر آخر ان  
ان النبى (ص) غزا جمعا من بنى ذبيان ومحارب فتحصنوا برؤس  
الجبال ونزل رسول الله بحيث يراهم فذهب لحاجته فأصابه مطر فبل  
توبه فنشره على شجرة واضطجع تحته والأعراب ينظرون اليه فجاء كبيرهم  
دعثور بن الحارث حتى وقف على رأسه بالسيف فقال يا محمد من يمنعك  
منى اليوم فقال الله ودفع جبرئيل فى صدره ودفع السيف من يده فأخذه  
رسول الله وقام على رأسه فقال من يمنعك اليوم منى قال لا احد وانا  
اشهد الا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت وعلى مفاد هذين



التفسير ج ٣ اختار موسى من بنى اسرائيل اثني عشر نقيبا ١٩  
الأثرين أنّما صحّ الخطاب بلغة الجمع اذكروا نعمة الله عليكم هو ان  
سلامة النبي سلامة لهم والأيقاع بالنبي ايقاع بهم ، فخافوا الله يا جماعة  
المسلمين واتّقوه في اوامره ونواهيه واتكلوا عليه فانه نعم الوكيل .  
\* ( ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم  
اثني عشر نقيبا وقال الله انى معكم لئن اقمتم  
الصلاة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم  
وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرنّ عنكم سيئاتكم  
ولأدخلنكم جنّات تجري من تحتها الأنهار  
فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل ) \*

الميثاق مفعال من التوثق وهو اخذ الضمان الأخلاقي من الطرف  
والنقيب هو عمدة القوم الذى ينقّب عن امورهم ويراعى ما هو الأصح لهم  
والتعزير التوقيير انشد ابو عبيدة على ذلك قوله :

وكم من ماجد لهم كريم  
ومن ليث يعزّر فى الندى

ورد اخذ الميثاق من بنى اسرائيل فى القرآن على وجوه عديدة  
فى مناسبات متشعبة واكثر المفسرين كما ان السياق فيه معاونة على ما  
قالوا يرون ان موسى وقومه بعد ان انتصروا على الأقباط بمعونة من الله  
سيحانه اختار موسى من مجموعة الاسرائيليين اثني عشر نقيبا من كل  
سبط من اسباطهم الاثنى عشر رجلا ليذهبوا الى ارض الشام ويأتوا  
بأخبار جباريها وما هم عليه من قوّة وما عندهم من عدّة فذهبوا واطلّعوا  
من الجبارين على قوّة عظيمة أرهبتهم حتّى ظنوا انهم لا قبل لهم بذلك  
وتعاقدوا بينهم على ان يخفوا ذلك على بنى اسرائيل اذ ارجعوا اليهم  
فلما جاؤهم خان منهم عشرة وحفظ العهد اثنان وهما يوشع بن نون

التفسير ج ٣ اختيار موسى من بنى اسرائيل اثني عشر نقيبا ٢٠

وكالب بن يوفنا ففشا الخبر من طريق اولئك العشرة ووهن بنو اسرائيل حتى قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فتاه بنو اسرائيل لذلك اربعين سنة .

ومفاد الآيه انا بعد أن نصرنا بنى اسرائيل على الاقباط اخذنا منهم موثقا بمقاتلة العمالقة حتى يحتلوا ارضهم القديمة وبعثنا منهم طلائع اثني عشر نقيبا وقلنا لهم انا فى عونكم ما دمتم مقيمين للصلاة رافعين من كيانها مروحين لها مؤتئين للزكاة تقيمون بذلك اود ضعفاكم وترمّمون نواقص فقراكم مؤمنين برسلى الله سابقهم ولا حقهم محترمين لهم مؤيدين لخطتهم سامعين لكلامهم مشرفين لمواقفهم مسلفين فى هذه الدنيا من مالكم وجاهكم ما يكون ذخيرة لكم فى مستقبلكم فمتى قتمتم بهذه الوظائف واد يتموها على طبق المقرر لأكفرنّ عنكم ما سلف لكم من سيئات تبتم منها وبعد تطهيركم من دنسها لأدخلنكم جنّات تجري من تحتها الأنهار فمن الحد وكفر بعد هذه المواثيق المأخوذة والشرائع المبينة وتبليغات الرسل التامة فقد ضلّ عن وسط الطريق وسلك واحدا من طريقى الأفراط والتفريط اما الغلو بمقام الأنبياء واما الأسفاف فى حقهم ولا حق من الطريق الا لوسطه .

\* ( فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ) \*

النقض هو حلّ المبرم واللعن هو الطرد والأبعاد والقسوة الشدة والتحريف التغيير والحظّ النصيب والخائنة مؤنثة الخائن وتقال الخيانة فى مقابل الأمانة والصفح هو غصّ النظر وما فى قوله فيما زائدة والأصل فبنقضهم ومفاد الآية ان هؤلاء القوم لأجل تراجعهم عمّا اخذ عليهم من عهد فى شتى المجالات وتخلفهم عن الشروط المأخوذة عليهم طردناهم عن توجهنا اليهم ورحمتنا لهم ومن اجل ذلك صارت قلوبهم قاسية شديدة لا تلين للحقّ يعرض عليهم ويراد منهم ومن جملة مخازيهم انهم يغيّرون ما سمعوا وما قرؤوا وما قالوا وفقا لمشترياتهم لا يمنعهم من ذلك ضمير ولا ايمان، وقوله نسوا وان كان بمعنى النسيان الا ان المراد به التناسى والتغافل، وحظًا مما ذكروا به اى جملة مما عهد اليهم وهو الاعتراف بنبي الاسلام وتأيد دينه والألتحاق بركبه ومن قبل ذلك كان الاعتراف منهم بعيسى لزاما وحتما ولا تزال يا محمد تطلع على خائنة منهم بعد خائنة ونقض للعهد بعد نقض الا قليلا منهم يثبت على العهد ونادرا لا يخون فاعف عن هذا القليل وان كان فى غمار جماعته واصفح عنه وان كان غير منتبذ عنهم ان الله يحب كل محسن عند قدرته اذا لم يكن فى الأحسان اليه مفسدة .

التفسير ج ٣ تشتت النصارى نتيجة التوائهم على الله ٢٢

\* ( ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم

فنسوا حظًا مما ذكرنا به فأغرينا بينهم العداوة

والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبأهم الله بما

كانوا يصنعون ) \*

لم يقل سبحانه اخذنا من النصارى ميثاقهم لان النصرانية بعنوانها  
الأصيل دين حق وهو التدين بما جاء به المسيح وهؤلاء الذين  
ينتسبون لها انما ينتسبون بعنوان فارغ لانهم لا يدعون الله بالتوحيد  
ولا يعرفون عيسى بن مريم بالنبوة الصادقة والعبودية لله بل يشركون  
بالله ويغفلون في عيسى هذا من جانب الأصول وأما في الفروع الشرعية  
المدونة لهم والموظفة عليهم فانحرفوا فيها واسع ولذا قال سبحانه  
ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم من وحيانا الى نبيهم بأن  
لا يعبدوا الا الله ولا يروا مؤثرا في الكون غيره وان يعترفوا بالمسيح  
نبيًا لا ابنا لله بل عبدا له فنسوا الكثير من هذا الميثاق وتجاوزوا  
حدود الوظيفة الشرعية واختلفوا فيما بينهم على العقيدة اختلافات  
كلية وجزئية والى الآن هم كذلك في الاختلاف العقائدي الطويل  
الذي لا يأخذ يقع بعضهم في بعض كما وقع بين البروتستانت والكاثوليك  
من المذاهب ما لا يحصيه قلم وهذا معنى اغرينا بينهم وحاشا الله ان  
يغري عبدا له يعبد وانما كان منه سبحانه لما انصرفوا عن بلاغته ان  
اعرض عنهم ووكلمهم الى جهلهم لما لم ينجع فيهم الوعظ والارشاد  
ونتيجة الجهل لا تكون الا خاطئة بجميع نواحيها ومن جملتها عداوة  
بعضهم لبعض وبغض بعضهم لبعض ماداموا جهلاء ، وسوف ينبأهم  
الله اذا حشرهم اليه بما كانوا يصنعون يأخذون ويذرون ويرتكبون من

باطل حسب ايحاء جهلهم لهم .

\* ( يا أهل الكتاب قد جائكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جائكم من الله نور وكتاب مبين : يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بأذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ) \*

اهل الكتاب هنا عام لليهود والنصارى والمراد بالرسول هنا هو نبى الاسلام يبين لكم من طريق وحينما اليه كثيرا مما علمتموه من العقائد والأحكام عن طريق انبيائكم واخفيتموه لانه لا يتفق مع اهوائكم ولا ينسجم مع مصالحكم الشخصية ويسكت عن كثير كان مقررا فى شرائعكم لكنه لا تقر له فى شريعة الاسلام لانقضاء امده ولذلك سكت عنه اذ لا نتيجة فى ابدائه سوى افتضاحكم وهو لا قصد له فى ذلك وانما يستهدف احقاق الحق لا المهاترة على غير نتيجة ، قد جائكم من الله نور ومحض هداية لا ليس معها وهو نبى الاسلام كما جائكم من الله كتاب مبين لأحكامه مفصل لدلائله ناطق بحكمه يهدى الله بهذا الكتاب من توجه الى الله وحاول نيل مرضاته سبيل السلامة والنجاة والفلاح والنجاح والأمن من الفزع الأكبر ويخرجهم به من ظلمات الجهل الى نور الهداية بتوفيقه ويهدى بهم به الى جادة موصلة للخير فى كلتا النشأتين .

وخلاصة البحث ان النبى باعتبار جامعيته لعنوانين واقعيين احدهما الصراحة والأصحار بالحقيقة وبعده عن التدليس والمصانعة وثانيهما العلم القاطع البرىء من الاختلاط بالجهل بمجرد اعلان

دعوته يفتضح المزورون بكافة طبقاتهم وشتّى ملابساتهم وذلك لان غير المعصوم يماشى اهوائه فى الأعم الأغلب ومما شاة الأهواء غريزة كل انسان يصانع اوقاته ويساير اهدافه حتى يؤمنّ حياته بما يرضى هو لا بما يرضاه الحقّ له وكل دور يبعد عن دور النبوة يلبس هذه الموهنات فاذا جاء النبىّ وهو من اصحرنا عن حقيقته يفضح كل هؤلاء ولذلك يواجه فى طريقه اعناتا ومن معاصريه اول مرة كل جهد حتى يقضى على هذه الرموز والاهداف الخاطئة وهذه العصاراة خلاصة ما جاء فى هذه الآية وقد عبر سبحانه عن النبوة بأنّها نور يكشف حقيقة كلّما اشع عليه وان النبىّ اللابس للنبوة يخرج الناس من ظلمة الجهل والمادية الى نور العلم والمعنوية .

\* ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا والله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ) \*

انما كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح لان المسيح باعترافهم تولد من مريم ومريم حادثة فى الوجود فهو حادث فى الوجود والعالم كان قبل خلقه المسيح بزمان لم يحدده حساب ولا تخمين اذن فصانع العالم غيره ، ثم المسيح وجود مادى صرف يتأثر بالعلل والحوادث والمتأثر بالعلل والحوادث مغلوب فلا يكون هو المتصرف فى شؤون العالم فالصانع للعالم غيره وهو من يتصرف فيه ويكون فى أمن من تلاعب الحوادث به ، والنصارى يعترفون بأن المسيح صلب وأزهقت روحه والعالم بكافة تقلباته وتنقلاته وتفاعلاته موجود بعده وانما يقلبه من حال الى حال صانعه المسيطر عليه الباقي ببقاء لا يحد اذا فالصانع غيره ثم من يستطيع ان يقف امام ارادة الله فيما لو اراد أن يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا طبعا يكون الجواب لا احد وقد اهلك الله بادعائهم عيسى واهلك امه قطعا واهلك كل من سلف من اهل الأرض اذا فالمسيح ضعيف محكوم مغلوب لقاهر فوته .

وكيف يكون المسيح هو الله وهو لم يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً فضلاً عن أنّه لم يملك من عوالم السماء شيئاً ولا من عوالم الأرض شيئاً والوجود الذى يقال له الله له ملك السموات والأرض وما بينهما من أجواء وآفاق وأكوان يخلق ما يشاء فتارة من غير ابوين كآدم واخرى من غير أب كالمسيح وثالثة من ابوين كالباقين فليست خلقة المسيح بأهمّ من خلقة آدم ولم يكن آدم (الله) ولا نسبت له الألوهية فالمسيح اولى بأن لا يكون الله ولا تدعى له الألوهية والله على كل شىء من انحاء الخلق والتصريف والتكوين قدير .

وقالت اليهود والنصارى فى مقام الاعتزاز بأنفسها بلا داعم يدعمه نحن ابناء الله والأبن عزيز على ابيه لا يعاقبه حتى على الاجرام الكبيرة الا عقاباً منزوراً شبه تأديب له واحبائه اى انه يخبنا لكنهم لم يبيّوا وجهة ذلك وان اسباب حبه لهم ما هى طبعاً لا سبب الا الجفاف والقول بالتشهى قل لهم يا محمد فلم توعدهم بالعذاب الاخرى على ذنوبكم كما توعدهم كل مكلف وكتبكم الدارحة بينكم مملوءة بذلك لا ريب ان هذا الاعتزاز منكم بأنفسكم اعتزاز فارغ بل انتم كسائر البشر نسبتكم اليه كنسبة الباقين من حيث ان الجميع مخلوقون له وهو خالق لهم يغفر لمن يشاء من المذنبين اذا كان ذنبه مربوطاً بالله لا بالناس وقد اسلفنا أنّ مشيئته لا تكون عن صرف تشه بل غفرانه يكون لنزيه الضمائر الذين لا يحملون حقدًا وخبثاً وظلمة ضمير وتعذبه يكون للخبث الفاسدى المنويّات كما لا يشاركه احد فى المغفرة والتعذيب لأنّ كافة ما عداه ملك له والمملوك لا يقدر على شىء ومصير كل مخلوق اليه .



\* ( يا أهل الكتاب قد جائكم رسولنا يبين لكم على  
 فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا  
 نذير فقد جائكم بشير ونذير والله على كل شيء  
 قدير ) \*

المراد بأهل الكتاب هنا عموم من له وجود معاصر لنبيّ الاسلام  
 وهو متبع لنبيّ ذي كتاب بالانتساب اليه ورسوله هو رسول الله نبيّ  
 المسلمين ، لأجل ان يبين لكم ارادة الله التشريعية فيكم ، على فترة من  
 الرسل ، اى بعد فترة لم يأت فيها نبيّ ، جاء فى اصحّ الأقوال ان  
 الفاصلة بين ميلاد المسيح ونبيّ الاسلام تبلغ ٥٦٩ سنة وقد تخللتها  
 اربع رسالات لأربع انبياء لم تكن لهم شهرة وقد يكون مؤدى رسالتهم  
 تقرير ما جاء به المسيح ، وأن تقولوا ينسبك بمصدر يكون مضافا اليه  
 لمضاف محذوف تقديره مخافة ان تقولوا ما جاءنا بشر يبشر بالسعادة ولا  
 نذير يخوف من العاقبة السيئة فقد جائكم بشير ونذير وهو نبيّ الاسلام  
 يبين لكم كلّ ما هو سبب سعادتكم وموجب شقاكم والله على كل شيء من  
 ارسال الرسل واسعادكم بالبيانات الناجعة الموفية بعاملها على  
 السعادة وانذاركم بالمواعظ والزواجر الزامّة للنفس عن المفاصد السالكة  
 بها سبيل النجاة .

\* ( واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا و آتاكم مالم يؤت احدا من العالمين : يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتقلبوا خاسرين ) \*

اذ ظرف زمان عامله يقدر بقولنا واذ ذكر يانبي الاسلام حين قال موسى لقومه فيشكل بأن الخطاب بمثل اذ كر لازمه ان يكون المخاطب مسبقا بالشيء غافلا عنه بالفعل ونبي الاسلام لم يسبق بذلك الا من طريق محتويات هذا الخطاب فمن اللازم ان يكون معنى فاذا ذكر حصول العلم له اى فاعلم يا محمد حين قال موسى لقومه اما خطاب قوم موسى بقوله فاذكروا نعمة الله عليكم فانه خطاب على وجهه لأنهم مسبقون بالأمر التي ذكرهم بها موسى من جعل الأنبياء فيهم ، وارسال الرسل الى القوم وكونهم منهم فى العنصر فيه حد الأقل نعمتان كبيرتان النعمة الأولى ان تهذيب المتوحش وكل انسان وحشى بدون التهذيب من النعم العظمى عليه فان الانسان من دون فضيلة العلم حمال جاهل اذ غاية ما يتأتى منه ان يستخدم بنيته الطبيعية واستخدامها مع الجهل لا يتصور فيه سوى الأمور المنحطة كحمل الأثقال ونظيره مضافا الى الجهل بكيفية صرف ما يستحصله من حمله ، والنعمة الثانية ان كون الأنبياء منهم تشريف لهم فان الانسان يعتز حتى بالتوافه التي تنسب اليه من قبيل فرسه وحماره وغير ذلك فكيف لو حصل الشرف الواقعى ومن جعلهم ملوكا يملكون امور انفسهم بعد ان كانوا اذلاء عند الافباط بل عبيدا لهم— وشرف الاستقلال ومالكية الانسان لأمر نفسه من اعظم

المقاصد التي تسهر لها الشعوب المتيقظة وقد لا تحصلها حتى بعد بذل الزحمات والمجاهدات العظيمة وهكذا حصل لقوم موسى بعد مدي مبارزته لفرعون مصر الذين مرت عليهم اجيال حاكمين مستبديين ففسحروا حكمهم ووجودهم وآلت الدار بما فيها لنبي اسرائيل وذلك من اعظم النعم .

ومن ايتائهم ما لم يؤت احدا من العالمين السابقين عليهم — والمعاصرين لهم من الانبياء العظماء كموسى وهارون ومن الآيات البيئات والمعجزات الشامخات والاستقلال التام والنعم الموفورة فان هذه المطالب بمجموعها لم تحصل لأية أمة سابقة ومعاصرة .

ومن تتمّة قول موسى لقومه الذي احبّ الله اطلاق نبيه محمّد عليه ان قال لهم بعد تحريرهم من نير استعباد الأقباط لهم وتوفير النعمة عليهم بلزوم استرجاع ارض الآباء والاجداد التي تداولها الانبياء من سلفهم بالتربية والتعليم والتطهير والتقدّيس ومن هنا كانت مقدّسة لانها كانت مباءة عناصر مثالية غاية في القدس والتقوى وارض الآباء هي بيت المقدس على ما تضّمّ عليه ابعاده يومذاك ، وقوله التي كتب لكم بمعنى وعدتم بها ولا منافاة بين ان يكون الكثيرون منهم ماتوا في التيه ولم يتوفقوا لدخولها وبين قوله تعالى كتب الله لكم فان كان الخطاب لا يراد منه خصوص المشافهين بل ما هو اعمّ باعتبار ان الجميع بنو اسرائيل وانهم أمة لموسى ، وقوله تعالى ولا ترتدوا تأكيد لمفهوم ايجاب دخولها عليهم ولا شك ان الذي يرتد عن خطة حربه المصيرية الفاصلة لا ينقلب الا بالخسران الوبيل .

التفسير ج ٣ الزام بنى اسرائيل بمناهضة الجبارين — ٣٠

\* ( قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن

ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها

فانا داخلون :قال رجلان من الذين يخافون

أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا

دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم

مؤمنين :قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا

ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا

قاعدون ) \*

يقال جبره يجبره على الشىء اذا اكرهه عليه وقهره على ممارسته

وصفة الجبارية فى البشر صفة ذم لانها لا تكون الا حيث يريد الانسان

استدراج اخيه النوعى فى حوزته للتحكم فيه بداعى قوة نفسه وضعف قبيله

وهى فى الله تعالى صفة مدح لانه تعالى لا يسخر احدا من عباده الا

حيث تكون هنالك مصلحة فى تسخير التكوينى او التشريعى ومرجع

المصلحة ذات العبد نفسه فهو سبحانه ان يتصرف بعبد ففصلح عبده .

وخلاصة ماجاء فى الآثار عن هذه الآيات ان موسى وبنى اسرائيل

لما عبروا البحر وهلك فرعون امرهم الله سبحانه بدخول الأرض المقدسة

التي أشير اليها آنفا فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا من الدخول

فبعث موسى من كل سبط (والأسباط اثنا عشر) رجلا وهم الذين ذكرهم

الله تعالى فى قوله وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا فعابن النقباء من عظم

شأن الأقوام شيئا عجيبا فرجعوا الى بنى اسرائيل فأخبروا موسى بذلك

فأمرهم موسى ان يكتموا وصف ما شاهدوا فوفى اثنان منهم يقال هما

يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا وعصى الباقون فأخبروا وفشا الخبر فى

الناس فقالوا ان دخلنا عليهم تكون نساؤنا واهالينا غنيمة لهم وهمّوا بالأنصراف الى مصر وارادوا الأيقاع بيوشع بن نون وكالب بن يوفنا لأنهما لم يخبراهم كما اخبر الباقون فاغتاظ لذلك موسى وقال ربّ ائى لا املك الآ نفسى واخى فأوحى الله اليهم انهم يتيهون فى الارض اربعين سنة فتاهوا هذه المدّة فى مسافة ستة عشر فرسخا وهم ستمائة الف انسان ومات فى التيه موسى وهارون وجملة وافرة من بنى اسرائيل وعشرة من النقباء الأثنى عشر وبقي يوشع وكالب وبعد انسلاخ الاربعين سنة خرج بهم يوشع وفتحوا الارض المقدسة ودخلوها .

ومعنى قوله تعالى انّ فيها قوما جبارين انهم كانوا اقوياء فى بناهم البدنيّة بما أهال منظرهم بنى اسرائيل ومرادهم من قولهم انّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها انهم لم يمتوا انفسهم بدخولها وانما امروا من ناحية الله بذلك فالله يلزمه ان يفعل بالأقوام الشاغلين للارض المقدسة فعلا يوجب خروجهم منها واخلائها منهم حتى يدخل بنو اسرائيل اليها دخولا براحة ومن غير مؤنة هكذا كان جواب بنى اسرائيل لموسى لكن يوشع بن نون وكالب بن يوفنا عقّبا على مقالة اخوانهم الأسرائيليين الذين ابدوا التلوّى على نبيهم وايدا ما قاله موسى بقولهما ادخلوا يا اخوتاه على هؤلاء الجبارين باب المدينة بصرامتكم وشجاعتكم فاذا دخلتموه وحاصرتموهم فيها فأنكم غالبون وتوكلوا فى اقدامكم هذه على الله ان كان لكم ايمان به كما تدعون وكأن القوم لم يعيروا مقالة هذين الرجلين نظرا كما لم يحسبوا لهما حسابا ولذلك لم يجيبوهما وانما اجابوا موسى نفسه بدلا عن جوابهم لهما فقالوا يا موسى نحن لا ندخل هذه المدينة عن طريق الحرب اصلا مادام اهلها فيها واذا كنت تريد قتال القوم فاذهب انت الذى تريد وربك الذى يريد ذلك

ايضا فقاتلاهم وانتصرا عليهم ونحن فى امكنتنا قاعدون ننظر ما تفعلان ولا يلزم ان يعتقد التجسيم فى الاسرائيليين من قولهم اذهب انت وربك فقاتلا لان هذه المقالة تساق على سبيل الاستعارة الفاشية الاستعمال بين الناس ، وقوله تعالى من الذين يخافون محذوف المتعلق بمعنى يخافون الله ويتقونه ولذلك قالوا هذا القول كما ان متعلق انعم الله عليهما محذوف تقديره بالايمان الصحيح والهداية السالكة بصاحبها طريق الصواب والسداد .

\* ( قال ربّ انى لا املك الا نفسى واخى فافرق

بيننا وبين القوم الفاسقين : قال فأنها محرمة

عليهم اربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس

على القوم الفاسقين ) \*

ملك النفس معناه القدرة على تصريفها والتهيه هو الضلال والتحير لا شك ان كل نبى مكلف كسائر المكلفين فى اصل عنوان التكليف فكما ان بنى اسرائيل كانوا مكلفين بدخول الأرض المقدسة كذلك كان موسى مكلفا بذلك لكن سائر المكلفين قد يتمردون على الله سبحانه أما النبى فيستحيل فى حقه ذلك ومن هنا قال موسى لربه فى ابلاغه عن نتيجة ما وُظف به ربّ انى لا املك الا نفسى وكما املك نفسى املك اخى هارون لأطاعته لى واقتدائه بى فأنا واخى حاضران لتنفيذ اوامرك ومهما كلفنا هذا الأمر من خسارة فى النفس والأبدان والأموال وللأمتيازات الواضحة بينه وبين قومه امام الله سبحانه قال فافرق بيننا انا واخى وبين القوم الفاسقين عن طاعتك واجعل بيننا وبينهم ما ئزا واضحا غير خفى فكان الميز الذى جعله الله لموسى وهارون على قومهما هو تحريم

الارض المقدسة عليهم لمدة اربعين سنة يعيشونها تائبين فى مسافة  
محدودة سائرين غير ساكنين ولا قاطنين .

فأن قيل واى ما ئز فى ذلك لموسى واخيه على قومهما بعد ان شمل  
التيه المطيع والعاصى الامام والمأموم فان موسى وهارون عاشا فى  
التيه كالباقين وماتوا فى التيه كالسائرين فأين المائز بين فريق المطيعين  
وفريق العصاة قلنا التيه لبنى اسرائيل عقوبة بلاشك وانما تلبس به  
موسى وهارون استجابة لأمر الله بتحملها اعباء الرسالة على كل حال  
ومن الاحوال حال التيه وغيرها .

واسى يأسى بمعنى حزن ومفاد هذه الفقرة من الآية الفات نظر  
موسى الى ان العنصرية قد تحملك على التأثر بما حكم به قومك من التيه  
وعدم القرار فى مقر ثابت ولكن التبطن فى الحقيقة ونزع قشور العاطفة  
يحكم على كل متوجه بأن من لازم العصاة التأديب ومن لازم المطيعين  
الأثابة وان الانسان العادل فى قضائه لا يحزن لما يصيب العاصى وان  
كان قريبا له ويسرّ بما يجازى به المطيع ولو كان بعيدا عنه .

\* ( واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحقّ اذ قرّباً قربانا  
فتقبّل من احد هما ولم يتقبّل من الآخر قال  
لأقتلنك قال انما يتقبّل الله من المتقين ) \*

القربان فعلان من القرب يتوخاه الانسان بفعل ما يجلب عاطفة  
مولاه اليه والقربانين في الشرع هي كل عمل يقرب من المولى كما جاء في  
الآثار الصلاة قربان كلّ تقى ومنه تذكية الحيوان المأكول اللحم وتوزيعه  
في سبيل الله ، وضمير الخطاب في قوله اتل لنبيّ الاسلام وضمير في  
عليهم للمسلمين وانما قيّد تلاوة نبأ ابني آدم بالحق لان الناس في كل  
عهد متأخر عن زمن الواقعة يحورون مجارى حديث ما سبق حتى يعود  
في غاية الغثاثة من السقم فأراد الله من نبيّه ان يتلو على معاصريه  
حقيقة الواقع لتكون لهم خبرة وعبرة اما الداعي الذي أهاب بابني آدم  
ان يقربا لله قربانا فقد جاء فيه من طريق الآثار ان حواء امرأة آدم  
كانت تلد في كل بطن غلاما وجارية فولدت اول بطن قابيل وتوأمته اقليما  
والبطن الثانى هابيل وتوأمته لبوذا فلما بلغ الجميع اشدّ هم الطبيعي  
امر الله آدم ان ينكح قابيل اخت هابيل فرضى هابيل وابى قابيل لان  
اخته كانت احسن وقال لأبيه ما امر الله بهذا ولكنه من رأيك فامرهما  
آدم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك فعدا هابيل وكان صاحب ماشية فأخذ  
من خير غنمه زبدا ولبنا وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شرّ زرعه ثم  
صعدا فوضعا القربانين على جبل فنزلت نار من السماء فأكلت قربان  
هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غائبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور  
البيت بأمر ربه فقال قابيل لاعتشت في الدنيا وقد تقبّل قربانك ولم يتقبّل  
قربانى وتريد ان تأخذ اختى الحسناء وآخذ اختك القبيحة فشدخه



بحجر فقتله .

ويشكل من ناحية كما يستغرب من ناحية ثانية على الداعى المزبور انه كيف جاز للأخ ان يتزوج اخته وهو من اقبح المفاهيم بين متشرعة اليوم ولحدّ الآن يقربّ الناس قرابينهم لسدّة المولى سبحانه فلم تر نار تنزل من السماء تميّز المقبول منها عن المردود أما الجواب عن الأوّل فبسيط لان استنكار متشرعة اليوم تزوّج العمّة والخالة والأخت والبنات قائم على ما هو مأنوس لأذهانهم من قوانين الدين الموظفين بهـ والحلال ما احلّه الله والحرام ما حرّمه بأىّ داع كان وذلك لان المحرّم تارة يكون عقليا كالظلم وتارة يكون شرعيا كتزوّج الأخت وتارة يكون عاطفيا ككراهة النفس ان يتزوج صاحبها المحللة الشرعية المتربية معه من أول العمر الى آخره المخلوطة به خلط الأخ بأخته .

وأما عن الثانى فليس هو بمثابة الأوّل فى البساطة وان لله فى خلقه شؤنا هو اعلم بها وقد يكون داعى ذلك هو الأعجاز وانما لم يفعل الله المعجز فى كل موطن لأحقاق الحق وابطال الباطل لان فيه خرقا لنواميس الطبيعة وخروجا عن دائرة الاختبارات القائمة عليها شرعة التكليف .

هذا ويستفاد من قوله تعالى قال لأقتلنك ان غريزة الحسد سارية فى تخوم خلقة البشر فان تهد يد الغير بالقتل على فعل غير مربوط به من الخطأ بمكان سحيق وقوله تعالى انما يتقبّل الله من المتقين مشعر بأنّ قبول فعل الطاعة غير اسقاط الوظيفة فقد يقوم المكلف بوظيفة التكليف فيسقط قيامه بذلك مسؤولية التكليف عنه لكنه لا يثاب عليه لفسقه من نواحى أخرى وهو امر معقول يشفعه الاعتبار فان الحالات النفسية من ظلمانية ونورانية لها كلّ الأثر فى قبول ما يصد ر عن المكلف وعدم

قبوله بحسب الحالات المشار اليها .

\* ( لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني ما انا بباطل  
 يدى اليك لأقتلك انى اخاف الله رب العالمين  
 :انى أريد ان تبوء بأثمي واشمك فتكون من  
 اصحاب النار وذلك جزاؤ الظالمين :فطوّعت له  
 نفسه قتل اخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ) \*

بسط اليد مدها والمباة هي المرجع وطوّعت له نفسه اذا رغبته  
 وشهته وقائل قول لئن بسطت هو الأخ المحسود الذي هدده حاسده  
 بالقتل وليس معنى ما انا بباطل يدى اليك اننى حتى فى مقام الدفاع  
 اف امامك مكتوف اليدين بل معناه اننى لا ابتدؤك بقتال اصلا لأننى  
 اخاف الله والله سبحانه منع من الابتداء بأية اذية لأى احد كان ولا شك  
 ان سكونى عنك سيغريك بالجهل لأنك جاهل ومتى عملت جهلك فقد  
 رجعت الى زاوية مظلمة بالجرائم تلك الجرائم التى تلحقك بسبب قتلك  
 لى وجرائمك السابقة التى من بعضها اعمالك للحسد واذا كنت مضاعف  
 الذنوب كنت من اصحاب النار الملازمين لها وملازمة النار جزاء الظالم  
 فرغبت هذا الجاهل نفسه فى قتل اخيه فأعمل رغبة نفسه فأصبح خاسرا  
 لنفسه عند ربه وخاسرا لأخيه عند نفسه لو التفت .

\* ( فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف  
يوارى سوءة اخيه قال ياويلتا أعجزت ان اكون  
مثل هذا الغراب فأوارى سوءة اخى فأصبح من  
النادمين ) \*

البعث هو التحريك والأرسال والبحث فى الارض هو كشط قشرتها  
والتعمق فيها ومنه بحث المطلب والمسألة العلمية والغوص على  
الدقائق والسوءة فى الأصل مايسىء واطلقت هنا على العورة لأن اهم  
موجبات دفن الميت هو ستر عورته وبالأخرة حراسة جثته والويل كلمة  
دعاء بسوء .

وباعتبار ان هابيل أول ميت شاهدته البشرية لم يدرك قابيل بعد قتله ماذا  
يصنع فبقى فى حيرته زمانا فسخر الله غرابا يحمل غرابا آخر ميتا وجعله  
نصب عين قابيل واخذ الغراب الحى يحفر بمنقاره ورجليه حفيرة وضع  
فيها الغراب الميت بعد ان مهد حفرتها له بما تسعه وتحرس جثته  
فالفت ذلك جيدا نظر قابيل ففعل مثل فعل الغراب بصاحبه ثم ادركه  
عقله فوجد نفسه فى ضلال مترامى الجنبات قتله لأخيه بغير حق وجهله  
بكل شىء حتى بمواراة اخيه بعد موته وعدم استحصاله على نتيجة من  
هذه الأعمال القبيحة مضافا الى طرد ابيه له وتشريده به فذهب الى  
عدن طريدا شريدا ملابسا للرزائل حتى مات وولد لآدم بعد ذلك  
سُميت فكان وصيه وولى عهد ه ومنه انتشر نسل آدم .

\* ( من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل  
 نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل  
 الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس  
 جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا  
 منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون ) \*

طبعاً يكون فعل كل حكيم متركزاً على اسس صالحة وقواعد رصينة  
 وغايات عالية و فى طبيعة ذلك فعل الله فانه لم يخلق البشر لتحمل  
 الأذى ونشر الفساد و ايجاد الخصومات بل خلقه لينوش لذة جسمه  
 وسعادة نفسه ولذلك لم يسن له فى اصل خلقته قانون جزاء لان قوانين  
 المجازاة انما تسن للمخربين والتخريب ليس من اهداف الخلقه لكن  
 البشر لما انحرف عن الجادة المرادة له باختياره واخذت السيئات  
 تتبادر منه و وضع له عند بروز كل بادرة حد فاصل واول بروز البوادر ما  
 صنعه قابيل بها بيل فكان ذلك مدعاة لوضع قانون القصاص بعد الاشارة  
 بأصل علمي جعل كالمقدمة لوضع هذا القانون وهو ان كل من يسن  
 سنة سيئة تحمل عليه اوزار سيئته واوزار كل عامل بها الى الأبد لانه  
 اخترع بذلك ما لم يكن موجودا بين الناس فمهدده ووضعه بين ايديهم  
 فعرفوه والفوه وهكذا مخترع الحسنه يكون له ثوابها و ثواب من يعمل بها  
 بعين الملاك ومن هنا قال سبحانه انه من قتل نفسا بغير نفس اى لا  
 بقصاص او فساد فى الارض اى لافى جهاد و دفاع مشروعين بل لأجل  
 قطع طريق واخافة سبيل فكأنما قتل الناس جميعا لانه ابتكر لهم عملا  
 لم يكونوا مسبوقين به فعرفوه من ناحيته والفوه وجرى بينهم واستشرى  
 فى عموم جماعاتهم استشرى العادات والتقاليد ومن احياها بالكف عن

ابداً النظريات المغرية والافعال القبيحة وبالأيضاً بالصلاح والسداد والمعروف وفعل الخير فكأنما احى الناس جميعاً بسد طرق الفساد عليهم وفتح ابواب الخير والمعروف بين يديهم ، ثم عقب سبحانه على هذه الملاكات بما اوجب اللائمة على بنى اسرائيل بان رسلهم جاءتهم بآيات بيّنات تسديدا لخطاهم فى الحياة لكن الكثير منهم لم يعبأوا بذلك وتجاوزوا الحدود التى حدت لهم وبذلك كانوا مسرفين والمسرف خاطيء وهالك .

\* ( انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم : الآ الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ) \*

محاربة الله والرسول ليست هنا على حقيقتها وانما المنظور محاربة من يريد الله له السلم والأمان والراحة والأطمئنان بقطع الطرق عليه وافساد الارض فى وجهه واقلاق الحياة عليه فى مسيره الحيوى وقد جاءت هذه الآية بتناسب مع صدر الآية الآنفه حيث قال هناك من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض والذى يظهر من الآية ان حكم المحارب واحد من عدة امور ( احدها ) القتل ( وثانيها ) الموت بطريق الشنق ( وثالثها ) قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ( ورابعها ) النفى من البلد والتبعيد عنه والتغريب الى غيره وان الحاكم الشرعى يوقع به اى نوع اراد من هذه الانواع المذكورة ولكن جاء عن الصادقين عليهم السلام

السلام انما جزاء المحارب على قدر استحقاقه فأن قتل فجزاؤه ان يقتل وان قتل واخذ المال فجزاؤه ان يقتل ويصلب وان اخذ المال ولم يقتل فجزاؤه ان تقطع يده ورجله من خلاف وان اخاف السبيل فقط فانما عليه النفي لا غير وتفيد الآية ان ايقاع الحد عليه لا يسقط عذاب الآخرة عنه والاعتبار العلمى يساعد ذلك الا اذا حصلت منه التوبة النصوح ويستفاد من قوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ان المحارب اذا تاب قبل ان يقبض عليه فلا حد عليه اصلا وذلك حق فيمن لم يقتل احدا او يسلبه ماله اما اذا كان قاتلا لأحد او سالبيا منه المال فان توبته لا تسقط هذه الحقوق عنه كما يستفاد من مفهوم الآية ان التوبة بعد القبض عليه لا تسقط عنه حدا كما انها لم تسقط عنه حقا وتشعر الآية بأن كل من يريد اخاه او اخوته فى النوع بأى سوء يفرض و اى اغتصاب حق فأنه مجرم فان لم يكن مشمولا فى حكمه لهذه الآية فانه مشمول لغيرها ولما جاء فى السنة عن مصادر الشرع كل هذا تعزير للحق ودحر للباطل وتأمين لكافة الحقوق المشروعة لأى احد فرض .

\* ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ) \*

تقوى الله هي الخوف منه بالتزام طاعاته واجتناب معاصيه كل ذلك لسعادة نفس المكلف شخصيا ونوعيا والابتغاء هو الطلب والوسيلة هي الأمر المقرب يريد تعالى انه يجب على المكلف ان يحاول ما فيه القرب من الله والنيل من رضوانه وموجب رضوان الله من فعل واجب ومستحب وترك حرام ومكروه مبسوط في الكتب الفقهية وسبيل الله كل هدف فاضل لأن الله رمز كل فضيلة والجهاد في هذا السبيل معناه تشييد الفضائل علما وعملا بالدم والدرهم والقلم والقدم وغير ذلك من الوسائل ولعل وان كانت كلمة ترجى الآ انها في مثل هذه السياقات تشعر بالتحتم فمعنى لعلكم تفلحون انكم مع الايمان بالله اذا اتقيتموه وطلبتم اليه الوسيلة وراعيتم ما يوجب القرب منه وجاهدتم في سبيله تكونون ناجحين قطعاً مفلحين يقينا .

\* ( ان الذين كفروا لو أنّ لهم ما فى الأرض جميعا  
ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما  
تقبّل منهم ولهم عذاب اليم : يريدون ان يخرجوا  
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ) \*

فرق واضح بين القضاء الداخلى فى الحكومات العادية والقضاء  
العادل الذى يريد به الشرع وينفذه فان القضاء الداخلى فى الحكومات  
العادية لا يمشى على ما يريد به القانون ومهما كان القانون فى نفسه بل تحرفه  
الشفاعات والرشوات فما من احد تضطره الحوادث الى دخول دور  
العدل الا ويتخذ وسيلة حاكميته على طرفه قبل دخولها ومهما كان  
طرفه محقا وكان هو مبطلا وهذا المعنى مستحيل التحقق فى القاضى  
العادل فكيف بالامام الشرعى وكيف بالنبي المعصوم ثم كيف باللّه  
سبحانه وعلى هذا الملاك ساق سبحانه فرضيته بقوله ان الذين كفروا  
باللّه وتمردوا على الواقع وعاندوا الحقيقة لو انّ لهم على نحو المالكيه  
الصحيحة جميع ما فى الأرض ومثله معه بمعنى ان كل واحد من الكفار  
كان يملك ذلك وحضروا عن طيب نفس ان يبذلوه عوضا عما يستحقونه  
من العذاب لما قبل منهم وكان لزاما ان يذوقوا ما هو حقهم من عذاب  
اليم ، يريدون ان يخرجوا من النار اذ لا قرار عليها لكل ذى حس  
لكنهم ليسوا بخارجين منها ولهم عذاب مقيم معهم بمقدار ما يفرضه  
العدل عليهم فالآية تشير فى نهاية المطاف الى اصلين مهمين (الأول)  
ان اللّه لا هوادة عنده فى مقام احقاق الحق كما هو مقتضى العدل  
( الثانى ) ان الانسان اذا قضى شطره الأوفر من عمره فى الاعمال  
الانحرافية واراد النزوع منها عسرا وتعذّر عليه ذلك لان عطف الروح



والبدن بعد مرور ازمان الى خلاف ما كانا عليه من خطة عسير جدا  
والعيان مؤيد عظيم لهذا البيان .

\* ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما  
كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم : فمن تاب  
من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ان  
الله غفور رحيم : ألم تعلم ان الله له ملك  
السموات والأرض يعدّب من يشاء ويغفر لمن  
يشاء والله على كل شيء قدير ) \*

المحارب الذي تقدم ذكره هو قاطع الطريق والسارق هو المختلس  
فالأول مجاهر والثاني مخفي واليد تطلق اطلاقا حقيقيا على العضو  
كله الى الكنف وعليه الى المرفق والى الزند والى اصول الاصابع والنكال  
هو العقوبة والآية مجملة في كم ما يسرق فعند الخاصة انه لا قطع فيما  
دون ربع دينار والاطلاق يتناول كل مسروق قليلا كان ام كثيرا بلغ ربع  
دينار ام لم يبلغ وهكذا الآية مجملة في اليد فلا يدري من ظاهرها  
اى معنى اريد والمتيقن هو الأقل اى من اصول الاصابع كما عليه  
الخاصة لكنهم يستثنون الابهام من القطع واشترط الخاصة ايضا فى  
السرقة الموجبه للقطع ان تكون من حرز فلو اخذ من غير حرز لم يقطع  
وهناك تفاصيل اخرى مبسوطه فى كتب الفقه .

وتوبه السارق من ظلمه ان كانت قبل تقديمه الى الحاكم تنفعه فى  
اسقاط الحدّ عنه دون ضمانه للمال وان كانت بعد تقديمه فلا ، ثم  
عقب سبحانه هذا الحكم بأنه انما حكم بالقطع وعفى عن التائب فلأنه  
المالك الواقعى الحكيم فتصرفاته فى مملوكه ليست اعتبارية حتى يقال

فيه أنّه متحكّم ، وقد يشكّل الجدّد على جملة من الحدود الشرعية القائمة  
 أمّا باتلاف النفس او نقص الأطراف بأنّها فى الاتلاف تحكّم بتضعيف  
 البشرية من طريق تقليل افرادها وفى نقص الأطراف تحكّم بتكثير  
 ناقصى الخلقة فى مجموعة الناس ولكنّ هذا الاشكال تافه الى ابعد حدّ  
 فان احترام الانسان منوط بكسبه للشرف ومتى انحطّ كان اتلافه من  
 النعمة على الباقيين ، وأمّا بالنسبة الى نقصان الخلقة فالجواب بعينه  
 مضافا الى ان تنفيذ هذه الحدود مما يمنع عن التكرّر قطعاً فان  
 المنحرف الفاسد اذا وجد أنّ ماله يدفع عنه او ضربه يخلّصه او سجنه  
 غاية جزائه لم يحجم عن التقدم الى الأفساد بخلاف مالو جزم بان  
 خلقتة سوف يشوّهها التأديب بقطع يده او رجله او هما معا فانه لم  
 يقدم على ذلك الا اذا كان مجنوناً فاقدا للشعور .

\* ( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يظهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ) \*

المراد بالسَّماع للكذب هو الذى يشيع الكذب الذى يسمعه فى حق من يكرهه تبريدا لغلته وتخفيفا من حدة عداوته والفتنة هنا الاختبار اما صدر الآية وهو قوله يا أيها الرسول والمراد به رسول الاسلام وبتنقيح الملاك يشمل كل مؤمن ثابت الايمان فمفاده لا ينبغي لك ان تحزن وتجد فى نفسك من مسارعة المنافقين فى الكفر والضلال فان الرقم الواسع من الناس يسود عليهم الانحطاط والسقوط ومن اجل ذلك تراهم مذبذبين يمشون مع كل احتمال يؤمن لهم غرضا ويثبت لهم مقصدا ولا يهتمهم من الحق والحقيقة اقل شىء وهذه الشيمة جارية مع البشر على طول اجيالهم فلا تستغرب ذلك اذا رأيته .

واصولا عوامل انحطاط المجمع تتصور فى عدة اصول (الأول) سنّ القوانين على مقتضى الرغبة والميول النفسية لا على ضوء العقل البرئ والمنطق الرزين (الثانى) عدم تنفيذ القانون ومهما كان فى نفسه من جراء الخيانة التى يتبطنها نوع المنصوبين لتنفيذ القانون (الثالث)

عدم تأدب الأفراد بالأدب الصحيح والاخلاق العالية ونوع الناس من اهل هذا القسم وهم الذين يستفيد منهم الانتهازيون الدجالون بالتدليس عليهم والتمويه ويستغلون تكثرهم حولهم والأستعانة بقواهم . وقوله تعالى ومن الذين هادوا يجوز ان يكون عطفاً على قوله من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم فيكون فريق اليهود على هذا من المسارعين في الكفر وان لم يكونوا من فريق المنافقين ومسارعتهم في الكفر انحرافهم المرّة بعد الثانية عن مقررات دينهم ونظم قوانينهم وتحديثهم لأنبيائهم وكما قال تعالى سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه الى آخر ما قال وبعض من هذا الذي ذكر في حقهم يوجب الكفر عليهم وعلى هذا الوجه يكون قوله سمّاعون للكذب خيراً الى مبتدأ محذوف تقديره هم سمّاعون للكذب ويجوز ان يكون ومن الذين هادوا غير عطف بل هو استئناف كلام فيكون الجار والمجرور خيراً مقدماً وسمّاعون للكذب مبتدأ مؤخرًا .

وجاء في مورد نزول الآية ان امرأة ذات بعل وشرف من خيبر زنت برجل محصن من اشرافهم وحكم الزانى المحصن الرجم فكرهوا ان يرجموهما فأرسلوا الى يهود المدينة ان يسألوا النبي عن ذلك طمعاً في أن يكون الحكم عنده في الزانى المحصن غير الرجم فانطلق قوم منهم الى النبي فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا ما حدّهما فقال وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرئيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا ان يأخذوا به لانهم حاولوا بسؤاله ان يحصل لهم ما فيه خفة عليهم فقال جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له فقال النبي حينذاك هل تعرفون شاباً امرد ابيض اعور يسكن فدكا يقال له ابن سوريا قالوا نعم قال فأى رجل هو فيكم قالوا اعلم

يهودىّ بقى على ظهر الأرض بما انزل الله على موسى قال فأرسلوا اليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى انزل التوراة على موسى وقلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلّل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن قال ابن سوريا نعم والذى ذكرتني به لولا خشية ان يحرقني ربّ التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن اخبرني كيف هي فى كتابك يا محمد فقال اذا شهد اربعة عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن سوريا هكذا انزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبي واىّ داع دعاكم الى تغيير حكم الله فى الزانى المحصن قال كذا اذا زنا الشريف تركناه واذا زنى الضعيف اقمنا عليه الحدّ فكثير الزنا فى اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلاننا يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع ونضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة ثم تسودّ وجوههما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فقالت اليهود لابن سوريا ما أسرع ما اخبرته فقال انه انشدني بالتوراة ولولا ذلك لما اخبرته فأمر بهما النبيّ فرجما عند باب مسجده وقال انا اول من احيا امرك اذ اماتوه .

وعلى هذا فمفاد قوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب انهم لا يهتمهم فى انجاز مقاصدهم واية كانت مقاصدهم استطراقهم للباطل وفعلمهم له بناء على ما هو الشائع المعروف بين اهل الدنيا ان الغايات تبرر الوسائط ومن جملة ذلك ترصد هم للكذبة واخذهم عنهم واشاعة ذلك بين الناس لأهداف تهيب بهم الى ذلك ، وقوله سماعون لقوم

آخرين لم يأتوك انهم يأخذون عن اناس ليسوا من اصحابك الآخذين  
عنا ليركزوا على نقلهم عنك ما هو غاية لهم ومقصود يريدون تحقيقه  
ورصيد النسبة اليك وان لم يسمعه منك او ممن سمعه منك .

يحرّفون الكلم والمراد به ما نزل عليهم فى التوراة وغيره من بعد  
مواضعه بمعنى انهم يحورونه ويمسخونه عن واقعته ، يقولون اى يقول  
بعضهم لبعض فى مسألة الزنا من المحصن الذى اشير اليه فى مورد  
نزول الآية ان اوتيتم من محمد هذا وهو التنزل عن الرجم الى ما سواه  
مما هو دونه فخذوه منه واقبلوه عنه وان لم تؤتوه بل عين الرجم عليكم  
والزمكم به فاحذروا منه ولا تأخذوا عنه .

ثم ابان سبحانه للنبيّ مسألة اخرى وهى ان النبوة عبأ ثقيل لما  
تواجه فى طريقها من اعنات كثير وذلك ان الله سبحانه لا يتبرك  
اختباراته لعباده وهذه الاختبارات قد تؤدى الى شلّ حركة النبوة  
وتوقّف تقدمها بين الناس نظير اختبار الله لأمّة موسى بالسامرى وصنعه  
العجل لهم وعبادتهم له فى حال انهم قربوا عهد بالمعجزات  
العظيمة الدالة لهم على وجود الله وحده من دون شريك وفى حال  
انهم بانتظار رجوع موسى اليهم بالألواح من ربهم لتكون لهم قانون  
حياة يعيشونها على ضوء التوحيد وهذا الأختبار مما عسر على موسى  
سوق نبوته الى الامام فى بنى اسرائيل فانت يا محمد فى دور نبوتك  
كذلك ربما تواجهك اختبارات لك او لقومك تعسر عليك سير نبوتك الى  
الامام بينهم .

ومعنى ومن يرد الله فتنته اى اختباره فلن تملك له من الله شيئاً  
اى ليس بك ان تلوى بقضاء الله وقدره فيه بل قضاء الله غالب عليك  
وعلى غيرك ؛ اولئك ؛ اشارة الى الذين لا يؤدون الامتحان كما يراد منهم

بل ينساقون مع الميول والأهواء ويتركون الحق لأية بادرة تدعوهم الى ذلك وهم الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لا لأنه يريد محقهم عفوا ورغبة نفس بل لأعراضهم عنه وبعد هم منه ممّا اوجب لهم انقطاع لطف الله عنهم ، لهم فى الدنيا خزى بوقوعهم فى الذمة وادائهم الجزية قلوبهم فى الآخرة عذاب عظيم جزاء لتمردهم وتعنتهم وتحويرهم للحقائق وترويجهم للباطل وانحيازهم عن رسالة السماء الى مستدعيات الأهواء .

\* ( سمّاعون للكذب أكالون للسحتف أن جاؤك فاحكم

بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن

يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط

ان الله يحبّ المقسطين : وكيف يحكمونك

وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد

ذلك وما اولئك بالمؤمنين ) \*

أكال مبالغة فى الأكل والسحت فى الأصل هو الاستئصال واطلق فى الشرع على الحرام لأنه يهلك صاحبه عند الله وقد يؤدى اكل الحرام الى الهلكة النبوية ايضا وكرّر سبحانه قوله سمّاعون للكذب تأكيدا لما سلف وتثبيتا لهذا المفاد والتعبير بصيغة المبالغة فى اكل السحت معناه انهم جريئون على فعل الحرام واكله ولا تقف امامهم ذمة دين فى ذلك وهذا منتهى الذمّ لهم ولظلمة بواطنهم وخبث ضمائرهم فأن جاؤك يانبىّ السلام محكمين لك فى شأن من شؤونهم فليس عليك الزام فى الحكم بينهم فأن شئت حكمت وان شئت تركت ولا تأخذك فى الأعراض عنهم واهمة ضرر فأنهم لا يستطيعون ان يضروك وان احببت الحكومة فاحكم بينهم على طبق حكم القرآن لا على ما هو الدارج بينهم ان الله

يحبّ العادلين عن الباطل الى الحق المنصفين غير الجائرين .  
 ثم ابان سبحانه له ان تحكيمهم لك لا ثبات لهم فيه لأنهم اناس  
 انتهازيون لا يعرفون حقا من باطل الا ما آمن رغبتهم ودليل ذلك ان  
 التوراة التى هى كتابهم ومحلّ اعتقادهم ويعترفون بأن محتوياتها من  
 حكم الله جزما تحكم عليهم ولا يعلمون بها فكيف يأخذون بقولك على كل  
 حالة وافقت رغباتهم ام خالفتها ومثل هذا العنصر ليس بمؤمن اصلا  
 لا بك ولا بما يدعيه هو من دين .

\* ( انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها  
 النبيون الذين اسلموا للدين هادوا والربانيون  
 والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه  
 شهداء فلا تخشوا الناس واخشونى ولا تشتروا  
 بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله  
 فاولئك هم الكافرون ) \*

الهدى هو الهداية واراتة الطريق والنور هو الوضح الفارق بين  
 الوهدة والنجدة والحق والباطل وهادوا بمعنى تابوا ورجعوا من الكفر  
 الى الأيمان والربانى هو المنسوب للرب بمعنى انه متخلق بأخلاقه والأحبار  
 جمع حبر هو العالم واستحفظ بالمجهول من يوظف بحفظ الشئ وضبطه  
 والشهداء جمع شاهد .

لما تعرّض للتوراة فى الآيه السابقة بقوله وكيف يحكمونك وعند هم  
 التوراة فيها حكم الله أبان فى هذه الآيه جلاله التوراة وما فيها فقال  
 ان التوراة كتاب الله وتنزيله فيها نظمه وتقاريره وعلمه الذى لا يشوبه  
 جهل او خلاف واقع وهو النور الفاصل بين الحق والباطل والقانون



الذى يحكم على طبقه كل الانبياء الذين اسلموا وجوههم وامورهم لله وهذا القيد توضيحي اذ يستحيل على الأنبياء الا يكونوا مسلمين نعم انما يحكم الانبياء على طبق ماورد فيه حيث لم ينسخ منه شىء بشريعة لاحقة لنبي لاحق من الانبياء كما حكم نبي الاسلام برجم اليهوديين لما كان حكم القرآن والاسلام فى ذلك واحدا مع التوراة والى ذلك الاشارة بقوله للذين هادوا فان الجار والمجرور متعلق بيحكم والربانيون والأخبار عطف على قوله النبيون اى كذلك يحكم بالتوراة الربانيون والأخبار بسبب ما استحفظوا اى جعلوا حفظة لكتاب الله الذى هو التوراة وقوله وكانوا عليه شهداء معناه انهم كانوا عليه ناظرين فلا تخشوا - ايها النبيون والربانيون والأخبار فى اجراء محتويات هذا الكتاب - الناس الذين لا يلد لهم اجراء ذلك ويصطدم مع مصالحهم فان القانون اذا روعى به اذواق الناس بطل وأصبح مهزلة من المهازل كما نراه عيانا بأحد اقنا فى الأمم المنهارة فى اجراء قوانينها، واخشونى بمعنى احقوا الحق وابطلوا الباطل فى كل مجال ومع اى احد، وقوله ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا هو من باب اياك اعنى واسمعى يا جاره اذ يستحيل على النبي عقلا وعلى الربانى الحبر عادة ان يبيع آيات الله بأى ثمن يفرض قليلا كان ام كثيرا نعم يجوز ذلك فى حق المتصددين للفتيا والقضاء اذا لم يكونوا انبياء ولا ربانيين ولا اخبارا بالشرط فانهم يحورون الأحكام السماوية بالرشا وتأمين المصالح وغير ذلك ومن لم يحكم بما انزل الله بل بدل حكم الله وغيره فأولئك هم الكافرون لان المبدع كافر .

\* ( وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين  
 بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنن  
 بالسنن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو  
 كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم  
 الظالمون ) \*

القصاص مأخوذ من اقتصاص الأثر وهو ترسم ما احدث فى الارض  
 من علائم ومن خصائص ما انزلناه فى التوراة وحكمننا به وهو بنفسه ثابت  
 فى دين الاسلام ونظامه القصاص فى الأنفس والأطراف والجروح فى  
 الجنايات العمدية مع التكافؤ بين الجانى والمجنى عليه ومع عدم خوف  
 التلف فى الجراحات فمن قتل انسانا عمدا بغير حق فان ولى المقتول  
 يستحق عليه القود الا ان يتنزل الى الدية او يعفو بالمرّة ومن قطع  
 عضوا من آخر عمدا بغير حق ثبت للمجنى عليه حق القصاص اذا لم  
 يكن فى القصاص تغرير بالنفس كما فى المأمومة والجائفة وفى كل ما اشرنا  
 اليه تفاصيل فى كتب الفقه لاجال للتعرض لها هنا لسعتها .  
 وقوله فمن تصدق به فهو كفارة له معناه ان من يتنزل عن حقه فكأنما  
 تصدق على طرفه وهذا التصدق يكون كفارة للمجنى عليه ، ثم ذكر  
 سبحانه ان كل من ينحرف عما قرره الله وقتنه فهو ظالم لنفسه لمسؤوليته  
 الكبرى امام ربه .

\* ( وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما  
بين يديه من التوراة وآتيناه الأنجيل فيه هدى  
ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى  
وموعظة للمتقين : وليحكم اهل الأنجيل بما انزل  
الله فأولئك هم الفاسقون ) \*

التفنية هي ترسم الأثر كالأقتصاص جاءت هذه الآية بعد سوابقها  
حلقة لسلسلة مراتب فبعد ما ذكر سبحانه موسى والتوراة وبنى اسرائيل  
ذكر عيسى بن مريم وشريعته وكتابه واعتبر كل ذلك حلقة وصل لما سلف  
عليه فان كل نبي لاحق مؤيد ومصدق لكل نبي سابق وهكذا شريعته  
وكتابه مؤيدان ومصدقان الا في بعض ما ينسخه الله سبحانه في  
الشريعة اللاحقة من الشريعة السابقة حسب المصالح المقتضية للوضع  
في السابق والرفع في اللاحق وكما امر سبحانه اهل التوراة بالعمل بما  
نيها امر اهل الأنجيل بالعمل بما فيه واعتبر الحائد عن ذلك فاسقا  
منحرفا .

\* ( وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكماً بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ) \*

وهذه الحلقة آخر حلقات سلسلة المراتب التي اشرنا اليها فقال تعالى وانزلنا اليك يا نبيّ الاسلام الكتاب الحاضر فالألف واللام للعهد الحضورى، بالحق، بمعنى انه لا خطل فيه ولا خطأ وكذلك جميع ما انزل الله من كتاب وانما جرى ذلك للتحقيق والتثبيت مصداقاً لما بين يديه من الكتاب الألف واللام هنا جنسية بمعنى الاستغراق اى كل كتب السماء السابقة عليه نزولاً ومهيئنا عليه اى له السيادة والحاكمة على ما سواه من الكتب لكونه خاتمة لها فتقاريره ثابتة لانسخ فيها فاحكم بينهم ضمير الجمع الغائب يجوز ارجاعه الى عموم المكلفين ولا يكون من باب الأضرار قبل الذكر لظهور المرجح كما يجوز ارجاعه الى اهل الكتاب من يهود ونصارى وليس معنى الأمر فى قوله فاحكم بينهم لزوم حكمه عليهم وعدم جواز اعراضه عنهم كما جاء فى آية سابقة فاحكم بينهم او اعرض عنهم بل معناه انك متى اخترت ان تحكم بينهم فاحكم بمضامين القرآن ولا تتبع رغباتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي انحرفوا بسببها عما انزلنا اليك والى غيرك من الأنبياء .

وكان من الحق ان يقال ولا تتبع أهوائهم فيما جاءك لا عما جاءك

لكن لما كان السياق مشعرا بمحذوف في البين تقديره ولا تتبع اهوائهم  
وتعدل عما جاءك من الحق جىء بكلمة عن بدلا من كلمة في : لكل من  
الأمم جعلنا منكم يا جماعة الانبياء لهم شريعة ومنهاجا خاصا اوجب  
التفاوت في بعض تقاريرهما ظهور المصالح ولو شاء الله جمعكم على  
الهدى بالقسر والألجاء لجعلكم أمة واحدة ولكن انما فاوت ليختبركم  
ويظهركم لأنفسكم انكم لستم راكنين الى ارادة الرب فيكم بل تماشون  
رغباتكم وتنعطفون مع ميولكم واذا كنتم كما تدعون من الركون الى ارادة  
الله بكم فتسابقوا الى فعل الخير وعمل البر فان مآلكم جميعا اليه لا يشد  
منكم احد عن الوقوف بين يديه فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون في حال انه  
لا مجال للأختلاف فيه لان الحق واحد والرب واحد والمصير واحد .

\* ( وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم  
واحد رهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله  
اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم  
ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون :  
أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما  
لقوم يوقنون ) \*

ذكر سبحانه قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم  
عقيب ما سبق من قوله فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهوائهم تأكيدا  
له وتثبيتا لنبيه ورصيда لقوله واحد رهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله  
اليك ومع العلم بأن النبي تخفزه عصمته عن ان يستحوذ عليه شياطين  
الأنس نيهه الى ذلك ليأخذ حذرهم وفي الآيه اشعار بلزوم الحذر  
من كل منحرف ومدلس وعدم جواز الأطمئنان الا بالثقة المكشوف  
بالتجربة فان وجدوك يانبى الاسلام حذرا متيقظا لا تنجرف مع اهوائهم  
فأنهم يدبرون عنك لحصول اليأس عندهم منك لكن ذلك لا ينبغي ان  
يضيرك بل ترصد لهم من الله الأطاحة بهم واعلم ايضا ان اهل الكتاب  
بتمردهم عليك وتوليهم عن الحق ليسوا بدعا فى البشرية فأن الكثير من  
الناس اهل كتاب كانوا ام غيرهم انتهازيون ينحازون الى الهوى  
ويمشون وراء رغبات النفس وذلك علامة الفسق الواضح فاكتف من الناس  
بالمؤمن الواقعى وان قل عدده ولا تذهب نفسك عليهم حسرات .

ماذا ينبغي اهل الكتاب فى توليهم عنك افحكم الجاهلية عبدة  
الاوثان البعيدين عن كل معرفة وثقافة وذمة وامانة يبغون ومن احسن  
من الله حكما ذاك العالم الخبير الفاقد لعناوين العاطفة الجاهلة

من حبّ وبغض غير مركزين على حق لقوم يوقنون بالحق وانه واجب  
الاتباع وبالباطل وانه لازم الاجتناب .

\* ( يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهــــود  
والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولّهم  
منكم فأنه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين  
:فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم  
يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله ان  
يأتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما  
أسروا فى انفسهم نادمين :ويقول الذين آمنوا  
أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم  
لمعكم حبطت اعمالهم فأصبحوا خاسرين ) \*

فى هذه الآيات كليّات واقعية لم يعمل بها الا القليلون من الناس  
مفادها ان الانسان اذا اعتقد بحقيقة عن تأمل وروية علمية وجب عليه  
ان يساندها ويندّد بمن يتحداها وأن يحبّ أنصارها ويؤيدهم ويبغض  
اعدائها ويفنّدهم هذا هو الحق فى المجال الحيوى العقائدى  
للإنسان لكن المسير الحيوى الدينوى أبان لنا فى الأنسان عكس ما  
يفرضه الواقع عليه فقد طفح للأنظار منذ عهد الانسان بنفسه ان  
الكثيرين ادركوا الحقّ وعايينته بصائرهم وجها لوجه وفى مقام عدم  
الحشمة من شىء يظهرون العقيدة به من صميم أعماقهم وينافحون عنه  
بالحجج القواطع لكنهم امام المتفلتين على الحق المنحازين لأهدافهم  
الشخصية يتناسون مقام عقيدتهم ويتجاهلون بها ويتغافلون عنها كأنهم  
ليسوا منها فى قليل ولا كثير واذا عوتبوا فى خلوة عن الناس على

بواد رهم هذه اعتذروا بان الوقت لا يساعد الآ على التناسى لما نعتقد به ونؤيده بقلوبنا حذرا من ان نشتبك مع هؤلاء اللآ بألبين او تتعكر علينا مجارى حياتنا متى لم نجارهم على ما هم عليه من سيرة وطريقة وهذه السيرة الخاطئة والمنطق الفاشل شعار الأكثرين منذ القديم السابق وعلى هذا المعنى استنكر من قال :

فأما أن تكون اخى بصدق فأعرف منك غثى من سمينى  
والآ فاطرحنى واتخذنى عدوا اتقيك وتتقينى

ولم يناصر الحق كما هو حقّه من مجموع اعداد البشرية الآ افراد قلائل احرزوا النبوغ العالمى من وجهة معنوية فقط وأما سهمهم من الدنيا واهلها فالحرمان الكامل من جميع جوانبه وهذا الذى اشرنا اليه هو عصارة ما اراده سبحانه بقوله يا ايها الذين آمنوا بالاسلام ونبيه وكتابه ومقرراته وايدوه وآزروه لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لكم تجالسونهم وتمارسونهم وتخالطونهم وتمتزجون بهم امتزاج الصديق بصديقه بعد ان رصدوا انفسهم لعداوتكم وسعوا فى هدم كيانكم وترصدوا الفرص للأطاحة بكم ، واليهود والنصارى وان كان كل فريق منهم بالنسبة الى الآخر غير صديق ولا رفيق الآ ان الجميع بالنسبة اليكم بمنزلة عدو واحد لأنهم يشتركون فى دحركم ومحكمكم وسحقكم وكل مسلم مؤمن منكم وان تظاهر بالاسلام ولكنه مع ذلك صديق لهم فانه محسوب منهم وليس منكم وظالم لنفسه ولعقيدته ولدينه ولأخوتسه الدينيين وان الله لا يسد د خطى القوم الظالمين .

فترى يا نبى الاسلام ( او كل من تتأتى منه الرؤية من المؤمنين ) اولئك الذين يدعون الأيمان لأنفسهم ولكن مرض النفاق آخذ بمجامع قلوبهم يسارعون فى مداخله اهل الكتاب ومصادقتهم والأنحشار بهم



ويعلّلون ذلك لو سألوا عنه بانهم يخشون بواد ر الدنيا على المسلمين فأذا اصابتهم دائرة كان لهم ملجأ يتحصنون به وهم اصدقاؤهم من اهل الكتاب والمشركين .

هنا توجه القرآن لنبيّ الاسلام والمسلمين فقال عسى الله — وعسى وان كانت للترجى من الناس لكنّها من الله تفيد الحتم لعلمه بالمستقبل كعلمه بالماضى — أن يأتى لكم بالفتح لمكة ام القرى او يوقع الذلّة والهوان على مناوئكم فتصبحوا انتم المسلمين المخلصين طامحى رؤسكم ويصبح اولئك الانتهازيون المداهنون على ما اسروا فى انفسهم من نفاق ومداجاة نادمين وحينذاك وبعد أن يفتضح امر المداجى ويندحض المشرك والكتابى يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين اقساموا بالله غاية اليمين والقسم انهم لمعكم فى الدين والأيمان والاسلام وهم فى الواقع يخاتلونكم كما يخاتلون ذلك الفريق من مشركين واهل كتاب لاشكّ ان المداجى لا عمل له وكل اعماله مع المداجاة تعود محبطة وسيصبح خاسرا لكافة اعماله عند ربّه .

التفسير ج ٣ من يرتد عن الله فان له مخلصين من عباده ٦٠

\* ( يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ) \*

الخطاب بيا ايها الذين آمنوا لجماعة المسلمين بما هم على ظاهرة الاسلام، من يرتد منكم ، اى يتراجع الى الورا ، وهو الشرك الذى كان عليه آفا وهذا الارتداد لا يفترق فيه كونه زمن الرسول او بعده وأما القوم الذين يأتى بهم ويصفهم بأنه يحبهم لأخلصهم فى ايمانهم ويحبونه لراسخ عقيدتهم به وانهم متواضعون لأخوتهم المؤمنين متعالون على الكافرين مجاهدون فى سبيل الله غير مباليين بمن يلومهم على هذه المفاداة فهم كل مسلم صادق فى ايمانه شهم فى نفسه حر فى عقيدته وليست الآية مخصوصة بواحد دون آخر اذ لا مخصص فيها مع اباء مضمونها عن الانطباق على فرد خاص او مبهم ولا شك ان المكلف اذا اتصف بالايمان الصحيح والاخلاق الدينية الفاضلة والمجاهدة فى سبيل الحق وعدم الاكتراث بلوم اللائمين فى ذلك فقد نال فضلا من الله واسعا والله واسع فى فضله عليم بد فائن قلوب خلقه .

\* ( انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون :ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فأن حزب الله هم الغالبون ) \*

انما للحصر بلاشكّ والذي أريد حصره هو الولاية بمعنى القيومة والأشراف على الأمور لوضوح أن لا قيومة لغير الله ورسوله في عالم التكليف إلا لمن ينصبه قيماً كالإمام الشرعي وقيومة الإمام الشرعي على المكلفين كقيومة منصوب الأب أو الجدّ للأب على غير البالغ من اولادهما والذي له الولاية الشرعية بعد الله والرسول هو الامام الذي يوصى اليه النبيّ ونائب الامام وهو الحاكم الشرعي اعنى الفقيه الجامع لشروط المرجعية والعدل الثقة الأمين من المؤمنين حيث لا يكون احسد من السالفة عناوينهم وقد يكون هذا المعنى هو المشار اليه بقوله تعالى والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون .

وقد وردت آثار كثيرة عن العامة والخاصة ان مورد نزول هذه الآية هو امير المؤمنين عليّ عليه السلام وانه في حادثة خاصة تصدّق على مسكين وهو في حال الركوع بخاتمه فنزلت هذه الآية في حقّه ، ثم اعرب سبحانه ان كل مكلف يتخذ الله ولياً له مدبراً لشؤنه قيماً عليه وهكذا يتخذ رسوله ويتخذ المؤمنين الصادقين في ايمانهم فانه يكون غالباً في دنياه واخراه قطعاً ان لا انصح ولا اصدق ولا اصحّ علماً وعملاً من البارئ والنبيّ المعصوم والمؤمن القائم بموجبات الايمان فكيف لا يكون متّبع اولئك غالباً لغيره مهميناً على الحوادث .

وفي ذلك ايحاء م صارح بأن تولّى الأنسان للظلمة ممّا يصيرها ظالماً

على ميزان قدرته في تعديّه لان الناس على دين ملوكهم ومن هنا غلط  
ابناء العامة في تجويزهم خلافة الظلمة وشرعيتها ولزوم الأصاخرة لها فان  
في الأصاخرة لها ما فيه من اشاعة الفحشاء وارتباك الحقوق والعوائل  
كما انجر ذلك الى ما يلابس المجتمعات فعلا على الأخص الممالك  
المسلمة .

\* ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا

دينكم هزوا ولعبا من الذين اتوا الكتاب من

قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ) \*

لم يزل سبحانه يحذّر نبيّه والمؤمنين به من دسائس شياطين  
الأنس اهل كتاب كانوا ام مشركين ويوالى بتذكيرهم من غفلة الاستنامة  
اليهم شارحا لهم ان اهل الكتاب يهزؤون من دينكم ويتخذونه العوبة  
فكيف مع ذلك توالونهم وكيف تصادقون المشركين وهم يكفرون بما انتم  
عليه ويرونه اسطورة فاتقوا الله وخافوه فيما يوصيكم به ويلفت بأنظاركم  
اليه ان كنتم مؤمنين به ولا شك ان هذا الخطاب بمنزلة قضية مهملة انما  
تنطبق على الجزئية للقطع بأن عموم المؤمنين ليسوا كذلك والذين  
ينطبق عليهم قليل في قبال كثير على ان السياق سياق قضية فرضية  
لا خبرية .

\* ( واذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا  
ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ) \*

وهذه الآية من تنمة تلك فان الذي يستهزؤ بأصل الدين لا يتوقع منه ان يحترم الصلاة التي هي قطعة من نظمه ومقرراته وعقب سبحانه ذلك بأن كل ما استهزؤا به من اصل الدين وفروعه منشؤه الجهل بالحقائق والعمى عن الواقع والاعرابية الجافة والعامية المحضة .

\* ( قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا ان آمنا  
باللّه وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وانّا اكثركم  
فاسقون ) \*

وجّه اللّه نبيّه في هذه الآية الى أن يسأل من اهل الكتاب عن جهة استهزائهم بدين الاسلام وحسابه بحساب الألعيب وعن علّة استنكارهم لما عليه نبيّ الاسلام والمسلمون فقال له قل يا اهل الكتاب اي الذين من سمتهم هذه يفهم أنّهم قائلون بالصانع ومعترفون بأرسال اللّه الرسل وانزاله الكتب لتعيين مصير الأجماع ماذا شاهدتم منا فعبتموه علينا لا شكّ انكم لم تشاهدوا منا إلا الأيمان باللّه وانتم تدعون الايمان به كما لم تشاهدوا منا إلا الايمان بكل كتب السماء السابقة نزولا على القرآن وبالقرآن نفسه اما الكتب السابقة على القرآن فلكم ايمان بها واما القرآن فهو كتاب مصدق للثابت منها غير المحرف والمشوّه والمزور اذا فأنتم انما تستنكرون استنكاره على المكذوب وتشهيره بالمزعوم وكلّ مؤيد للكذب والتزوير والتحريف والتشويه فاسق بلا شبهة من احد في ذلك .

ويلحن الخطاب يقول المسلم لهؤلاء المسلمين الذين يكيلون له  
السباب بالرجعية لكونه صلى ويصوم ويتحاشى عن الفحشاء ويتباعد عن  
المغريات والمهملات ويتأثم من الرشا والجنايات ويترفع عن الدنيا  
والخطيئات ماذا تنقمون منا فهل انتقامكم من ذلك لأجل اننا نقول  
بصانع للوجود وكل موجود يدل بذاته على لزوم علة اوجدته وفي نهاية  
مطاف التسلسلات فالطبيعة في اصلها الأولى وهو الذرة موجود يحتاج  
الى موجد فهذا الموجد هو صانع العالم ولأجل اننا نقول بما يوجب  
الفضيلة ويحرم الرذيلة وما يقود اليها فالعقول الفلسفية ردتنا على  
ذلك وكان من الحق ان ننقم نحن منكم لاعترافكم بهذه الأصول علميا  
وانحرافكم عنها عمليا وهذا معنى ان اكثركم فاسقون .

\* ( قل هل أنبأكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضلّ عن سواء السبيل ) \*

الأثابة هي مطلق الجزاء خيرا كان ام شرا والطاغوت فاعول من الطغيان وهو الخروج عن التوازن الصحيح ، هذه الآية معقبة للآية السابقة التي كان مفادها ان ما لا يرضاه اهل الكتاب من نبي الاسلام والمسلمين كان دائرا على ايمانهم بالله وبما أنزل من الكتب السماوية سابقا والقرآن لاحقا فوجه الله نبيه ان يقول لهم ان كان ما نقتموه حقا واعتبرتموه شرا ولذ لك نقتموه فهناك ما شر منه جزاء عند الله والذي هو شر من ذلك وقوع العبد مطرودا من ربه مغضوبا عليه ممسوخا قردا او خنزيرا مترسما خطى الشياطين عابدا لها وهذه الصفات كلها تخص اليهود والكفار ففاد الآية اننا مهما نكن في نظركم شرا فانتم يامعشر اليهود والكفار شر منا لانكم مطرودون من رحمة الله مغضوب عليكم من ناحيته ممسوخون قردة وخنازير عابدون للطاغوت ومن يكن كذلك فهو شر مكانا وأضلّ عن قصد الطريق ، وعبد الطاغوت بصيغة الماضي معطوف على قوله لعنه الله والتقدير من لعنه الله ومن عبد الطاغوت .

\* ( واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد  
خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتنون : وترى كثيرا  
منهم يسارعون فى الأثم والعدوان وأكلهم  
السحت لبئس ما كانوا يعملون : لولا ينهاهم  
الربانيون والأخبار عن قولهم الأثم وأكلهم  
السحت لبئس ما كانوا يصنعون ) \*

فى هذه الآيات أبان سبحانه ان هؤلاء الذين يعيرونكم بالآيمان  
بالله وبما انزل وبمن ارسل قضا اعمارهم على المداجاة والنفاق فهم اذا  
جاؤكم ايها المؤمنون مدوا السننهم بالايمان فى حال ان قلوبهم كافرة  
بما اظهروا جاحدة له سواء فى دخولهم عليكم وخرجهم منكم فهم اذا  
دخلوا عليكم دخلوا بكفر وبعين ذلك الكفر يخرجون منكم والله أعلم بما  
كانوا يكتنون من الكفر وانتم لا علم لكم بذلك ، هؤلاء المداجون يرون من  
اللباقة أن يسارعوا فى المآثم والجرائم والتعدى والظلم واكل مال الناس  
الباطل لانهم يرون بذلك تحصيلا لرغباتهم وتحقيقا لأمنياتهم ولكن  
بئس ما يفعلون لان كل باطل وشر ولا خير فى الباطل والشر ، ثم  
توجه سبحانه وشدّد اللائمة على علماءهم بقوله تعالى لولا — بمعنى  
هلا التحضيضية — ينهاهم الربانيون — الذين ينسبون انفسهم للرب  
وهم ليسوا منه فى شىء — والأخبار عن قول تابعيهم الأثم وهو الكذب  
واكلهم السحت وهو الحرام لبئس ما كان يصنع التابع والمتبوع وفى هذه  
الآية ايجاب على العالم ان يبذل علمه وأن يأمر بمعروف وينهى عن منكر  
وعلى السائرين بالتعلم والعمل على طبقه .



\* ( وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت ايديهم  
ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف  
يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك  
طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء  
الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها  
الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب  
المفسدين ) \*

غلّ اليد شدّها الى العنق واذا كانت كذلك امتنعت من الانبساط  
الذى هو مظنة الفيض والعطاء والمناولة والعبارة كناية عن العجز فى  
مقابل القدرة والبخل فى مقابل الجود وهذه الكناية كثيرة الاستعمال  
فى مقام التعبير عن العجز والأمسك وإنما اطلقها اليهود على الله  
بداعى ما يجول فى اذهانهم من ان الله من اقدر القادرين بطشاً وحولاً  
واوسعهم تصريفاً للكون فعلم نراه لا يسرع بالمؤاخذة للعصاة والظلمة  
ولا يبسط رزقه على الناس فيكونوا جميعاً اغنياء بأن يدرّ لهم المطر  
ويدفع الآفات عن الحيوان والزرع والشجر ولو فعل ذلك لما عصى انسان  
ولما ظلم ولما وجد فى الدنيا شقى بائس وجائع لهفان هذا ما كان من  
زعم اليهود فقال تعالى غلّت ايديهم ولعنوا بما قالوا وهذه العبارة  
يجوز ان تكون دعائية وخبرية وليس كونها دعائية من الله بغريب فانه  
ليس من لازم الدعاء عجز الداعى عن تحقيق مادعا به فان الدعاء  
بالخير وبالشر داعية تارة يكون الرحمة بالطرف وتارة يكون التنفر منه  
وهذا لا يربط له بأعمال القدرة من ناحية الداعى وعدم اعمالها هذا فى  
مرحلة الدعاء .

وأما في مرحلة الأخبار فاليهود ابخل مخلوق وجدته الطبيعة على مجالها فقد سارت الأمثال في بخلهم وطمعهم وأما لعنهم وطردهم عن ساحة عزّ الله فهو ملاء تاريخهم وشعار سيرهم في الحياة منذ كانوا فهم أخباث اهل تمرد ولجاجة وميل الى فعل الشرّ واحداث البدع وردّ عليهم سبحانه في مقابل نسبتهم غلّ اليد اليه انه ليس بعاجز كما تقولون وليس ببخيل بل يداه مبسوطتان في التنكيل والأفاضة لكن مع مراعاة المصالح التي لا نعلم نحن الكثير منها فهو قد يكفكف قدرته ويمسك فيضه لدا ع وقد يبسط قدرته ويفيض رزقه لدا ع آخر ومثل هذا انما يعبر عنه بالحكيم لا بالعاجز ولا بالبخيل .

ثم ابان سبحانه لنبيه عن نكات أخرى في اليهود يجمعها تورّم خبيثهم وظلمة باطنهم بأنك يا محمد كلما تواتر عليك نزول الاحكام المتقنة والأنظمة الجليلة والآداب الفاضلة والاخلاق الجميلة زادهم ذلك لقدارة حسد هم كفرا بك وطغيانا عليك وتشهيراً باللسان ضدك ولهذه الارواح المظلمة التي يتبطنونها تراهم فرقا متعادية يبغض بعضهم بعضا كما انهم محبوا فتن ومطيروا شرّاشداء في ذلك تمام الشدّة ومواقفهم مع رسول الله كانت مملوثة بذلك لكنّ نبيّ الاسلام بعد محاولات متكررة اوقع بهم ضربات منهكة قضى بها عليهم فاستمروا خامد يــــن هامدين ، ثم ظهروا للمسلمين من جديد فكثرت منهم الويلات و في هذه الساعة التي ندون فيها هذه الكلمات حروب طاحنة مشبوبة بين المسلمين وبينهم لا يدري عما تسفر والأمر بيد الله سبحانه وكما قال الله في ختام هذه الآية عنهم انهم من الساعين فسادا في الارض وليس الله وحده لا يحبّ المفسدين بل كل ذي ضمير يمقت ذلك ويبغضه .

\* ( ولو أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم : ولو أنهم أقاموا التوراة والأنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ) \*

مفاد الآيتين ان هؤلاء الذين نسبوا انفسهم لكتب السماء ولكنهم تدرعوا من هذه النسبة بما لا طائل تحته لو أنهم صدقوا في هذا الانتساب ومشوا على ما يتقاضى منهم عملا ولو بالتوبة عن الماضى واخذ الأهبة الصادقة للمستقبل لأسقطنا عنهم حقوقنا عليهم ولتقبلناهم بقبول حسن وادخلناهم جنات نعيم الدنيا والآخرة ولو أنهم سابقا وحاضرا ايضا أقاموا ما جاء فى التوراة عملا واطاعوا ما جاء به الأنجيل فعلا والتزموا بما أنزل اليهم والى غيرهم من القرآن جدا وبعبارة اجمع انهم لو أطاعوا الله فيما اراده لهم ولكافه عبادته من الخير ومجانبة الشر لكانت نعم الله مستولية عليهم من جوانبهم وليس معنى ذلك ان النعيم المادى تابع للطاعة والحرمان مقرون بالمعصية على صعيد حياة الدنيا فان العيان أبان لنا خلاف ذلك على طول الاجيال بل معناه ان الراضى بقضاء ربه فى نعمة على كل حال لان المنظور بالنعمة عند الماديين رضا النفس وعدم طموحها الى غير ما حصل لها وهذا الأمر متوفر فى الراضى بقضاء الله وقدره سواء كان نعيم الدنيا المادى مؤتيا له ام لا وختم سبحانه الآية بأن فريقا من اهل الكتاب لا يعدم نزاهة الضمير فهو ان لم يؤمن بنبي الاسلام لا يحرك عليه ولا يرصد له بسوء ولكن الكثير منهم أخباث لا يقرّ بهم قرار عن الأرصاء له والوقية فيه .

\* ( يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربّك وان  
لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من  
الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين ) \*

الأمر ( فى هذه الآية المتأخّرة نزولاً عن زمن البعثة بكثير ) لنبىّ  
الأسلام بالتبليغ يثير فى النفس غرابة من ناحيتين ( الناحية الأولى ) ان  
الرسول منذ أول البعثة قام بهذه المسؤولية على ابعدها وأوسع  
مجالاتها فلا معنى لأن يخاطب بما هو حاصل متحقق ( الناحية الثانية )  
يستبين منها اذا قورنت بالأولى ان ما أمر النبىّ بتبليغه فعلاً امر مهمّ  
ثقل عليه ان يبيّنه للناس لدواعى حسّاسة لها مفعول قوىّ فى نفسه لكن  
ما هو ذلك الأمر الذى ثقل عليه .

هذا وبعد فحص مورد نزولها فى حديث العامة والخاصّة ( وقد  
دوّنا الكثير من ذلك الحديث فى كتابنا نتائج الفكر فى شرح الباب  
الحادى عشر ) نجد أنّها نزلت فى قضية غد يرخم واذا تميّزنا ذلك  
وجدنا ان الثقل الذى استولى على عاطفة النبىّ هو تخوّفه ان يقول  
الناس فى حقّه أنّه حابى ابن عمّه واراد له ما ليس لله فيه امر فرفعت  
هذه الآية عنه وحشة الأبلّاغ والقيام بما أراد الله فى آخر ازمة النبوة  
من تعيين خليفة يشغل مكان النبىّ اذا نزل به قدره .

ومبحث الأمانة مبحث عريض والقول فيه مديد وقد دوّنت فيه سلاسل  
كتب من جعلتها ما حققناه نحن فى سلسلة كتابنا الحياة الروحية ونتائج  
الفكر وغيرها وقد كتب الخاصة فى هذا الموضوع مئات الكتب وفى  
جعلتها ما هو آية فى بابها .

وتفيد الآية ان نبىّ الاسلام اذا تباطىء عن ابلّاغ ذلك فكأنه لم

يقم بأصل الرسالة وداعيه قد يكون ان الأمامة امداد للنبوّة من عدّة جهات (١) تقويتها بالأوصياء فكأنها تنشر في كل حين (٢) تفصيل مجملها وتوضيح مبهمها من طريق الأئمة الموصى اليهم وفي ذلك نوع من الأبقاء عليها وتعزيزها بين الناس (٣) عدم تمنى الأغيار مسخها والتلاعب بها بما يوجب سقوطها في الأنظار وذلك بأشراف الأئمة عليها فكأن نبيّ الرسالة حتى لم يميت ، وقوله والله يعصمك من الناس بمعنى يصونك منهم فلا تحذر عتاتهم وشياطينهم في نصب من امرناك بنصبه خليفة من بعدك ، وعدم هداية الله للقوم الكافرين معناه انهم لأعراضهم عنه يعرض عنهم واعراضه عن المخلوق اهلاك له لأنّ المعلول اذا لم يستمدّ ذاته من علّته فانه لا كيان له .

\* ( انّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون

والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) \*

المراد بالذين آمنوا هم المؤمنون بنبيّ الإسلام وبالذين هادوا اليهود والصابئة فريق محدود منذ الأوّل من عبدة الكواكب والنصارى اتباع المسيح بزعمهم جعل الله في هذه الآيّة ملاكا فارقا بين المطرود عن ساحة عزّه والمقبول وذلك الفارق هو الأيمان بالله وهو المبدأ والأيمان باليوم الآخر وهو المعاد وفيما بين هذين الأيمانين العمل الصالح في مسافة التكليف فكل من يكون كذلك يكون مقبولا عند الله فاليهودى قبل مجيئ عيسى ومحمد واليهودى المؤمن بعيسى بعد بعثته وقبل انبعث رسول الاسلام واليهودى بعد بعثة محمد اذا قام بهذه الشرائط فهو مفلح ولا يضرّه انه كان يهوديا فان قلت من اين لك

هذا القيد وهو ان اليهودى فى زمان عيسى يجب ان يكون على شرعة عيسى وبدون ذلك لا يكون واجدا للشرط فى حال ان الشرط فى الآيه الايمان بالله وبالمعاد والعمل الصالح وقد تتوفر هذه العناصر الثلاثة فى اليهودى فى زمان عيسى ومحمد وهو غير مؤمن بهما قلنا لا يمكن ذلك لان العمل الصالح معناه ما كان على وفق برامج التكليف التى يعتبرها الله لا ما يفعله الأنسان على طبق ذوقه وبرامج الله هى ما يؤدى بها نبيّ كل شريعة فى وقتها وقبل ان تنسخ بشريعة غيرها فهذا المعنى من لازمه ان سمة اليهودية والنصرانية والصابئية لا تضراً صاحبها مع الأيمان الصحيح الذى كشفنا عنه وبعبارة اخرى ان سابقة التهود والتنصر والصابئية لا حزازة فيها اذا قام اصحابها بالوظائف المرادة منهم فى ظرف زمانهم والشريعة المعاصرة لوجودهم

فأن قيل علام ارتفع الصابئون ومن حقّه ان ينصب لأنه معطوف على اسم انّ وحكم المعطوف على اسمها النصب لا الرفع قلنا لا بدّ فى توجيهه من تقدير انه مبتدأ محذوف الخبر وتكون الآيه بهذا الترتيب ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك والنصارى كذلك .

\* ( لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلّما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون : وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وضموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وضموا كثير منهم والله بصير بما يعملون ) \*

متعلق الميثاق الذى اخذه سبحانه من بنى اسرائيل محذوف ومن حذف المتعلق يستفاد العموم بمفاد اننا اخذنا منهم ميثاق كل شىء يرجع للعقيدة سواء كان اعتقادا باطنيا ام عملا تكليفيا واما انه تعالى كيف اخذ ذلك فان الاسرائيليين الذين عاصروا موسى هم الذين سئلوه ان يذهب لميثاق ربه ويأتيهم بالألواح حتى يجعلوها علما ومنارا يهتدون به وفى الألواح كل شىء يخص العقيدة والعمل ومن جملة ذلك التبشير بنبي الاسلام وطريقته والمراد بالرسول موسى ومن بعده والمنظور بهوى النفس ميلها ورغبتها المندلعة عن الجهل وقوله فريقا يقتلون وان كان بصيغة المضارع المفيد للحال او الاستقبال وليس فى حال نزول القرآن قتل منهم لنبى فضلا عما بعده الا ان المنظور به حكاية الحال فى زمنها .

فان قيل ان المأخوذ منه الميثاق والقائم به فعل القتل ليس جميع بنى اسرائيل بل المأخوذ منه الميثاق حاضر زمن موسى وفاعل القتل من كان فى زمن القتل وليس جميع بنى اسرائيل كانوا كذلك قلنا لما كان اللاحق مصححا لما كان عليه السابق مترسما خطاه كان الجميع بحكم واحد ، وحسبوا اى اولئك الذين كذبوا فريقا من الرسل وقتلوا فريقا آخر الا تكون فتنة فيما فعلوه اى ليست هناك مؤاخذة قائمة على هذه

الاختبارات فعموا وصمّوا اى لّمّا حسبوا هذا الحساب تاهوا وضلّوا كما  
يتيه الأعمى الأصمّ عن قصد السبيل لكنهم لّمّا توجهوا الى أخطائهم  
فأنابوا الى ربّهم تاب عليهم غير أنّهم لم يستمروا على هذه التوبة ولم  
يجرزوا رضا الله عنهم الى الآخر بل عاودوا طريقة العمى والصم ففعلوا  
ما فعلوه آنفا او فعل اعقابهم نظير ما فعلوه هم ترسما لخطواتهم وتقليدا  
لهم والله بصير بما يعملون وسيجازيهم على اعمالهم وقوله (كثير منهم)  
مبتدأ لخبر محذوف تقديره (فعل ذلك) وهذه الجملة بمنزلة استدراك  
لواو الجمع فى قوله فعموا وصمّوا اى ان الفاعل لتلك المنكرات ليس  
جميع بنى اسرائيل فردا فردا بل القليل منهم مشوا على الطريقة  
المرسومة لهم من ناحية الله والكثير لا بسوا فعل هذه المنكرات .



\* ( لقد كفر الذين قالوا انّ الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربّى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرمّ الله عليه الجنّة وماواه النار وما للظالمين من انصار: لقد كفر الذين قالوا انّ الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب اليم: أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ) \*

لقد كفر اى ستر الواقع وجحد ه الذين قالوا ان الله الذى هو علم شخصى للذات المستجمعة لكافة الكمالات البعيدة عن كل نقص ورد يلة صانعة الكون ومبدعة العالم الأزلية الأبدية وجودا المجردة عن المادة والماديات هو المسيح ابن مريم الذى كشفه العيان للوجود بعد ان لم يكن واطلعه موجودا ماديا تؤثر فيه الحوادث وتتداوله التصاريف ولاشكّ ان هذا القول من الأغلاط المفتضحة هذا ما كان يقوله اتباع المسيح — اما قول المسيح ما هو — ان المسيح كان يقول لقومه يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربّى وربكم انه من يشرك بالله اى يجعل صانع الكون خالق العالم اكثر من واحد فقد حرمّ الله عليه الجنّة والنعيم وحسن العاقبة لآته أصّر على قول غير الحق واعتقد الباطل ولم ينزّه عقيدته عن الشوائب المفسدة المسؤل بتنزيهها عنها بل يكون مأواه النار وماالمثل هؤلاء الظالمين من انصار يدفعون عنهم مغبة اخطائهم وانحرافاتهم . وقد كفر ايضا وستر الواقع وجحد ه وقال بخلاف ما تحكم به العقول اولئك الذين قالوا ان صانع الكون خالق العالم ليس وجودا مجردا بل

مركبا من اقايم ثلاثة الأب والأبن وروح القدس وغلط هذه المقالة من نواحي (١) ان فرضية الأب والأبن تستلزم ماديتهما والمادى حادث مصنوع وليس بصانع (٢) ان التركب ملاك الحاجة لان المركب كل جزء من اجزائه بحاجة الانضمام الى بقية الأجزاء حتى يتحقق وجوده فان المركب عدم عند عدم بعض اجزائه والوجود الذى يكون محتاجا مخلوق مصنوع فقير الى الغير (٣) ان التركب لا يعقل فى المجردات على فرض اعتبار ان هذا المركب الخالق للعالم مجرد (٤) ان الأبن متأخر زمانا فكيف يكون جزء مؤثرا فى خلقه العالم السابقة عليه الوفا وملايين من السنين ان صحّ فرض الزمان فى وجود الخالق الى غير ذلك من مؤخذات ليس هنا محل ذكرها على التفصيل والحقّ انه ما من الاله الا اله واحد مجرد ازلى ابدى وجوده باستدعاء ذاته لا باستدعاء من الغير حتى عالم قادر حكيم وان لم ينته هؤلاء الملاحظة عما يقولون من خطأ وخطل ليمسّن الذين يستمرّون منهم فى الكفر عذاب اليم نعم ان هؤلاء لهم طريق تخلص عن هذه المؤاخذات المزعجة بتوبتهم الى الله المعبود الحقيقى وطلب المغفرة منه عما سلف فأن الله غفور لذنوب عباده رحيم بهم .

\* ( ما المسيح بن مريم الآ رسول قد خلت من قبله  
الرسل وأمه صدّيقه كانا يأكلان الطعام أنظر  
كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون :قل  
أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا  
نفعاً والله هو السميع العليم :قل يا اهل  
الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا  
اهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا  
عن سواء السبيل ) \*

فى هذه الآيات استدلال على النصارى خاصّة وتنديد بأهل  
الكتاب عامّة أمّا الاستدلال على كون المسيح ليس بأله انه رسول كسائر  
الرسل والرسل الأسبقون ليسوا بآلهة فهو مثلهم والرسول مرسل عن غيره  
مأمور له والمرسل عن الغير والمأمور له بطبيعته لا يكون خالفا للعالم  
صانعا للكون لانه من جملة الكون والعالم كما انه مثل من قبله من  
الرسل ولدتهم الأمّهات بعد ان لم يكونوا ومثل هذه الهوية يمتنع  
عليها ان تكون واجبة وجود والصديقه مبالغه فى الصدق وذكر هذا  
الوصف لها هنا لا بد وان يكون بمعنى انها كانت تكثر من اظهار ان  
ان الله اجلّ واسمى من أن يقرن به موجود آخر لان كل موجود سواء  
معلول له مصنوع مخلوق وعلى هذا فليست هى بأله ولا ولدها اله وهذا  
هو عين الصدق والمسيح وأمه شأنهما شأن سائر افراد البشر من اكل  
الطعام وتناول الشراب وما يتبع ذلك فى حفظ البنية الطبيعية وكل من  
يكون كذ لك فهو محتاج وعاجز عن حفظ وجوده بدون غيره فكيف يكونان  
واجبى وجود خالقين غير مخلوقين صانعين لما سواهما غير مصنوعين .

ويعد سوق هذا الدليل الواضح على كون المسيح ليس بأله ولا شريكا للأله ولا أنّ أمّه جزء مقوم لبنية الألاهية قال تعالى انظر كيف نبين لهؤلاء المغفلين الآيات الملفتة للنظر لكن مع ذلك انظروا عجب لهؤلاء كيف يصرفون الحقّ عن مجراه وكيف يكذبون على الواقع، ثم أمر نبيه نبيّ الاسلام ان يعيّرهم ويقول لهم أتعبدون من دون الله ما لا يملك له ولا لكم ضراً ولا نفعا لعجزه وقصور ذاته عن ذلك والله هو السميع لأقوالكم العليم بدفائن قلوبكم القادر على كل شيء من نفع وضرر وغيرهما، كما امره تعالى ايضا أن ينهى اهل الكتاب عموما عن الغلوّ والخروج عن الحدّ في الدين الذي لم يكن فيه غلوّ عند تشريعه فأن في الغلوّ خروجا عن الحقّ وتجاوزا عنه ونصب غير الحقّ على المفعولية لتغلوّ لما في هذا الفعل من معنى القول كأنه قيل لا تقولوا في دينكم غير الحقّ الثابت الذي شرّع لكم وجاء به انبياءكم ولا تتبعوا أهواء قوم مبدعين انتهازيين يختلقون لكم ما فيه بلغة امانتهم ومقاصدهم قد ضلّ هؤلاء من قبل ان يضلّوا وأضلّوا كثيرا امثالكم وانحرفوا عن اعتدال الطريق وكرّروا ضلّوا للتأكيد من مفادها .

يقال أفكّه افكا اذا صرفه عن الشيء الى غيره ومنه الأفك الذي هو الكذب لانه صرف للواقع الى خلافه فمعنى أنّي يؤفكون كيف يصرفون عن جهة الحقّ الى جهة الباطل والصارف لهم عن ذلك جهلهم في حقيقة ربّهم ورسولهم واغواء الغاوين لهم بذلك .

\* ( لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون : كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون : ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون : ولو كانوا يؤمنون بالله وبالنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ) \*

اللعن هو الطرد والأبعاد والمراد من كفر بنى اسرائيل المعاصرين لداود هو انتفاضهم في قبال مقررات د ينهم وعدم اعتنائهم بها بالمرّة لأن المعاصرين منهم لداود وغيره من انبيائهم الذين يعززون شريعة موسى لم يكونوا ينكرون اصل الدين اما المعاصرون لعيسى فإنه باعتباره نبيا ذا شرعة مستقلة فكان الكثيرون منهم ينكرون شريعته ولا يعترفون بنبوته كما هو واضح من معاداتهم له معاداة قائمة على اشد ما يمكن في عداوة اليهودى الشرسة ولعن داود لهم كان عن داعى مناوئتهم عملا لمقررات الدين الموسوى ولعن عيسى لهم كان عن كفرهم به وبشريعته وقيامهم ضده قياما حادا ولا شك ان اللعن الصادر عن السنة الأنبياء له اهميته الكبرى في خبث الطرف وعزوبه عن الواقع بخلاف لعن بعض الناس لبعض فانه قد يصدر عن عاطفة محضة وتأثر خاص .

وعلى سبحانه جهة لعنهم على لسان هذين النبيين بانهم كانوا عصاة اي ان انحرافهم كان دائميا بلا تقطع فيه ولا فترة وكانوا ممن

المعتدين على حدود الله وحقوق الأغيار لا يزعمهم عن التجاوز وازع الدين لأن اخافته لهم لم تكن عاجلة حتى يلاحظوها بالخوف الحاضر كما علل جهة اللعن ايضا بأنهم كانوا يفعلون المنكرات علنا جاهرا اذ لم يكونوا يخشون لومة لائم لعدم اللائم لهم وقد جاء في الأثر عن رسول الله انه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ولتأخذن على يدي السفية ولتأطرنه (أطره يأطره عطفه) على الحق أطرا او ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ويلعنكم كما لعنهم (اي بنى اسرائيل) لبئس ما كان العاصي المتجاهر بعصيانه وغير العاصي الساكت عن نهى العصاة يفعلون ذاك بفعله للمنكر وهذا بسكوته عن النهى عنه .

تري (يا نبي الاسلام اوكل من تتأتى منه الرؤية) كثيرا من بنى اسرائيل على انهم يقولون بالله صانعا ويعترفون برسالة السماء وينتسبون لكتبه يتولون الذين كفروا ويصادقونهم مصادقة قوية لبئس ما قدمت لهم انفسهم من الانتساب للدين ومصادقة اعدائه والذي قدّمته لهم نتيجة لذلك الانحراف الشائن سخط الله عليهم وانهم في عذاب الله خالدون ، ضمير الجماعة في قوله تعالى ولو كانوا يجوز ان يعود الى بنى اسرائيل بما هم بنو اسرائيل فيكون المعنى ولو ان بنى اسرائيل يؤمنون بالله واقعا ويدعون لنبيهم وما انزل اليه حقيقة ما اتخذوا المشركين اولياء لهم تضعيفا لجهة نبي الاسلام فانهم وان لم يدعوا بهذا النبي الا انهم من جهة عقائدية يلزم ان يمنعهم من مصادقة المشركين دينهم وعقيدتهم ولكن كثيرا منهم فاسقون منحرفون حتى عن نفس عقيدتهم التي يدعونها لانفسهم ، ويجوز ان يعود الضمير المذكور الى منافقي اليهود الذين تظاهروا بالاسلام لأجل ان يقعوا فيه فيكون المراد بالنبي هو نبي الاسلام .

وبالخلاصة اطلق تعالى سمة الكفر على الفاسق المصرّ على فسقه لان الفاسق غير المصرّ قد يتوجه الى دينة احيانا متناوبةً أما المصرّ على الأحراف فانه ينسى دينة ومتى نسيه انكره واستغربه اذا ذكر به ومتى انكر المكلف دينة فقد كفر به وعاد كأنه لم يعترف به أساساً .

\* ( لتجدنّ اشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود

والذين اشركوا ولتجدنّ اقربهم مودةً للذين

آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأنّ منهم

قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون : واذا

سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض

من الدمع مما عرفوا من الحقّ يقولون ربنا آمنّا

فاكتبنا مع الشاهدين : وما لنا لا نؤمن بالله وما

جاءنا من الحقّ ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم

الصالحين ) \*

غريب امر اليهود في الخبث وتعكر الضمير وسوء النوايا فليست امة في التاريخ عرفت بذلك مثلما عرفت به اليهود والأغرب من كل ذلك انهم سلالة انبياء معروفين بالنزاهة والصلاح بطبيعة انهم كذ لك فماذا زرع فيهم هذه الروح الخبيثة والقرآن ذكر في غضونه طوائف كثيرة من الناس فلم يندد بهم مثلما ندّد باليهود ووصفهم في الخبث واللؤم وسوء الباطن بما لم يصف به غيرهم ومن جملة ذلك ما ذكره في هذه الآيات حيث قال لتجدنّ اشدّ الناس عداوةً للذين آمنوا وهم المسلمون فريق اليهود خذلهم الله وعقبهم بذكر المشركين فقال والذين اشركوا وهون سبحانه الكثير من العداوات القائمة بين الطوائف فيما بين طائفة

النصارى والمسلمين فقال تعالى ولتجدنّ اقربهم مودة للذين آمنوا أولئك الذين قالوا انا نصارى نسبة للناصره مدينة ميلاد المسيح وعلل سبحانه جهة هذا القرب من المودة بين النصارى والمسلمين بأن من النصارى قسيسين وهم علماءهم ورهبانا وهم زهادهم وان من صفة الجميع حتى غير القسيسين والرهبان التواضع وعدم التكبر .

فان قيل ان علماء النصارى يبغون ضدّ دين الاسلام اكثر من العوام بطبيعة الحال فكيف كان وجودهم فى النصارى من اسباب قرب النصارى من المسلمين قلنا لا تمنع ذلك فيهم كما هو الحق الا انهم لا يغرون العوام بما يزرع فى قلوبهم الشر والتحامل على غيرهم من مسلمين وغير مسلمين بخلاف اليهود فانهم يتدارسون بغض غيرهم تدارسا مدهشا فى الحقد والحسد والبغضاء .

وامّا قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع فذلك له شأن نزول فى النجاشى صاحب الحبشة واصحابه فقد جاء فى التفاسير ان قريشا ائتمرت ان تفتن المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين تؤذيه وتعدّ بهم امّا الذى ضاق ذرعا من المسلمين فانه افتتن وامّا الذى تحمّل الأذى وصبر على المحنة فانه اعتصم وامّا رسول الله فقام عمه ابو طالب بحمايته فلما رأى رسول الله ما حلّ بأصحابه وليس به ان يدفع عنهم امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال انّ فيها رجلا صالحا هو ملكهم لا يظلم احدا ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله لكم فرجا واراد (ص) بذلك الملك النجاشى فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وذلك فى رجب من السنة الخامسة لبعثة رسول الله (ص) وهذه هى الهجرة الأولى ثم هاجر جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون اليها



وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان فلما اتضح لقريش رفاة المسلمين بهجرتهم الى الحبشة عزموا على تعكير الحياة عليهم هناك فوجهوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردوا المهاجرين الى ديارهم الأولى وكان عمارة بن الوليد شاباً حسن الوجه وكان مع عمرو بن العاص زوجته فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك تقبلني فأبى فلما انتشى عمرو دفعه عمارة في البحر ولكنه تشبث بصدور السفينة فخرج من الماء فحصلت بينهما عداوة في طريقهما قبل أن يقدموا على النجاشي وبعد أن وردا عليه قال عمرو بن العاص أيها الملك ان قوما خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا اليك فردّهم الينا فبعث النجاشي الى جعفر بن ابي طالب فجاءه فقال يا أيها الملك سلمهم أنحن عبيد لهم فقال لا بل احرار قال فسلمهم ألهم علينا ديون منعناها عليهم قال عمرو لا قال فما تريدون منا آذ يتمونا فخرجنا من دياركم ثم قال جعفر للنجاشي ايها الملك بعث الله فينا نبياً امرنا بخلع الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام وامرنا بالصلاة والزكاة والعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغى فقال النجاشي بهذا بعث الله عيسى .

ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شيئاً قال نعم فقرا سورة مريم فلما بلغ قوله وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً قال هذا والله هو الحق فقال عمرو بن العاص انه مخالف لنا فردّه الينا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرت بسوء لأفعلن بك وقال أرجعوا الى هذا هديته وقال لجعفر واصحابه امكثوا فأنكم آمنون وأمر لهم بما يصلحهم من

المعاش فانصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار الى ان هاجر رسول الله الى المدينة وعلا شأنه فرجع جعفر ومن كان معه في فتح خيبر وعن ذلك قال رسول الله كلمته المعروفة بأبيهما اننا أسرّ بفتح خيبر ام بقدوم جعفر وصحب جعفرًا جمع مّن آمن به هناك واسلموا على يد يه فقيل هم سبعون رجلا اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرأ عليهم رسول الله سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله فيهم هذه الآيات وهي قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين للحقيقة المؤمنين بها وكيف لانؤمن بالله والشواهد على وجوده كثيرة او لانعترف بالحقّ وهو ما برهنه القرآن واثبتته والدلائل على صحته وفيرة وبعد ان نكون مؤمنين بالله وبمن ارسل وبما انزل نطمع أن يدخلنا ربّنا مع القوم الصالحين .

\* ( فأتاهم الله بما قالوا جنّات تجري من تحتها  
 الأنهار خالد ين فيها وذلك جزاء المحسنين :  
 والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب  
 الجحيم ) \*

قد قرأت أنفا قولهم ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن  
 بالله وما جاءنا من الحقّ ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين  
 وهذا الطمع الذي أبدوه عن اخلاص ونزاهة ضمير حقه الله لهم بقوله  
 فأتاهم اي حكم لهم على نفسه بدخول الجنة خالد ين فيها وهذا  
 القرار الطيب جزاء من احسن الى نفسه متبعا خطوات ربه فيها ومطيعا  
 لوظائفه في حقها وبالعكس كل جاحد لربه مستهتر بنظامه مستخف  
 بأوامره ونواهيه محكوم عليه من ناحية ربه مالك الدنيا والآخرة بأنه من  
 اصحاب الجحيم وهي النار الشديدة التوقد .

\* ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ  
 الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين :  
 وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى  
 انتم به مؤمنون ) \*

كان الشأن فى نزول هاتين الآيتين ان رسول الله (ص) فى يوم  
 من أيام ارشاده ووعظه ذكر امر الدنيا وغرورها لأهلها وذكر امر الآخرة  
 وأفزاعها ومآل كل من الصالحين والطالحين فيها فتأثر الناس اشدّ  
 التأثير فعزم جمع منهم على التخلّى عن الحياة فهذا بترك النوم على  
 الفراش وذاك بقيام الليل وصوم النهار والثالث بترك اكل اللحم والودك  
 والرابع بهجر النساء والطيب حتى ان بعضهم همّ ان يجبّ مذاكيه  
 فبلغ الأمر رسول الله فتأثر اشدّ التأثير ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما  
 بال اقوام حرّموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا على انفسهم  
 أما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك  
 اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحه امتى الصوم ورهبانيتهم  
 الجهاد وعبادة الله وعدم الشرك به والحج والأعمار واقامة الصلاة  
 وايتاء الزكوة وصوم شهر رمضان فاستقيموا يستقم الله لكم فأنما هلك من كان  
 قبلكم بالتشديد شدّدوا على انفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم  
 فى الديارات والصوامع وانزل الله سبحانه هاتين الآيتين يا أيها الذين  
 آمنوا بالله وبمقرراته ومقدساته لا تحرموا على انفسكم طيبات ما أحلّ لكم  
 فى شتى جنبات الحياة ومجالاتها المادية ولا يبلغ بكم الأسراف فى ذلك  
 الى تعدّى حدود الله ان الله يمقت المعتدين المتجاوزين وكلوا مما  
 رزقكم الله ووصل الى ايديكم حائل كونه حلالا طيبا لا مستخبثا ولا حراما

وخافوا الله فيما اوجب وحرّم ونهى عنه وأمر به ذلك الله الذى انتم به مؤمنون معتقدون لا ملحدون به ولا عارون عن العقيدة بما انزل وبمن ارسل وما وظّف وقرّر والحقّ ان الله سبحانه فى هذه الكلمات القصار حدّد للانسان حياة صحيحة ما ورائها مطمع فسحة فى الحلال واسعة وحدود الحرام محدودة لا تزاحم مجارى الحياة العقلانية الصحيحة بأدنى شىء ومن هنا ضرب الاسلام اعظم مقاييسه الحيوية فى كافة مجالات بنى آدم ليعرفوا انه الدين الحقّ الخالص من شوائب الانتهاز والتحيّز والعواطف الجوفاء .

\* ( لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايما نكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايما نكم اذا حلفتم واحفظوا ايما نكم كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تشكرون ) \*

الشىء اللاغى فى كل الأمور هو الشىء الذى لا جذر له ولم يقيم على دعامة تمسكه ويعتمد عليها والكفارة هى الغرامة التى تدفع عن الأجرام الشرعية وتحرير الرقبة اعتاقها اذا فاليمين اللاغية هى الايمان التى يلوكها لسان المكلف من دون أن يعقد عليها ضميره كالأيمان فى الهزل و فى مقام دفع الظلم والأكراه فأمثال هذه الايمان فى نفسها لا حرمة فيها ولا كفارة عليها لكن ينبغى للمكلف ان لا يحلف فى مقام الهزل بتاتا و فى مقام دفع الظلم والأكراه ينبغى له أن يورى فمعنى لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايما نكم انكم لا اثم عليكم فى ذلك ولا مسؤولية من

ناحية الله ولكن مؤاخذته ثابتة فيما انعقد من الأيمان الصادرة منكم والمنعقد من اليمين كالمنعقد من البيع هو المستحکم الجدّی والذى يمكن انعقاده من الأيمان هو اليمين على فعل الواجب تثبتا له وعلى ترك الحرام كذلك وعلى المباح فعلا وتركها حيث يكون هناك غرض عقلائی وأما اليمين على ترك الواجب وفعل الحرام فلا ينعقد وإذا لم ينعقد فلا كفارة في حنثه بخلاف تلك الصور التي ذكرنا ان اليمين تنعقد فيها فمع مخالفتها يحصل الحنث والحنث يستتبع وجوب الكفارة وكفارة حنث اليمين هي اطعام عشرة مساكين والأطلاق يتناول الكبير والصغير والذكر والأنثى وجمعهم على خوان واحد او اعطائهم ما يطعمهم أما الجمع على خوان فتصويره واضح بأكلهم واكتفائهم وأما اعطاء ما يطعم فقد اختلف في كمّه والمشهور عند الخاصة انه مدّ من طعام والمدّ يقارب ٧٥٠ غرام من اوسط ما تطعمون اهليكم جنسا لا العالی الذي تتناولونه ندرة ولا الدانى الذي تتناولونه احيانا ، او كسوة هؤلاء العشرة والكسوة في اللغة ما يكسو البدن كله او ما يكسو العورة حدّ الأقل كالسروال ، او تحرير رقبة والأطلاق يتناول الرقبة الكافرة ايضا فالحنث مخير من بادء الأمر بين الأطعام والكسوة والتحرير فمن لم يجد شيئا من تلك الامور الثلاثة فصيام ثلاثة ايام وعلى هذا فكفارة اليمين فيها تخيير وترتيب أما التخيير فهو بين الأطعام والكسوة والتحرير وأما الترتيب فهو بين تلك الثلاثة باعتبارها مجموعة واحدة وبين صيام ثلاثة ايام ، ذلك الذي اشرنا اليه كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم ، واحفظوا ايمانكم حيث تنعقد وراعوا احترامها فانّ في حلّها غدرا بها كذلك البيان السالف يبيّن الله لكم آياته لعلكم تشكرونه إذا وفقكم على ما يقوم بتدبير شؤونكم وتنظيم اموركم .

\* ( يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر  
والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان  
فاجتنبوه لعلكم تفلحون : انما يريد الشيطان  
أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر  
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل  
انتم منتهون ) \*

الخمير هو العصير المسكر سواء اتخذ من العسل ام العنب ام  
الزبيب ام التمر ام من الحنطة والذرة وغير ذلك وانما سمي بهذا الاسم  
لانه يغطى على عقل شاربه يقال خمرت الأناء اذا غطيته واختمرت المؤنة  
اذا وضعت عليها خمارها فستر رأسها وصدرها والميسر هو القمار  
بجميع انواعه وانما سمي بذلك لأنه ييسر للغالب بغيته والأنصاب هى  
الأوثان التى تنصب على الدكاك او السطوح لأجل أن تعبد والازلام  
جمع زلم وهى القداح وهى سهام كانوا يجيلونها للمقامة بها والرجس  
كلما يستقدر من عمل ، فى هذه الآية أبان سبحانه جملة احكام لموارد  
كانت دائرة بين الناس فى عصرهم الجاهل لكنّ الإسلام بارزها اشدّ  
مبارزة وأبطلها وهى (١) الخمر فأنّها حرام شربا عند الجميع ونجسة ايضا  
عند الأكثر ومضارّها الطبيّة والروحيّة لا تكاد تحصر وان أصرّ عليها  
الفسقة حتى فى عصر العلم (٢) القمار ومن بعض مخازيه وهناته انه  
اتلاف للمال لا بأزاء شىء يعترف به عاقل والأزلام من سنخه (٣) ولا شك  
ان استعمال الاوثان بأى داع كان يعدّ من الحرق والسقوط ان لا يرتبط  
بعمل العاقلين اصلا وكل هذه المذكورات اعمال قذرة يجب على  
الإنسان ان يترفع عنها بأرشاد من عقله فضلا عن نهى الله له ولذلك

نسبها سبحانه الى الشيطان والزم المكلفين باجتنابها وجعل فلاح المكلف منوطا بالتجنب عنها وأبان في الآية الثانية بعض السر في نهيه المكلفين عن ملابسة هذه الاعمال وهو ان مزاولته هذه الأمور يلحق بينكم العداوات فان شرب الخمر من لازمه العريضة واعطاء الشعور من اليد والقمار من لازمه الغالبية والمغلوبة وذلك مما يثير احنا وشناشن والأمر في ذلك معلوم وقف عليه كافة الناس كيف والناس نراهم يعتكرون على مهارشة الكلاب والأكر فكيف لا يعتكرون على الماديّات مضافا الى ان هذه الملاهي تصدّ المكلف عن تصوّر الخالق وعظمته وعن الصلاة وما يضارعها من العبادات وعن كل عمل صالح له ريب بالمثاليات لان السخائف المذكورة تناقض المثال وما هو على طرازه .

وقوله فهل انتم منتهون استفهام بمعنى الأمر اي انتهوا عن هذه القبائح فأنها من عمل الشيطان رمز كل خطيئة ولأنّ الفلاح منوط بتركها وفي الآيتين وجوه اخرى لتحريم الامور المذكورة فيهما احدها انها رجس وثانيها انها من عمل الشيطان وثالثها الأمر بالاجتناب عنها رابعها انها توقع العداوة والبغضاء وخامسها انها تصدّ عن ذكر الله عن الصلاة .



\* ( وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن

توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ) \*

فى هذه الآيه بيان كلى لما سبق بعض من مصاديقه وهو النهى عن الخمر والميسر والانصاب والأزلام ومفاد هذا البيان ان اطاعة الله واطاعة الرسول فيما يأمران وينهيان فرض لازم على المكلف يجب عليه ان يحذر من مخالفته حتى لا يكون محلًا للعقوبة المحتمة وهو ما افاده بقوله فإن توليتم اى اعطيتم هذه الفروض ظهوركم فاعلموا ان وظيفة الرسول هى ابلاغ الاوامر والنواهي واما الايقاع بالمتنرد فذلك امر مربوط بالله سبحانه وفى هذه الآيه تهديد بأن كل من وصلت اليه الحجة فقد حقت عليه المسؤولية (( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا )) وان كل من تم عليه الأبلاغ ولم يجر على منواله فانما يجد ضرره فى نفسه .

مثلا تمردت العصور الحاضرة على تعاليم السماء حاسبة انها اكان يب ملفقة فنبذتها واستنتت وراء كل من يدعوها الى مناقضتها فأخذ المشعوذون يزيحونهم عن كل خلق فاضل ويركسونهم فى كل عمل باطل وساعدتهم الاكتشافات الحديثة على اغوائهم من ناحية واستغلالهم من ناحية ثانية فلم يستطع اليوم انسان ولا مجتمع ان يقاوم من بيده الآليات الحاضرة بل من لازمه ان يخضع لكل ما يراى به وان يتسخر لأى تسخير اريد به .

التفسير ج ٣ لا بد في تأثير الايمان من ملازمة التقوى له ٩٢

\* ( ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح  
فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات  
ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب  
المحسنين ) \*

يقال طعم يطعم اذا اكل او شرب يتصور في معنى الآية مطلبان  
(الأول) ماورد ان الصحابة قالوا يا رسول الله ما تقول في اخواننا  
الذين مضوا وكانوا يتناولون الخمر ويأكلون الميسر فأنزلت هذه الآية  
(والثاني) ماورد انها نزلت في القوم الذين ارادوا التزهد في الدنيا  
مع التشدد كما اسلفناه فأنزل الله هذه الآية .

ومعناها على الأول ليس على الذين آمنوا بالله وبالرسول وعملوا  
الصالحات طبق ما امر الله بذلك حرج واثم فيما تناولوه من طعام  
وشراب لم يكن حينما تناولوه محرماً عليهم اذ لم ينزل في وقته تحريمهم  
انما تناولوا ماكان حلالا بحكم الأصل اذا كانوا متقين لغيره مما بلغهم  
تحريمه ومتلبسين بالآيمان وعاملين للصالحات واستمروا على تقواهم  
وايمانهم وهكذا واصلوا اتقائهم واحسنوا الى انفسهم بمراقبة احكام الله  
ووظائفه والله يحب كل من يحسن الى نفسه او اخوانه المؤمنين .

ومعناها على الثاني ليس على المؤمنين العاملين للصالحات اثم  
فيما يتناولونه من رزق الله الذي بسطه لعباده اذا اتقوا ماحرّمه عليهم  
وكانوا على ايمانهم بالله ورسوله وعلى عملهم الصالح ثم استمروا متقين  
لربهم ومؤمنين به وواصلوا تقواهم وايمانهم واحسنوا الى انفسهم  
واخوانهم المؤمنين والله يحب المحسنين .

\* ( يا أيها الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء من  
الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من  
يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب  
اليم : يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم  
حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من  
النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدى بالغ الكعبة  
او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما  
ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد  
فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ) \*

البلاء والابتلاء هو الامتحان والاختبار والصيد هو الحيوان الوحشي  
مأكولا كان ام لم يكن والاعتداء هو التجاوز وحرم جمع حرام بمعنى محرم  
كما ان حلالا بمعنى محلّ والنعم هي الابل والبقر والغنم والعدل  
المعادل والوبال هو شدة الشيء في المكروه وثقله والانتقام هو الايقاع  
بالطرف في مقابل جريمته ازاء المنتقم .

يا أيها الذين آمنوا ليلبسونكم الله بشيء من الصيد انما خصّ  
المؤمنين بالذكر مع ان كل انسان اذا جمع شرائط التكليف صار مشمولاً  
لخطابات الشرائع آمن بها ام كفر لان الكفرة ليسوا متوجهين اليها  
بالفعل لان من لا يعتقد بشيء لا تراه يعيره نظرا اليه فيكون توجيهه  
الخطاب اليه زائدا .

والشيء من الصيد الذي تناله اليد او بوسيلة الآلة هو صيد البر  
لان صيد البحر حلال على المحرم والمراد بنيل اليد انه لا يحتاج الى  
اعمال وسيلة دائما بل قد يُختل ويقبض باليد وذكر الرماح من باب

الإشارة الى السلاح كله .

وانما قال سبحانه ليعلم الله من يخافه بالغيب فى حال ان الغيب والشهادة سواء عند المكلف بالنسبة الى ربه ليبيّن ان جملة من المكلفين قد يتظاهرون فى المجمع بما ينسجم مع الدين لحاظا لجانب الأكثرية وصونا للسمعة بين الناس وفى الخفاء يرتكبون كل خطيئة اما الإنسان المؤمن حقاً فهو الذى يستوى السرّ والعلانية عنده فى الطاعة لربّه وباعتبار ان الصيد معمولاً انما يكون فى غيب الناس لأنه انما يوجد فى الخلاء لا فى الملاء كانت الطاعة فى ترك التعرض له والمعصية فى التوجه اليه غيبية .

والأشارة بقوله (( بعد ذلك )) الى ابلاغ التحريم يعنى ان ابلاغ التحريم لتناول الصيد يكون حدّاً فاصلاً بين انطباق عنوان العدوان على المكلف وعدم انطباقه ، وقوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم شارح لآية السابقة : ليلبوتكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم لأنّ كلّاً من صيد البرّ والبحر ليس حراماً على الإنسان بحال الا لعارض الطوارئ ومن جعلتها تلبس المكلف بالأحرام ومن قتله منكم متعمداً فعليه جزاء وذلك الجزاء هو ان يتحمّل مثل ما قتله من النعم وكلمة (من) فى من النعم بيانية لقوله مثل بمعنى ان المماثلة مرعية بين الصيد وجزائه كمماثلة الابل للنعام والبقر لحمير الوحش والشيء للظباء وعلى هذا المجرى .

يحكم به ذوا عدل منكم : اى يحكم بالتشابه بين الصيد وبين جزائه ثقتان منكم ايها المؤمنون بأن الشاة مثلا مشابهة للظبي والبقرة مماثلة لحمار الوحش والناقة موازية للنعام وعلى هذا الترتيب : هدى بالغ الكعبة : انتصب هدى على انه كميّز لقوله جزاء بمعنى ان هذا الجزاء

يُهدى بنفسه فيذبح تجاه الكعبة وقد يعتبر حالا اى حال كونه مُهدى وصاحب الحال وهو جزاء ان كان نكرة فهي مخصصة بالوصف بعدها وقيد الفقهاء ذلك فى احرام العمرة اما احرام الحجّ فجزاء الصيد فيه يبلغ منى ويذبح هناك ويتصدق به فى كلتا الصورتين: او كفارة طعام مساكين: ومعناه ان يقوم المماثل للصيد من النعم على ان يجعل فى مقابله طعام ويتصدق به على المساكين ، او عدل ذلك صياما ، كلمة ذلك أريد بها الإشارة الى الطعام الذى يتصدق به والمعادلة تقوم بين المدّ الواحد او المدين على الاختلاف بين الفقهاء وبين اليوم من الصوم فمثلا اذا كان الطعام عشرة امداد فعلى مبنى المدّين يصوم خمسة ايام وعلى مبنى المدّ يصوم عشرة ايام .

ثم هل هذه المراحل الثلاثة: هدى بالغ الكعبة: اطعام مساكين: عدل ذلك صياما: على الترتيب بأن لا يوجد الهدى فيشتري بقيمته طعاما او لا يوجد عنده مال اصلا فيصوم بدلا عن المدّ او المدّين او انها على التخيير بحيث يجوز له ان يصوم بدلا وهو قادر على الهدى وقادر على قيمته فيه خلاف بين الفقهاء واصولا فى هذا الباب تفاصيل فقهية مبسوطه فى كتب الفقه تؤخذ من هناك لأنّ السنة دخلا تاما فيها .

ليذوق: اللام للتعليل اى اننا انما حكمنا عليه بذلك ليذوق شدة هو جلبها الى نفسه بنفسه بارتكابه خلاف الوظيفة: عفا الله عما سلف: منكم قبل ابلاغ هذه الاحكام ، ومن عاد الى ملابسة هذه المعاصى: فينتقم الله منه: ومعنى ذلك التشدد فى النكير عليه وان الكفارة لا تجديهِ فى دفع نعمة الله عنه: والله عزيز: جانبه لا يضام: ذوانتقام: من المتمرد اقامة للعدل لا تشفيا منه .

\* ( أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة  
 وحرّم عليكم صيد البرّ ما دمتم حرما واتّقوا الله  
 الذي اليه تحشرون ) \*

التحليل لصيد البحر يفيد التعميم لكافة الحالات ان لم يقيد بشئ  
 فسواء كان الأنسان محرما ام محلاّ يحلّ له صيد البحر اصطيادا واكلا  
 والمنظور بطعام البحر ما يطعم من نباتاته وأملاحه ومتاعا بمعنى امتاعا  
 ونصبه على المفعول لأجله : لكم : ايها المقيمون : وللسيارة : وهم المسافرون  
 : وحرّم عليكم صيد البرّ بأن تصطادوه بأنفسكم او يقدهم لكم غيركم محلا  
 كان ام محرما وهذا التعميم جاء من ناحية ان كلّ من ذلك يقال له  
 صيد البرّ : ما دمتم حرما : اما اذا أحللتكم حلّ لكم هذا الصيد اصطيادا  
 واكلا : واتّقوا الله : في مناهيه ذاك الله : الذي اليه تحشرون : ويحاسبكم  
 على ما صدر منكم ويجازيكم على الخير خيرا والشرّ شرّا .

التفسير ج ٣ الكعبة والشهر الحرام محترمان عند الله ٩٧

\* ( جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس

والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا

أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن

الله بكل شىء عليم ) \*

البيت الحرام عطف بيان على الكعبة لان المنظر بهما واحد وهى  
البنية القائمة وسط المسجد وقيام هنا بمعنى قوام اى ان الله سبحانه  
جعل هذا البيت مادة رزق واكتساب لمجاوريه والوافدين عليه من سائر  
الأقطار كما جعل الشهر الحرام والمراد به جنس الشهر لا وحدة  
الشهر وجنس الشهر الحرام اربعة رجب وهو منفرد وذو القعدة وذو  
الحجة والمحرم قياما للناس ايضا لأنهم يتركون فى هذه الأشهر كل  
قتال وتصاف وغارة ويتوجهون الى معائشهم واكتساباتهم وهكذا جعل  
الهدى الذى يهدى به الحاج بمعنى قواما للناس الفقراء فقد كانوا يمتنون  
به انفسهم ويقدرونه ويقتنونه لأوقات طويلة وهكذا جعل القلائد وهى  
ان الراجع من مكة كان يقلد جملة او ناقته ونفسه ايضا من لحاء شجر  
الحرم فيمر على قطاع الطريق فيواجه منهم احتراماً له ولما معه سنة  
توارثوها من دين اسماعيل: ذلك: اشارة الى جعل الله الكعبة قياما  
للناس وهكذا الأشهر الحرم وهكذا الهدى والقلائد: لتعلموا أن الله  
يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وان الله بكل شىء عليم: فأن قيل  
واى ربط لما ذكر يكون الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض قلنا الربط  
هو علم الله فى الأزل ان مناطق الحجاز وما جاورها سوف تكون مناطق  
قاحلة وسوف يسكنها جماعات وقطعان من البشر ويحكم تبدهم فى  
هذه الاراضى القاحلة ينشأون معوزين من كل خير واجدين لكل شر

فجعل الأشهر الحرم قاطعة لفسادهم واحترام الكعبة والحرم محددًا من خطاهم التمردية وتعاقب الناس على البيت حجاجًا ومعتمرين منفعة مشروعة وزادًا مبلّغًا للكاسب والفقير فهذا هو ربط علم الله بجعله الكعبة قيامًا للناس وهكذا الأشهر الحرم والهدى والقلائد وهذا العلم الذي ربطه بما اشعرنا به زاوية من علمه فأَنَّ الله بكل شيء عليم .

\* ( اعلّموا أَنَّ الله شديد العقاب وان الله غفور

رحيم : ما على الرسول الاّ البلاغ والله يعلم ما

تبدون وما تكتمون ) \*

ابان سبحانه عن حقيقة نفسه للمكلفين بأنه ليس ذلك الوجوه المتمرّمة المتعنّت في قبال ايّ احد يفرض كما هي شيفة المقتدرين المستبد بين الخشنيين كما انه ليس هشاّ لنا في قبال ايّ احد بل هو سبحانه كما جاء في المثل يضع الهناء مواضع النقب فمع العتورد شديد العقاب ومع الطاهر الذي قد تلتوى به نفسه عن جادة الصواب غفور لذنبه اذا تاب وأنا ب رحيم به مع توجهه اليه وطلبه الرحمة منه .

ثم ابان سبحانه للرسل والناس معا بأن مهمة الرسول ايصال اوامر الله ونواهيه الى اسماع الخلق ليكون حجة بالغة عليهم ولا يكلفه الله خارج قدرته بأن يصيّر الناس مطيعين لربهم فيما أمر به ونهى عنه وبأن وظيفة الناس الامثال لدعوة الداعي الى الله مع لزوم ان يعلموا ان الله لا كسائر الحاكمين الذي لا يعلمون الاّ الظواهر من الطبقات المحكومة بل هو تعالى يعلم الظاهر والباطن كليهما ويجازى على الجميع كلًّا وما يستحق من خيرا او شرّ .



\* ( قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة

الخبيث فاتقوا الله يا اولى الألباب لعلكم

تفلحون ) \*

وأبان سبحانه فى هذه الآية حقيقة قد تلاعب بها الناس منذ اجيالهم الأولى فان الكثيرين ممن يعيرون الطيب نظرا حاداً ويزنونه بميزانه فى مقام الاعتزاز به والاستدلال له ينشرون عنه عملاً زاعمين أن اتباعه فى العمل قليلون وان الخبيث على تدهوره فى المفهوم كثير الانصار والظاهرة الكونية مع هذا المنطق فرد سبحانه على هؤلاء بأن الخبيث ومهما يكن كثير الاتباع خبيث بمعنى ان حقيقته لا تتغير بكثرة الأصدقاء وقتلتهم نعم كثرة الأصدقاء له تقلل من حدة قبح ارتكابه فيما بين الناس لكن ذلك لا يصحح نتائجه فان الفاسد لا ينتج الصحيح فاتقوا الله يا ايها العقلاء وخذوا بالطيب وكونوا له اعوانا وذروا الخبيث جانبا فانكم ان فعلتم ذلك سعدتم سعادة ابدية وافلحتم وفى هذه الآيه اشارة قوية الى ما عليه ناشئه هذه الأزمان التى اعطت ظهرها للحقيقة نابذة لها ساخرة بها بل محاربة لها جهد المقدور كل ذلك ينفع الرذيلة والاستهتار والتهتك لما دوى بعناوينها سقطة الأمة واوباشها فأسقطوا بذلك حيثيات كل كرامة وفضيلة واستخف معهم الناس استخفاً خنق كل حق وحقيقة ومحق كل شريف واقعى وكل سيرة حسنة وكل عدل وانصاف وبيات الدنيا بالفشل امام السخفاء .

\* ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم ) \*

ملخص ما أفيد في هذه الآية ان المكلفين في ابتداء آية شريعة تفرض وظيفتهم التلقّي لما يدلى به اليهم لا الفحص عن ان هذا الشيء او ذاك ما هو حكمه فانهم يجلبون بذلك تشديدا على انفسهم حيث لا داعي له فيا أيها الذين آمنوا بنبوّة محمد عندما دعاكم الى الله قفوا من دعوة الله موقف المنفد لا رادته لا الجالب لوظائفه فلا تسألوا عن اشياء لم يوظفها الله لكم وسؤالكم عنها يكون مثيرا لها فان ابدت لكم وظهرت من غامض علم الله الى منصة التوظيف ساءتكم بأنّها تكليف جديد اضيف الى تكاليف كانت اما اذا سألتم عن حكم شرعى قد علمتم نزوله على الرسول ولكنكم جهلتموه او جهلتم وجهه وطريقته فأنه يبدى لكم قطعا ولا يسؤكم مساءة ما ذكرناه في التصوير السابق لانكم في السابق انتم جلبتموه لانفسكم وفي هذا التصوير كان بنفسه مجلوبا فلم يكن منكم استدعاء له ، فمعنى حين ينزل القرآن ان القرآن نزل بها قبل سؤالكم كوظائف مبتدأة مؤسسة لا مجلوبة عن طلب : عفا الله عنها : اى عن مبادرتكم الى السؤال حيث لا داعي له او عفا الله عن بوادركم التى تدفعكم الى ان تضجروا النبىّ بأسئلة تافهة فقد كانوا يزاحمونهم (ص) بالسؤال عما لا طائل تحته بأن ابي من هو وان مصيرى من اقدامى هذا اى شىء يكون وان ناقتى اين ضلّت وما الى ذلك من اسئلة جوفاء تنافى مقام السائل العاقل ورسالة السماء التى يراد بها ما هو أهم وأعظم من هذه التوافه فقد ورد فى مورد نزول هذه الآية عدّة آثار (منها) ان

الناس كانوا يسألون الرسول الحافا حتى يضايقوه (ومنها) ان قوما كانوا يسألون رسول الله استهزاء مرة وامتحانا اخرى الى غير ذلك مما لا غرض لنا فيه بعد بيان اصل الدافع للنزول وميزانيته من الواقع الذي يلزم اتباعه واستنهاجه .

و في الخلاصة تفيد الآية ادبا عاليا في المجالسة والمدارسة وانه يجب على الانسان ان يزن سؤاله وكلامه فلا يسأل عما لا حاجة له بهوان لا يطرح سؤاله بمطرح تعنت مشفوعا بما بتهكم واما بامتحان لا زمه ذلك الطرف لا لشيء سوى حب التفوق عليه وان لا يلحف بسؤاله حتى لو كان محل حاجة له فان في ذلك مضايقة للمسؤل وخروجا عن حريم الأدب وان كل من ارتكب شيئا من ذلك او كلفه فهو مخطيء وقد يكون مجرما معاقبا .

\* ( قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين  
: ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة  
ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله  
الكذب واكثرهم لا يعقلون ) \*

يقال بحر الشيء اذا تعمق فيه ولذلك يقال للباحث المتقن متبحر  
ومنه بحرت اذن الناقة ابحرها بحرا اذا شققها شقاً واسعاً والمسيب  
هو الذى يجرى ولا راعى له يتعهد جريه ومنه قبل للذى لا ولاء لأحد  
عليه انه سائبة والوصيلة فعيلة بمعنى مفعول يقال للشيء اذا وصل  
بغيره والحامى هو الذى يحمى نفسه او غيره .

ومفاد الآية ان الله انما نهاكم أن تسألوا عن اشياء ان تبد لكم  
تسؤلكم لان هناك رصيذا لهذا النهى وهو ان جملة تشدقوا فسألوا عما  
لم يظهره الله لهم تخفيفاً عنهم فجلبوا لانفسهم بالسؤال ما كان ثقيلاً  
عليهم وربما لم يفعلوه فعصوا من اجله او انهم سألوها عن خفى عليهم  
ظنوا فى اظهاره شرفاً لهم فكان وقية بهم كمن يظن انه كان ابنا شرعياً  
لأبيه ولكنه فى الواقع المستور عليه لم يكن كذلك فلما أماط هو بنفسه هذا  
الحجاب بتدقيقه وتعرضه لما لا حاجة له به عاد عليه عارا وعلى مثل هذه  
الأسئلة التى تعطى نتائج معكوسة فتثير عواطفهم فتتغلب العصبية  
على الحق فيصبح الإنسان بعد أن كان متظاهراً بالأيمان كافراً به .  
ثم ابان سبحانه فى الآية الثانية جملة مما كان عليه اهل الجاهلية  
من عقائد باطلة ربما عزوها لشريعة السماء واعمال تافهة لا تتركز على  
واقع (منها) تحريمهم للبحيرة وهى فى بعض تفسيراتها الناقصة اذا  
انتجت خمسة ابطن وكان آخرها ذكراً فانهم يشقون اذنها شقاً واسعاً

ويمتنعون من ركوبها ونحرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى يفعلون ذلك احتراماً لها ولا شكّ انهم مخطأون في ذلك فانّ تحريم ما حرّموه تضييع منافع لا داعى لتحريمها بعد ان خلقت الناقة من اجل هذه المنافع (ومنها) تحريمهم للسائبة فان الرجل منهم كان ينذر لقدمه من السفر صحيحاً سالماً او لبرئه من مرض ان تكون ناقته سائبة اى محرّمة المنافع لا تتركب ولا تنحر وجهة الخطأ فى البحيرة موجودة فى السائبة بلا تفاوت (ومنها) الوصيلة ففى بعض معانيها انها الشاة اذا أتأمت عشر اناث فى خمسة ابطن ليس فيها ذكر فاذا ولدت بعد ذلك حرّموا اولادها على الأناث واحلّوها للذكور فقط وهذا لا يعرف وجه التبويض فيه بين الذكر والانثى اصلاً (ومنها) الحامى وهو الذكر من الأبل اذا نتج من صلبه عشرة ابطن فعند ذاك لا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ووجه خطأهم فيه ما اسلفناه فمعنى ما جعل الله من بحيرة انه ما جعل تحريم ذلك ضمن ما جعل من احكام ولكن الذين كفروا بشريعة السماء تعنتا ونخوة يفترون على الله الكذب بنسبتهم اليه ما هو برىء منه واكثر هؤلاء لا يعقلون وجه الخطأ من الصحة وانما يقولون عن جهل عميق ووحشية ووهم عريق .

ومن هذا يعلم ان كل عادة واتخاذ يوجد ان فى الدين الاسلامى بين اهله ولا مدرك يدّل عليه فهو باطل وما اكثر ذلك بين العوام وأهم من كل هذا وذاك ما تدلس به السياسات الحاضرة القابضة بظاهرة الأسلام والرامية منه الى الكفر الصريح من ان الاسلام دين الحرّية وتوسيع نطاق الماديات بكل ما يوسّع امر الاقتصاد ودين المساواة وينفذون من هذه الأساطير الى هذا التهتك فى التبرج والأستهتار فى تناول المسكرات والشهوات بعامة انواعها وعلى غضب الناس اموالهم

وحقوقهم والعبث بكراماتهم والاستهزاء بما عليه فقهاء المسلميــــــــــــن  
وعظماؤهم الدينيون الواقعيون كما يلمس ذلك جهارا في كافة الممالك  
الاسلامية بدون استثناء فان ذلك كله من الافتراء على الله مضافا الى  
كونه مقولا عن غير تعقل صحيح وانما هو انجراف مع الشهوة واستجابة  
للكفرة المستعمرين .

\* ( واذا قيل لهم تعانوا الى ما انزل الله والى  
الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا او لو  
كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون : يا ايها  
الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضرركم من ضل اذا  
اهتد يتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما  
كنتم تعملون ) \*

لما تعرض تعالى فيما سبق الى ما عليه المشركون من وحشية وعمى  
وضلال تأثرا بالخيال الجاهل من ناحية وبتراث الرواسب القوميــــــــــــة  
الغاصّة بالهينات والخرافات من ناحية ثانية دعاهم الى الطريق اللاحب  
طريق الفضيلة المركزة والعلوم المثمرة ونزع اغطية الجهل وابعاد  
الرسوبات المتعفنة وانما يكون ذلك من طريق اتباع ما صحّ نزوله عن الله  
وما نطق به الرسول المسدّد ولا يكون بغير هذين الطريقين قطعا .  
وامّا العواطف القبلية ففيها من المضارّ امور ( احدها ) انها تدل  
على جهل المتعبد بها حتى لو كان عالما ( ثانيها ) انها تؤيد الجهل وذلك  
اعظم جرما من الجهل نفسه ( وثالثها ) انها تبطل الحق واحقاقه فيما  
بين الناس والله سبحانه اشكل عليهم بواحد من هذه الاشكالات وهو  
تأييدهم للجهل واتخاذهم له تعصبا بقوله او لو كان آباؤهم لا يعلمون

شيئا ولا يهتدون وباعتبار ان الجوامع البشرية على طول الخط لا تخلو من محق في قبال مبطلين ومن مؤمن في عرض مشركين وصّى الله للمؤمنين اذا وجدوا انفسهم امام ظلمة مستحكمة من الجهل والشرك بملازمتهم لأيمانهم واستقرارهم في نصابهم وعدم اهتمامهم بالأغيار بقوله يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي الزموها واثبتوا فانكم اذا فعلتم كذلك لم يضرّ بكم ضلال من ضلّ اذا اهتديتم فانكم جميعا المهتدي والضالّ ترجعون الى الله فينبئكم بما كنتم تعملون المهتدي بمشيه على الطريقة الحقّة والضالّ بانحرافه وتحيريه وقد يلوح من الآية الثانية عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المؤمن بعد أن هدى نفسه وعمل على مقتضى ايمانه لكنّ الأمر ليس كذلك فإن هذه الآية سيقت عقيب الآية الأولى وهي مشعرة بلزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنّ هذا الالتزام يتقلص عن المكلف اذا وجد في الطرف استنكافا واضحا وانكماشاً الى جانب الباطل واعتدادا بالنفس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يلزمان حيث يحتمل التأثير واما مع القطع بعدمه فلا مسأله وقد روى في هذا الباب أنّ ابا ثعلبة سأل رسول الله (ص) عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك وذّر الناس وعوامهم .

\* ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم فى الأرض فأصابكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ) \*

تأتى فى تفسير الآيه وجوه من الاحتمالات واطهرها ما نذكره تاليا بعد مقدمة وهى ان شهادة ارتفعت على أنها مبتدأ خبره قوله اثنان ذوا عدل وتصحيحه على تقدير محذوف الذين يتحملون الشهادة بينكم اثنان واطافة الشهادة الى الظرف وهو بينكم على التوسع وحين الوصية ظرف لتحمل الشهادة واذا حضر احدكم الموت ظرف لمحتوى القضية وحضور الموت ظهور علامات خفيفة او محتملة بدواعى معقولة والحبس هو الأيقاف والأرتياب هو الأضطراب والتردد والأىصاء والأشهاد عليه ليسا بواجبين الا اذا كان الانسان مدينا لله او لعباده ولم يستطع ايفاء ذلك وهو حى يد رج او كان يخاف ضياع اطفاله من بعده فتكون الوصية حينذاك واجبة وبدون ذلك تستحب .

وقوله تعالى ذوا عدل منكم يفيد لزوم ان يكون الشاهد مسلما عادلا حيث يمكن ذلك والا يمكن واغلب احتمالاته كون الانسان فى سفر ورفقته غير مسلمين او فى بلد غير اسلامى فيكفى فى شهادته الوصية ان يكونوا غير مسلمين ، وبعد هذا فمفاد الآيه يكون بهذا الترتيب يا أيها الذين آمنوا وتخصيص المؤمنين بالذكر لانهم المتوجهون لأوامر الله



وتنفيذها اذا اردتم أن توصوا بما يلزمكم الأيضاء به او يستحب عند ما يلوح لكم شبح الموت من اى داع كان فالذى يتحمل الشهادة على ذلك بينكم رجالان مسلمان عادلان او غير مسلمين اذا اعوز المسلمان العادلان ومظان الأعواز ضربكم فى الارض وحضور الأجل عندكم حينذاك وضمير الجماعة فى تحبسونهما على هذا المجرى الذى نحن بصدده يعود للمؤمنين الموصين بمعنى انكم ايها الموصون تثبिता لمفاد الوصية توقفون الشاهدين اللذين تريدون ان تحملوهما وصيتكم من بعد الصلاة— آية صلاة كانت — لانها مظنة صدق ورد <sup>من</sup> الانحراف وخوف من التبديل فيحلفان لكم انكم صرحتم بما اردتم ولم تترددوا فيما تريدون ايفائه وانهما لا يبدلان مفاد الوصية بأى ثمن يرضخ لهما وحتى لو كان المشهود له قريبا منهما بمعنى ان العواطف لا تميل بهما الى جانب باطل وانهما لا يكتمان شهادة تحملها لله وانهما اذا غيرا او بدلا كانا من الآثمين .

ويجوز ان يكون الضمير فى تحبسونهما للقضاة الذين يترافع اليهم لو حصل اختلاف بين الورثة وشهود الوصية ويكون قوله تحبسونهما ابتداء كلام وعليه يكون معنى ان ارتبتم ان حصل لكم يا معشر القضاة شك وتردد مما اداه الشهاداء اما على المعنى الأول الذى اعتبرناه مفادا للآية فأن نافية لا شرطية .

\* ( فأن عثر على أنّهما استحقّا اثما فأخران يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الأوليان فيقسمان باللّٰه لشهادتنا احقّ من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين : ذلك ادنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا أن تردّ ايمان بعد أيمانهم واتّقوا اللّٰه واسمعوا واللّٰه لا يهدى القوم الفاسقين ) ×

جاء فى مورد نزول هذه الآية وما سبقها ان ثلاثة نفر خرجوا من المدينة تجارا الى الشام تميم بن اوس واخوه عدى وكانا نصرانيين وابن ابى مارية مولى عمرو بن العاص السهمى وكان مسلما حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن ابى مارية فكتب وصيته بيده ودسّها فى متاعه واوصى اليهما ودفع اليهما جميع ما عنده وقال ابلغا هذا اهلى فلما مات فتحا المتاع وأخذوا ما اعجبهما منه ثم رجعا بالمال الى الورثة فلما فتش اهله المال فقدوا بغض ما كان قد خرج به صاحبهم فنظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تامّا فكلّوا الرجلين فقالا لا علم لنا به وما دفعه الينا ابلاغنا لكم فرفعوا امرهم الى النبى (ص) فلما صلّى رسول اللّٰه العصر دعا بالرجلين فاستحلفهما عند المنبر باللّٰه اننا ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه فخلّى سبيلهما ثم اطّلع اهل البيت على اناء من فضّة منقوش بالذهب معها فقالوا هذا من متاعه فقالوا اشتريناه منه ونسينا ان نخبركم به فأخبروا رسول اللّٰه بذلك فقام رجلان من اولياء الميّت فحلفا باللّٰه أنّهما خانا وكذبا فى يمينهما فاسترجع الأناء من النصرانيين وأعطى لأهل الميّت .

وبعد هذا فمفاد الآيه فان عثر وانكشف ان شاهدى الوصيه لم يجريا على الحقّ ولم يمضيا على طبق الواقع وأنهما ارتكبا ذنب الخيانه واستحقا من جرّاء ذلك اثما وعقوبة وطبعا جهة العثور على انحرافهما نوعا انما تكون من ناحية اهل الميّت فانهم اعرف بمجاريه من كل احد فأخران يقومان مقام الخائنين وهذان الآخران من الاقارب والاولياء والورثة للميّت الذين استحق عليهم التقدم الشرعى الأوليان بالميّت حيث يكون هناك اولى بالميت من غيره ويكون الأولى به اثنين فيحلف هذان الأوليان بالله لشهادتنا نحن احق من شهادة ذينك الرجلين اللذين اوصى اليهما ونحن الأوليان لم نعتد بيميننا حين كذبنا الشاهدين وبرزنا خيانتهم وحيث نكون معتدين نكون ظالمين .

فبهذا الطرح الذى رسمه الله للوصية والتصوير الذى تكلفته الآيه السابقة واللاحقة تحصل دوافع معقولة لشهداء الوصية ألا يخونوا ولا ينحرفوا بعدما يعلمون ان اهل الميت يستطيعون بكشفهم للواقع ان يسقطوا شهداء الوصية عن الاعتبار ويفضحهم ويسترجعوا منهم ما خانوهم فيه ويردوا ايمانهم بأيمان يقومون هم بها فى مقابلهم فاتقوا الله يا جماعة الشهداء واسمعوا مواعظ الله واحكامه وكلّ من فسق واصرّ على فسقه فأَنَّ الله لا يهديه .

\* ( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتُم قالوا

لا علم لنا انك انت علام الغيوب ) \*

انتصب يوم على انه مفعول به لا تقوا مقدرة مفسرة بما سبق من قوله واتقوا الله ومعناه خافوا يوم الحشر ذلك اليوم الذى يجمع الله فيه انبيائه ورسله فيقول ماذا اجابكم اممكم عندما دعوتموهم الى الحق

وندبتموهم الى اتباع الهدى فيقول الرسل فى جوابه لا علم لنا بخفياهم  
 اما ظواهرهم فبعضها ملايم وبعضها منشر ولا ندرى عما تشفّ تلك

الظواهر انك انت وحدك علام غيوب الاشياء ومدرك ضمائرها .

\* ( ان قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى

عليك وعلى والدتك ان ايدتك بروح القدس

تكلم الناس فى المهد وكهلا وان علمتك الكتاب

والحكمة والتوراة والانجيل وان تخلق من الطين

كهية الطير بأذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا

بأذنى وتبرأ الأكمه والأبرص بأذنى وان تخرج

الموتى بأذنى وان كفت بنى اسرائيل عنك ان

جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا

الآ سحر مبين ) \*

ان ظرف ليوم الحشر ايضا حيث يقول الله فيه جلاء لنعمه على عبده

يا عيسى بن مريم بمعنى ان من ادعى لك الألوهية خاطيء ضال بعيد

الضلال فانك حادث فى الوجود بعد أمك وأمك ايضا حادثه فى

الوجود لأنها مسبوقه بأبويها وهما ايضا مسبقان بمن ولد هما وهلم

د واليك ومثل هذه الوجودات لا تصلح لأن تكون صانعة للعالم خالقة

للاكون ان ذكر نعمتى عليك وعلى والدتك بالانعام الخاصة وفائدة هذا

التذكير تجسيم نعم الخالق فى نظر المخلوق حتى لا تغيب عن مد

نظره لحظة واحدة ان ايدتك مادة ومعنى بروح القدس وهو جبرئيل

يحوطك ويصونك ويعلمك ويدفع عنك تكلم الناس اعجازا حين كنت فى

المهد وهكذا حين كنت كهلا اما الأعجاز بالتكلم وهو فى المهد فواضح

وأمّا فى سنّ الكهولة فبما فيه من حلّ مشكلات وتوضيح عويصات لا يهتدى اليها ببشريته واذ علّمتك الكتاب وهو جنس كتب السماء المنزله من لدنه والحكمة وهى تحقيق حقائق الاشياء والتوراة والأنجيل وهما من كتب السماء انما ذكرنا بالخصوص للتنصيص بعد الأجمال والتخصيص بعد التعميم .

واذ تخلق اى تصنع من الطين كهياة الطير بأذنى بمعنى انك انما تفعل ذلك لا باشتهاءك بل بتجويز منى حتى يكون ذلك مدعاة لتصدق الناس بك فتنفخ فى هذه الهياة فتكون تلك الهياة طيرا حقيقيا بأذنى وقد رتى لا بقدرتك وسيطرتك وتبرأ الأكمه الذى ولد اعمى من بطن أمّه فيعود بصيرا سالما وهكذا تبرأ الأبرص بأذنى فيزول منه برصه واذ تخرج الموتى من قعور قبورهم بأذنى فيقومون احياء واذ كففت بنى اسرائيل عنك حين ارادوا قتلك فحلت بينهم وبينك وكان داعى تخالمهم عليك انك جئتهم بالآيات البيّنات الدالة على صدقك فيما جئت به لكن ذلك لما كان مغايرا لما تهواه نفوسهم رأوك عدوا لهم فأخذوا يحوكون لك الغوائل نعم لا شك ان كل نكتة ممّا تعرّض له سبحانه نعمة عظيمة تستحق من جزيل الشكر ما لا يقوم به لسان وبيان .

\* ( واذ اوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي  
وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون :اذ  
قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع  
ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا  
الله ان كنتم مؤمنين :قالوا نريد أن نأكل منها  
وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها  
من الشاهدين ) \*

ليس المراد بالوحي الى الحواريين هو الوحي المعروف بل ما هو  
من معناه وهو اقامة البرهان لهم بما يتضح لديهم حقيقة الصانع للعالم  
وصدق رسله فيما ادعوه وجاءوا به ، وحواريّ الأنسان ملازمه والخصيص به  
ومن لازم حواريي الانبياء ان لا يترثثوا في الاعتقاد بأن الله قادر على  
كل مقدور ومن جملة ذلك انزال مائدة من السماء عليهم اذا فمعنى  
هل يستطيع ربك هل يجيز لنا ان نطلب منه هذا المعنى وبعد هذه  
المقدمة فمفاد الآية واذكر يا نبي الاسلام بمعنى فاعلم حين اقمست  
الشواهد الناصّة على وجودي وارسالي للرسول واقامتى البراهين بين  
يديهم لرفقة عيسى وقلت لهم بلسان تلك الشواهد آمنوا بي وبرسولي  
عيسى فاستجابوا لهذه الدعوة وقالوا آمنا بك وبرسولك واشهد يا ربنا  
علينا بأننا مسلمون لك ولرسولك كما دعوتنا واذكر يا نبيّ الاسلام ايضا  
حين قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يجيز ربك لنفسه ان ينزل  
علينا خوانا عليه طعام من السماء بحيث نرى ذلك بأب اعيننا فقال لهم  
عيسى خافوا الله وتأدّبوا امامه من امثال هذه الطلبات التي لا يسألها  
الا اشباه الجهال ان كنتم مؤمنين بالله كما تدعون فان الايمان به

يستدعى منكم ( امرين : الأول ) الاذعان التام بقادريته على كل شئ  
سواء فعل ذلك المقدور ام لم يفعله ( الثاني ) مزيد التأدب أمامه وايكال  
الامور اليه : فقال الحواريون في جواب عيسى انما طلبنا ما طلبنا لنأكل من  
هذه المائدة تبركا وتطمئن قلوبنا بسببها ازيد مما عليه نحن الآن ونعلم  
قاطعين أن قد صدقتنا فيما ادعيت ودعوتنا اليه ونكون على نزول هذه  
المادة من السماء شاهدين على من لم يرها .

\* ( قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة  
من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية  
منك وارزقنا وانت خير الرازقين : قال الله انى  
منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعدّ به  
عذابا لا اعدّ به احدا من العالمين ) \*

ونزولا على رغبة الحواريين قال عيسى اللهم ربنا وكلمة ربنا تأكيد  
لكلمة اللهم انزل علينا كما طلبوا مائدة من السماء تكون لنا مادة فرح  
وانس فعلا ومستقبلا وعلامة اعجاز ورزقا نسعد به وانت خير من يسعد  
اوليائه فاستجاب لعيسى ربه قال انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد انزالها  
منكم فانى اعدّ به عذابا لا اعدّ به هذا العذاب احدا من الناس وقد  
تعددت الآثار فى وصف هذه المائدة وتكررها .

\* ( واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس  
 اتخذوني وأمي الأهين من دون الله قال  
 سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق  
 ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا  
 اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب: ما قلت  
 لهم الا ما امرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم  
 وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني  
 كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء  
 شهيد : ان تعدّ بهم فانهم عبادك وان تغفر  
 لهم فانك انت العزيز الحكيم ) \*

اذ ظرف مآله يوم القيامة فأن قول الله بمفاد هذه الآيات لعيسى  
 انما هو في يوم القيامة يا عيسى بن مريم اسلفنا ان وصفه بكونه ابن مريم  
 للتدليل على حدوثة وعدم صلاحيته ان يكون خالقا للعالم وانستت  
 استفهام انكار لا يراد به الاستنكار على عيسى لانه لم يفعل هذا الفعل  
 وانما هو استنكار على اولئك الذين يعتقدون فيه هذه العقيدة ، فان  
 قيل ان الربوبية قد ادعت لعيسى لكنها لم تدع لآمه قلنا قد نقل ان  
 هناك فريقا من المسيحيين يقال لهم المريمية ادعوا الوهية مريم وغيرهم  
 ايضا يغالون فيها بما يخرجها عن نصابها كما غلوا بعيسى نفسه فكان  
 جواب عيسى امام سؤال الله له في المحشر الجامع لطبقات الناس  
 سبحانك اى تنزيها لك ورفعك لشأنك كيف يسوغ لي ان اقول ما ليس لي  
 قوله ان كنت قلته فقد علمته منى جهارا هذا وانى فضلا عن عدم قولى  
 هذه المقالة بلسانى لم اضمرها فى نفسى وانك تعلم ما فى نفسى



ونفوس الاغيار ولا اعلم ما فى نفسك اى الغيب الذى انت منطو عليه  
 انك انت علام الغيوب اما انا وسائر المخلوقات فلا نعلم غيبا لك او  
 لغيرك الا ما علمتنا ، انا ما قلت للناس الا ما امرتنى به وهى عبادتك  
 انت ربى وربهم وكنت انا ناظرا عليهم مدة بقائى بين ظهرانيهم فلما  
 توفيتنى برفعى عنهم اليك كنت انت وحدك الرقيب وانت على كل شىء  
 شهيد وناظر لا على هؤلاء فقط فالآن الجميع بين يدك ان تعذبهم  
 على انحرافهم وانصرافهم عنك فانهم عبادك ومملوكوك وان تغفر لهم  
 فالحق حقك ولم تكن مغفرتك لهم عن ذلة فيك بل انت عزيز على كل  
 حال حكيم فى جميع الاقوال والافعال .

\* ( قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم

جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها

ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنهم ذلك الفوز

العظيم : لله ملك السموات والارض وما فيهنّ

وهو على كل شىء قدير ) \*

هذا اى يوم الحشر يوم ينتفع الصادق فى دنياه بنتائجه هنا فأن  
 الصدق قد لا ينفع او قد يضرّ فى بعض مجارى الدنيا لكنّه مسلمّ النتيجة  
 المثبتة فى الآخرة وانّما تعرض الله هنا للصدق ونتائجه دون بقية ما  
 يثمره الصدق لما أسبقه فى حق عيسى من سؤاله تعالى له وجواب  
 عيسى لسؤاله بما هو طبق الواقع، رضى الله عنهم لصحة ايمانهم وقيام  
 بنية دينهم كما أريد منهم ورضوا عنه لأنهم حصلوا نتائج زحماتهم فى  
 الدنيا موفورة وصدق الوعد قلّما يحصل ثم انه سبحانه عقّب ما سبق عنه  
 من وعد ووعيد بما يفيد عموم قدرته وتام سلطانه وصحة تصرفه بالاشياء  
 لأنها خلقته فقال لله ملك السموات والارض وما فيهنّ وهو على كل شىء قدير

\* (( سورة الأنعام )) \*

مكية كلّها باستثناء ما فيها من آيات احكام فى اواخرها فان ذلك منها مدنى ستجىء الأشارة اليه عدد آيها ١٦٥ آية ورد فى فضلها شىء كثير .

\* ( بسم اللّه الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون : هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تموتون ) \*

قول اللّه تعالى فى حق نفسه الحمد لله الفات نظر منه للكائنات التى بها أن تتوجه فتدرك موقفها من مبدئها وانه بالنسبة اليها مستحق للحمد بدليل انه لم تكن سماء ولا ارض اصطلاحيان بمعنى ان هذه العوالم التى استطاع ان يدركها البشر لم تكن حيناً ما موجودة وتكونت بعد ذلك واخذت تتصرف وتتغير وتتعدد وتتكرر ومن جملة المجعول للمبدء الظلمة والنور وقد يقال جعل النور حق لأنه مؤنة زائدة على اصل جعل الشىء لكن الظلمة التى هى عدم النور كيف يتصور فيها الجعل فيجاب بانه ليس المنظور بالظلمة حيث اقترنت بالنور هى الظلمة الازلية بل التى تتبادل مع النور فأنها عدم ملكة واعدام الملكات لها حظ من الوجود وبذلك صلحت لأن تقع متعلقة للجعل وبعد ما ثبت ان السموات والارض والظلمات والنور لها جاعل يكون محلّ للاستغراب اذا عدل البشر بربه غيره بأن جعل للخالق عدلا من وثن او صنم او اى كائن

يفرض فان ذلك يكون دليلا على جهل العادل به تعالى .  
 والمبدء الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور هو  
 الذى صور اصل خلقتكم من طين اى كان الطين اصلا اوليا لماهيتكم  
 والحياة امر عارض عليها لا انه من لوازمها الطبيعية ولو كانت الحياة من  
 لوازم الماهية لكل موجود او ماهية البشر فقط لما رأيت مواتا فى الكرة  
 الارضية ولا فى غيرها ولا فى نطفة بشرية على الإطلاق لان لازم الماهية  
 لا ينفك عنها ثم قضى تعالى لحياة كل انسان اجلا لا بشرطيا كأن يقدر  
 له من العمر خمسون سنة لا بشرط ثم فى مجرى حياته قد يفعل ما يزيد  
 فى ذلك او ينقص كصلة الرحم وقطيعتها وهذا هو الأجل المسمى  
 عنده تعالى لعلمه بما يكون من الأنسان فى ثنايا حياته باختيار من  
 نفسه .

هذا وبعد أن ثبت ان الانسان لم يكن ثم كان وصور من طين وكل  
 ذى حس يدرك ذلك من اصل الخلقة ولا اقل يدرك انه ماكان ثم كان  
 فمثل هذا الأحساس يجب اعماله لو حدث الأنسان بأنك بعد الموت  
 تعاد وتنشرفأى استغراب فى عقيدة البعث بعد أن ثبتت العقيدة فى  
 اصل التكوين وهذا معنى قوله تعالى ثم انتم تمترون .

\* ( وهو اللّٰه فى السموات وفى الارض يعلم سرّكم

وجهركم ويعلم ما تكسبون ) \*

ضمير هو يجوز فيه أن يكون ضمير شأن مثله فى قل هو اللّٰه احد كما يجوز ان يعود على الخالق المتصيّد ممّا سبق ومعنى كونه فى السموات والأرض عدم محدوديته بزمان او مكان او بأى محدّد آخر وعدم المحدودية فيه هو الذى جعله يعلم الباطن والظاهر وما يكسب المكلف من خير وشر .

\* ( وما أتيتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها

معرضين : فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف

يأتيتهم انباء ما كانوا به يستهزؤن ) \*

آيات الرب هى العلامات الناطقة بلسان حالها او مقالها على صحة ما يلقى به الى المكلفين والتكذيب بالحق معناه عدم العمل به لاجحوده عقيدة اذ لا يعقل جحد القلب للواقعيات ثم أبان سبحانه عن الذين كفروا السابق ذكرهم بأن فيهم من التمرد الحادّ ما يجعلهم معرضين جانبا عمّا يأتى اليهم من آيات اللّٰه الناطقة بوجوده وبأرسال رسله وتكاليفه المدلى بها توسطهم والتمرد عن الحق تكذيب له لأنهما يشتركان فى النتيجة لكنّ هؤلاء المعرضين المستخفين سوف يصل اليهم ويتصل بهم اخبار ما كانوا به يستهزؤن ومعنى ذلك معاينتهم للعذاب وجها لوجه يوم الجزاء .

\* ( ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم  
 فى الأرض ما لم نمكّن لكم وارسلنا السماء عليهم  
 مد رارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم  
 فأهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا  
 آخرين ) \*

قوله ألم يروا انكار بصورة تهدد لأولئك المعرضين المتمردين على  
 الحق بهذا البيان وهو انهم بلا ريب يدركون بأحداقهم ماجرى على  
 الأمم قبلهم من فناء وهلاك ومحق وسحق وقد نكون قد بسطنا لهم فى  
 الرزق والجاه والمتعة ما لم نبسط لكم ومع ذلك لم تغد هم مكنتهم فى قبال  
 ارادة الله بهم الفناء هذا كله حق لكن قد يقال ان الحاضرين من  
 الكافرين كالسابقين لا يرون ذلك مؤاخذة ولكنهم يرونه جريا طبيعيا  
 يجرى على كل احد ولذلك لم يعيروه بالأ نعم كان يلزمهم الاحتياط لو  
 كانوا عقلاء فأنهم بلا شك يحتملون وقوع ما وقع عن مؤاخذة لاعتن مجرى  
 طبيعى او محصن الصدفة وها نحن نرى الناس ملوكا وسوقة يتخذون  
 حذرهم لمعاشهم حتى قد تؤول بهم الاحتياطات الى السفه فمالهم  
 بالنسبة الى المعاصى لا يأخذون حذرهم منها حتى لا يصابوا بحوادث  
 الدنيا ولا بمؤخذات الآخرة .

\* ( ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيد يهم

لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ) \*

الشرطية المذكورة قد تكون فرضية محضة افترضت اعتبارا بما ينطوى عليه المخاطبون من عامية مفتضحة وسليقة منحطة وقد تكون مأخوذة عن رغبتهم ان ينزل الله لهم كتابا فى قرطاس فيلمسونه بأيد يهم وحينذاك يؤمنون برسالة محمد فأجاب سبحانه عما افترضه بأن الانسان لا يخلوا أما ان يكون عميق فكرة وصاحب عقل راجح فهذا تكفيه المعانى عن المبانى واللب عن القشر ولا يستدعى وراء ذلك شيئا والقرآن فيه اعلا مقامات المعانى الشامخة وأما ان يكون اجوف فارغاً من الجهالات والحماقات فهذا لا يفيد قرآن محمد كما لا تفيد طلباته التى يريد لها لأنه بعد أن يعطاها يقيسها على خزعبلاته المألوفة له من الشعبذات والنيرنجيات فالكتاب اذا انزل قرطاسا من السماء يراه هذا الطالب له كيف ينزل من عال وكان اتكاؤه على قرطاسيته ونزوله من السماء لا على معانيه وجواهره جاز له ان يقول اننى شهدت نظيرا لذلك عند السحرة فمحمد على فرض قدرته ان ينزل ذلك كما نريد لا يزيد على كونه ساحرا من السحرة .

ومجرى حد يث الآيه ينطبق تماما على مجارى هذه العصور المتجددة التى خلعت رباط كل عقل ومعقول عن انفسها وسارت فى الحياة على الميوعة من جميع الجهات فليس الذى نلمسه من انحراف القضاء وتفويضه الى فاقدى الصلاحية ولا فى التعليم والتثقيف ولا فى نشر نعم الوقت والبلاد على اهلها بالتوزيع العادل ولا فى التهتك الذى نلمسه فى عامة الجنباى ليس ما نلمسه من ذلك واضعافه نتيجة لقصور فى البرهان القائم على خلافه وانما هو للتمرد على الحق انجرافا

مع العاطفة الحيوانية فان الحيوان الهامل فضلا عن انه يفقد تربيته السائس ترى الوحشيات تنتابه من عامة جهاته فيعود ضاريا عارما لا يستفاد منه ان لم يحصل منه ضرر مزعج كما حصل كل ذلك من طريق الألحاد بكافة المبادئ البرهانية في هذا العصر وترمى الآية الى تسلية النبي وكل مؤمن وايصائه بلزوم طريقته والاستمرار بها الى آخر نفس .

\* ( وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون : ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون : ولقد استهزئء برسلا من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون ) \*

وهذه شرطية أخرى بلون آخر مفادها ان المشركين المعاصرين لنبي الاسلام المدعويين من قبله لتسلم الرسالة الإسلامية قالوا لو أن الله اراد تثبيت رسالة محمد كما يدعى محمد انه رسول من الله وان آية ذلك قرآنه الذي يسرده علينا لأنزل عليه ملكا يؤيده ويسدده ويصدقه ويدعو الى نبوته فأجابهم سبحانه ناقضا عليهم بما فيه وضوح تام وهو انكم ايها الاقوام تسمعون بالملك ولكنكم لا تعرفون له معنى فان الذي ينزل عليكم لا بد وان يكون مرثيا لكم بما تعرفونه من الصور المحسوسة ولا مؤيد من الصور المحسوسة التي تنطق بتأييدها له الا صورة رجل او امرأة والمرءة في نظركم لا قيمة لها فانحصر انزاله بصورة رجل يكلمكم بأننى ملك جئت لأؤيد محمد بن عبد الله وعند ما ترونه ترونه رجلا كهؤلاء الرجال الذين تصابحونهم وتماسونهم فيلاريب ان محمدا لوجاء برجل يقول فيه ما

تريدون لاشتد استهزؤكم به اكثر من ذى قبل ولقلتم له نحن اردنا منك ملكا وهذا رجل كآحاد هؤلاء الرجال فكما انكم تقولون للناس ان محمدا ليس بنبيّ لانه بشر توقعون عليهم الألباس بذلك كذلك نحن لو ارسلنا ملكا وطبعاً يكون بصورة رجل لقلتم ان الله لبس علينا ولم يصحّر لنا بالحقيقة فان هذا الذى نشاهده لا يعدو ان يكون كواحد من اولئك الرجال الذين نشاهدهم بلا انقطاع .

وهذا الجواب الذى اصحر به الله من الاجوبة القاطعة ، واجاب بجواب ثانى هو اعلم به منّا فقال ولو انزلنا ملكا كما يريدون ومع ذلك لم يؤمنوا بمحمد فأنا نعجل عليهم بالتلف والهلاك لأنهم هم ارادوا هذه المعجزة وهم نبذوها فلا بد من الأيقاع بهم بخلاف ما لو كان لون الأعجاز بنظرنا نحن كانزال القرآن فأنا لا نقضى عليهم عاجلا بل نمهلهم ونرجى الأيقاع بهم لوقته ، ثم صبر نبيّه بأنتك لست بدعا فى الرسل ولا قومك فى تكذيبك بيدع فى الاقوام فلقد استهزؤ برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزؤون .



\* ( قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة

المكذبين : قل لمن مافى السموات والأرض قل

للّٰه كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم

القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا

يؤمنون : وله ما سكن فى الليل والنهار وهو

السميع العليم ) \*

ثم أمر سبحانه نبيّه أن يقول للمشركين المعاصرين سيروا فى الأرض  
بتمعن وانظروا فيما تمرّون عليه بتدبر وعانوا باعتبار فأنكم ان فعلتم  
ذلك وقفتم على مسير الانحراف ونتائج الخلاف والثمرات المرة للطغيان  
على المبادء الحقّة والضلال عن الجادة القويمة والتكذيب لدعاة الحقيقة  
والتمرد على ما يأمر به وينهون عنه من حق وباطل وصحيح وسقيم  
وحسن وقبيح ولا شك ان هذه النقطة نقطة حسّاسة فى تسيير البشرية  
على المدارج الصحيحة وانتشالهم من الجهل والسقوط الى الفضائل  
والمعالى لكن قلّ من يتدبر ذلك ولتخلف هذا المعنى فى الجوامع  
لانزال نراها فى انهيار .

ثم امره سبحانه أن يستنشد هؤلاء المنحرفين عن صانع ما فى  
السموات والأرض ومبدعه ومصرفه ومالكه الواقعى فأن هذا السؤال سؤال  
حق ولا يجوز ان يكون جوابه ان ذلك وجد من نفسه ولا أن بعضه أوجد  
بعضا فان كلال الجوابين خارجان عن ادنى ملاكات العقول التى بهما  
يعيش البشر ويدرك خيره من شرّه وسعادته من شقائه وتعاليه من تسفله  
فلا شك ان الجواب يكون هو موجود غير مادى تلزمه القدرة غير المحدودة  
والحكمة الواسعة والاختيار التام وما الى ذلك من صفات قد برهن عليها

بكرراً منّا ومن غيرنا وهذا الموجود هو المسمّى بلفظ - الله - ثم بعد أن أثبت وجوده وخالقيته للعالم أبان انه تعالى لما خلق هذا الخلق اراده للسعادة والتعالى ولذلك لم يهمله سدى بل قرنه بالتكليف القائم بسعادته التي ارادها له ووسّع له ميدان الاختيار فى التكوين يعنى انه لم يلجئه الى الفعل يفعله من قبيح وحسن وباطل وحق بل أمره ونهاه ووعدّه وتوعده ووعظه وارشده ومثّعه بالاختيار التام حتى لا يلتجأ فى مقام الانحراف الى المعاذير يتوسل بها وطبعاً من لازم ذلك ان يكون للبشرية يومٌ تشهد له لحسابها على ما فعلت وتركت وان يقترن بذلك الحساب جزاء وهذه النكات هى الرحمة التى كتبها تعالى على نفسه ليجمعنكم الى يوم القيامة المحقق وقوعه ولا شك ان الذى يخسر نفسه يعنى يعطيها للمغريات ويقذف بها الى الجهالات لم يكن من المؤمنين بالمبدأ وبما وظف على عبادته وكلّفهم به ، وكما ان ما فى السموات والارض لله تعالى كذلك له ما سكن وتحرك فى مظان السكون والحركة وهو من باب عطف الخاص على العام وهو السميع لجميع ما يبده على السنة الناطقين من خلقه العليم بمنوياتهم .

\* ( قل أغير الله ولياً فاطر السموات والارض  
وهو يطعم ولا يطعم قل انى امرت ان اكون اول  
من اسلم ولا تكونن من المشركين : قل انى اخاف  
ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ) \*

كأن المشركين قالوا لنبي الاسلام علام تترك ما كان عليه قومك وسلفك  
من الطريقة التى نحن عليها الآن فتسبب لنفسك محرومية من مجاوريك  
ومعاشريك واهل وطنك وعشيرتك فيقل اولياؤك واحباؤك وناصروك  
ومساعدوك .

وبعين هذا المنطق نرى المتجددين يلحون باللائمة على من يروونه  
يتخرج من المآثم ويعير نظره للدين وينضم الى صفوف المتدينين فيقولون  
له واية فائدة تراها من طريق الدين ولوسانده كل برهان فى العالم  
بعد أن انصرف عنه غالب الناس ولا شك ان الدنيا للأغلبية والأقلية  
بطبيعة الحال لا يكونون الا منبوذين .

فأمر الله رسوله ان يجيبهم بأننى لا أجد وليا اعتمد عليه غير الله  
سواء كان ذلك الغير من اخس الموجودات واحقرها كالأصنام او من  
اعلاها فى نظر الناس كالثرى المقتر رذى الجاه والسلطان فان هؤلاء  
كلهم ضعفاء ومهما ظهرت عليهم مخائل القوة مضافا الى انه ليس كل  
من باعد الأيمان واقترب من حزب الشيطان فاز بمقدار قربه من الدنيا  
وبعد ه عن الآخرة ولو كان الأمر كذلك لما رأيت فى حوزة المؤمنين  
الصادقين الا الشاذ النادر الذى يتمكن من الدنيا ومع ذلك يجفوها  
بعدا عن علائقها المعنوية واعتزازا بأيمانها كيف وهانحن نرى الممالك  
الشرقية لما احبت ان تعيش على التزلف للدول القوية القت بأنفسها

فى احضان الشيوعية وغيرها على أن تصفّ فى مصاف من تزلفت اليه فما وجدت من هذا التزلف الآ وشلا لا يقوم ببلغة ولا يمتع ورأت أنّها قد اعطت من نفسها وشعوبها اضعاف ما استفادت و الى الآخر ترى انفسها اذ نابا لاقيمة لها .

أمّا الله يعنى مبدع السموات والارض الرازق لكافة ما سواه غير المرزوق من احد فهو وحده الصالح لأن يتخذ وليا وناصرًا ورازقا ومغنيا وهذه الأدلة التى تفتقت امام عيني بصورة اوسع ممّا تفتحت لغيرى هى التى الزمتنى ان اكون اول من اسلم من الجيل الذى انا فيه كما خوطبت من ناحيتها بـ لا تكوننّ من المشركين .

قل لهم يا محمد ايضا انى اخاف ربى ان عصيت له امرا ان يعذبني بالعذاب الذى أعدّه للعصاة فى اليوم العظيم الذى توعدّ به فهذا ممّا يلزمنى وانا كأحد المكلفين فكيف مع ذلك وانا نبىّ موظف بقيادة اجيال الى عبادة الله فالمعصية لله سبحانه لا تكون منى ابدًا ، والسياق كان قاضيا بأن يقول ان اكون اول من اسلم ولا اكون من المشركين لكن حصل ما يدعو الى الألتفات بتقدير وامرنى ربى او الدليل الذى انتصب لعينى مخاطبا لى بقوله ولا تكوننّ من المشركين .

\* ( من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز  
المبين : وان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له الاّ  
هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير :  
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ) \*

نائب فاعل يصرف هو ضمير عذاب من قوله عذاب يوم عظيم وفاعل  
رحمه ضمير يرجع لله تعالى بين سبحانه في الآية الأولى من اهميّة  
عذاب ذلك اليوم العظيم ان مجرد صرفه عن الإنسان ولو لم يتلبس  
مكانه بنعيم رحمة واسعة وفوز ظاهر تدركه كافة الأبصار والمشاعر ثم اوضح  
تعالى لنبيه أنّ ايضاح عن مقولته هو سبحانه بالنسبة الى كافة العوالم  
ومن جملتها نبيه باعتباره كائنا من الكائنات بانه اذا قدّر عليك ما لا  
تهواه ولا ترضاه فلا كاشف لما يقدره عليك الاّ هو فقط وان يقضى لك  
خييراً قليلاً كان ام كثيراً فهو على كل شيء قدير وانه هو القاهر فوق عباده  
لا قاهر يوازيه او يعلو عليه وهو حكيم فيما يقدر من ضرّ وخير خبير ببواطن  
الأشياء لا يشتهه عليه كما يشتهه على غيره .

\* ( قل اى شىء اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ائتمك لتشهدون أنّ مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد واننى برىء ممّا تشركون : الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ) \*

هاتان الآيتان تتكفلان انواعا من الاستدلال (الاول) ان المشركين طلبوا من نبيّ الاسلام شاهدا على صدقه لا يردّ وناطقا بتأييده لا يزيّف فعلمه الله طريق ذلك وهو أن يقول لهم اى شىء اكبر شهادة ترونه فيراهم ساكتين امام هذا الاستفسار لأنّ عقولهم لم تهتد اليه فقال تعالى له قل لهم شهادة الله برسالتى اكبر شهادة لانهم يعتقدون بالله وان اشركوا به ويرونه اعظم الآلهة واهمها ولقائل ان يقول لا ينكر ان شهادة الله اكبر شهادة لكن من اين لنا بها فالجواب ان القرآن صرّح بها مكررا فقال محمد رسول الله وغير ذلك والقرآن لا يستراب بأنه كلام الله لتحديده بنفسه وعجز الناس امامه عن معارضته وهذا القرآن فضلا عن شهادته برسالتى أوحى به الىّ لأنذركم انتم المشافهين لى به وكل من بلغه من المعاصرين والاجيال القادمة .

( الثانى ) ان المشركين بطبيعة اسمهم يعتقدون أنّ مع الله آلهة أخرى فأمر نبيّ الاسلام أن يفند معتقدهم تلويحا بقوله انما هو اله واحد لان المغلولات انما تتقاضى علة مبدئية واحدة فى النهاية وان صرّح تصوير كثرتها فى طول السلسلة واننى انا نبيّ الاسلام وكل عاقل

\* ( وهم ينهاون عنه وينأون عنه وان يهلكون الآ

انفسهم وما يشعرون ) \*

هذا المفاد تابع لما قبله ومقرر له اى ان الذين كفروا ينهاون عن اتباع الرسول ويبعدون عنه بانفسهم قلوبا واجساما ليورثوه وحشة وانفرادا وبالْحَقِيقَةَ ليس صدور هذه الأعمال عنهم الآ تسببا لأهلاك انفسهم ببقائهم على الجهل ومحاربتهم للفضل ولكنهم لا يشعرون بما يجرون لانفسهم لان غطاء التعصب قد سد عليهم كل منافذ وجودهم .

\* ( ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ

ولا نكذبّ بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين : بل بدا

لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لما

نهاون عنه وانهم لكاذبون ) \*

الخطاب لكل من تتأتّى منه الرؤية مع الدقة فيما يرى ليستفيد من رؤيته ما تتحقق بلغته وضمير الجمع الغائب معاده اولئك الذين كانوا يعبثون بكرامة الحق بسبب الأرخاء لهم وعدم التضيق عليهم ووقوفهم على النار معناه ووقوفهم على مآلهم ومستقرهم وعاقبتهم السيئة التى لا يطبقون تحملّ بعض من نتائجها وقليل ممّا اعدّ فيها فيقولون عند ما يصادفون الواقع المحرج ياليتنا نردّ الى ما كنا فيه من دار الرخاء ونعكس جرينا مع الحق بأن نتابعه ولا نخالفه ونعين المحق ولا نكون فى وجهه ولا نكذب بما شرحه الله لعقولنا فقبلته حينذاك لكننا عاندنا واتبعنا ميولنا ونكون بعد عودتنا الى دار التكليف من المؤمنين بقيادة الأصلاح .

— بل بدا لهم — هذا الأضراب للترقى فى البيان عن كشف الحال

التفسير ج ٣ تمنى المشركين العودة الى دار الدنيا ١٣٤

اي ان النار ليست هي وحدها الدافعة لهم الى تمنى العودة الى دار الدنيا بل بيدو لهم ما يقدّر انفسهم لأعينهم وهو تجسّم اعمالهم القبيحة وافعالهم المنكرة نصب اعينهم فيستغربون بالفعل ما كانوا يألّفونه ويمتعضون ممّا كانوا يرتكبونه ثم الله سبحانه يعقبّ على تمنيمهم بأنهم حتى لو اجيبوا الى الرجعة فبمجرد بعدهم عن موجبات الأذى وتلبسهم بالرخاء الذى كانوا عليه تتذوب فيهم هذه الروح الوثابة الى الحق والتلف له ويعودون كما كانوا وانهم لكاذبون فى قولهم لانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وداعى ذلك كّلّه ان الايمان امر لا ينقاد للانسان بالخوف وانما ينقاد له بالحضور النفسى والعلاقة القلبية والابتعاد عن التلوث بالمادة السوداء .



\* ( وقالوا ان هى الآ حياتنا الدنيا وما نحن  
بمبعوثين : ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال  
أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا  
العذاب بما كنتم تكفرون ) \*

قائل القول الذى أصح به تعالى هم الكفار بالمبدء الذى  
يحسبون بوجودهم ولكنهم ينكرون معطيه ومفيضة وواهبه ولذلك قصروا  
وجودهم احياء على فترة الحياة المحسوسة لهم بالفعل التى لا يعللونها  
بعلة ولذلك قالوا وما نحن بمبعوثين لان البعث تجديد حياة يحتاج  
الى عامل حكيم مقتدر على المثوبة والعقوبة كذلك ولو ترى يامدرك ذلك  
اليوم حين يقفون بين يدي ربهم للحساب فيقول لهم ها انتم قد بعثتم  
وتحقق فى الخارج ما انكرتموه أفليس ما طرق اسماعكم بكثرة وهو ما تحسونه  
بالفعل حقا فبلا ريب يقولون بلى مقسمين به تعالى فيقول لهم حينئذ لو  
لم تتم عليكم حجتي لما أخذتكم ولكن الحجة متواترة بتواتر الرسل عليكم  
قد تمت موفرة فذوقوا العذاب الموعود بسبب كفركم بما دعيتم الى  
الأيمان به .

\* ( قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى اذا  
جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا  
فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ألا ساء  
ما يزرون : وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو  
وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ) \*

نعم آية خسارة اعظم من أن يدع الانسان الشيء تكذيبا به ثم يرى  
وجوده منوطا به مقصورا عليه وآية حسرة اعظم من هذه الحسرة كذلك  
المكذبون بالبعث والنشور لتكذيبهم بالله تعالى ومن يكون كذلك لا  
يعرف معصية حتى يحترم ارتكابها بل يكرع في المعاصي حتى تنهار  
طبيعته وهذا ما عبر عنه سبحانه بقوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم  
الاساء ما يزرون ، ثم اعرب تعالى عن حقيقة الحياة الدنيا اذا لم تكن  
مشفوعة بعقيدة الآخرة وما تقاضاه من الانسان بقوله وما الحياة الدنيا  
الا لعب لان الذي لا يزن الحياة الا بما يزنها القرد واشباهه لا يكون  
الا لاعبا لاهيا وللدار الآخرة التي تزع المكلف في دنياه عن المعاصي  
والجرائم والآثام خير للذين يتقون ربهم فيما يأمر وينهى أفلا تعقلون  
أيها الناس .

يلزمه أن يتبرأ من كل شرك في أصل المبدئية وأما الاستعانة بمن أوتى  
مالا وجاها وقوة على دفع الضر والظلم عنه فليس بشرك ولا يذمّ عليه  
المكلف .

( الثالث ) ان هناك من الأدلة على صدق نبيّ الاسلام في دعوته  
معرفة اهل الكتاب له لأنّه مذكور في كتبهم منوّه فيها به وانما تجاهلوه  
لمصالح شخصية وقد اعترف بذلك جملة من اهل الكتاب ، ثم ختم سبحانه  
مجري الحديث بأنّ <sup>لِيُخَسِرَ</sup> نفسه وهو الذي يلقي بها الى الرمز  
والانحرافات والاضاليل والتعصبات الناشئة عن العواطف الساقطة  
والميول العارمة كطلب الجاه والمال المجهدين المتطلبين من صاحبها  
سلوك اىّ د رب يوفى به اليهما ولو كان جرما واثما مع العلم بان القليل  
من ذلك محصّن للشؤون وقائم بالمؤمن اللازمة لا يعقل فيه ان يكون مؤمنا  
بأىّ مبدأ كان ربّا خالقا ام عقلا يستضاء بنوره في طرق المعيشة لان  
الأيمان يقيد صاحبه من الانحراف والضلال فكيف مع حصول الايمان له  
يضلّ وينحرف .

\* ( ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب

بآياته انه لا يفلح الظالمون : ويوم نحشهم جميعا

ثم نقول للذين اشركوا اين شركائكم الذين كنتم

تزعمون ) \*

بأطباق العقول ان الكذب الآ فى موارد ذكرت فى الشريعة من الامور القبيحة والافتراء تعمده وانما كان الافتراء على الله اكثر ظلما من الافتراء على غيره لان الانسان قد يكذب على مثله لأجل محاولة بعض امور الدنيا من بيع وشراء ونظير ذلك حيث يعلم ان طرفه لا يتحاشى امثال هذا الكذب اما تعمّد الكذب على الله ففيه حزازتان قويتان ( احدهما ) ان الله قدّيس طاهر ليس من اهل المحاولات مع غيره وانما قوله وفعله الصراحة والصدق ( الثانية ) انه يعلم دخائل القلوب فالكذب عليه لا موضوعية له نعم قد يتسبب بالكذب عليه اغواء من لا يعلم بكذب الكاذب عليه تعالى فيتناوله باحتمال صدقه ، والكلام كان فى المشركين فافتراءهم على الله الكذب فى هذا المورد معناه انه تعالى اجازهم ان يتخذوا الاوثان والاصنام وسيلة يتقربون بها اليه فى حال انه لم يكن منه شىء من ذلك بل كان نقيضه ، والتكذيب بالآيات معناه الانحراف عملا عنها لأن الآية اذا قامت غرست نفسها فى العقيدة فلم يكن باستطاعة الانسان تكذيبها علما لكن باستطاعته تكذيبها عملا ولا شك ان التلوى على الواقع الصريح من اقباح الظلم للواقع والنفس جميعا .

ثم توجه الى نبيه بقوله واذكر يا محمد يوم نحشهم جميعا يجوز فى ضمير الجماعة الغائب ان يعود الى افراد البشرية كلهم والى خاصة المشركين الحشر طبعا يكون للحساب والجزاء فنقول يومذاك للذين اشركوا اين

التفسير ج ٣ انكار المشركين غداً افتراءًهم على الله ١٣١  
شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انهم يقربونكم الى الله زلفى طبعاً ينقطعون  
هناك عن الأجابة .

\* ( ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا  
مشركين : انظر كيف كذبوا على انفسهم وضلّ  
عنهم ما كانوا يفترون ) \*

الفتنة والافتتان بمعنى وهو علوق النفس بشيء وفتنة المشركين  
علوق انفسهم بما اتخذوه معبوداً لهم ومفاد الآية لا يتم الا على حذف  
مضاف بتقدير ثم لم تكن نتيجة افتتانهم بالشركاء الا التظاهر بانكارهم  
بين يدى الله عند الحساب حالفين بالله انهم ماكانوا مشركين مع  
علمهم ان الله لا تخفى عليه خافية لكنهم لا يجدون وسيلة لأنفسهم الا  
الانكار الصريح كمن ثبت عليه قتل صريح لكنه لا يبارح انكاره وان لم يفده ،  
وبعد هذا ألفت نظر نبيّه او كل من تتأتى معه المخاطبة الى ان  
المشركين فضلا عن كذبهم على الله سبحانه كذبوا على انفسهم وضلّ  
عنهم ماكانوا يفترون من الشركاء فكان كالنقش على الماء .

\* ( ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة  
 أن يفقهوه و في آذانهم وقرا وان يروا كل آية  
 لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول  
 الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ) \*

جاء في مفاد هذه الآية ان النبيّ كان يصلى بالليل ويقرء القرآن  
 فى الصلاة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن  
 به فكان المشركون اذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان  
 تعالى يلقي عليهم النوم ليخلو الجو لغيرهم فى امكان استفادته من  
 النبي ، وهذا المفاد يساعد على ان فى الآية اختصارا بهذا الترتيب  
 ومن المشركين اناس يستمعون الى قراءتك لأجل ان يتسبوا من طريق  
 ذلك الى الوقعة بك فمنعناهم عنك وجعلنا بوسيلة النوم اكنة على قلوبهم  
 لئلا يفقهوا ما تقول فيحملهم ذلك على اذيتك كما جعلنا من الطريق  
 المذكور فى آذانهم وقرا وهم من عنادهم وتمردهم وحبهم للبغي ان يروا  
 آية واية كانت لا يؤمنوا بها عملا وان آمنت بها قلوبهم علما حتى اذا  
 جاؤك يجادلونك لعلمهم يقفون منك على نقطة ضعف فلا يجدون من ذلك  
 ما ينجع غلتهم تراهم يلتجأون الى الأسفاف فى حقك فيقولون ما هذا  
 الذى تتلوه عليهم الا اساطير الاولين وما هو اشبه بالأقاصيص التى  
 يتداولها البطالون لألها غيرهم وتقضية اوقات انفسهم .

\* ( قد نعلم أنّه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لا يكذبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون : ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا وأوذوا حتّى اتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبيّ المرسلين ) \*

لا شك ان كل داع للحقيقة محبّ للخير واشاعته بين الناس طالب لأعلاء شأن البشرية راغب في المعروف و في توسعته في النوع الأنسانى مبغض للتسفل والترهل والتذبذب كاره لكل ما يشين البشرية ويسئها بما هو انسان يدرك دركا صحيحا وهم اناس يجب ان يكونوا مثله اذا لم يواجه لدعوته نفوذا ولا لمعروفه مشتريا يحزن ضميره حزنا لا يقاس بمقياس وهذا معنى قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون من انكار المبدأ وبالتبع نظمه وتكاليفه وما وعد به وتوعد عليه في يوم الجزاء وان كان لا ربط بالمرّة بين انكار الصانع وحسابه وعقابه وبين ارتكاب المنكرات العقلية ومكروهات الضمائر البشرية فلزوم التباعد عن الظلم لا يفترق فيه القول بالصانع وعدمه ولكن من المؤسف اننا نرى الملاحدة بأنكارهم لله يستحلّون كل شيء .

لكن يا محمّد كن على علم بأنهم لا يكذبونك شخصيا لانك تعرف بينهم بالصادق الأمين ولكنهم يكذبونك دعوةً وابلغا عما تحكى عنه وتريد حملهم عليه وهذا هو المعنى بقوله ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون وقد يكون جحودهم لذلك عمليا لاعلميا لان دعوة الأسلام اذا خليت ونفسها لا ينبذها احد وانما ينبذها من ينبذها لمصالح يتقاضاها تتزاحم مع تلك المبادئ ، ثم انه سبحانه سلّى نبيّه عن تكذيب قومه له

بقوله كذب رسلك من قبلك فليس التكدب منحصرًا بك فصبروا على ما كذبوا وأذوا حتى اتاهم نصرنا فاصبر أنت كسلفك على ما كذب به وأوذيت من أجله حتى يأتيك نصرنا ولا مبدل للكلمات الله ومواعيده ومقرراته وسننه التي يريد بها بالكون والكائنات ولا يستثنى في ذلك نبيا ولا فرعونًا ولقد جاءك في قرآنك من نبي المرسلين ما يخفف حزنك ويسليك ويحقق أملك في المستقبل ويعطيك ملاكا حيويا لسيرك العام والخاص .

\* ( وان كان كبر عليك اعراضهم فأنت استطعت أن

تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء

فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى

فلا تكونن من الجاهلين : إنما يستجيب الذين

يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون :

وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله

قاد رعلى أن ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ) \*

كل انسان ذكى مشوب الطبيعة اذا حوّل اليه غرض مهم له وزن يودّ بكل جهده أن يحققه في الخارج ويثقل عليه كثيرا وكثيرا الا يتحقق كما يهوى ويريد نعم تحقيقه في الخارج تارة يكون بنزاهة وايمان بالمقدسات واخرى يكون توا وبكل صورة وان كانت غير مشروعة كما قيل ان الغاية تبرر الوسطة ولا شك ان التحقيق بالصورة الأولى مجهد جدا بخلافه بالصورة الثانية فإنه اقلّ وطأة ولم يسلك الطريق الأول الا الانبياء والمثاليون العظام ومن جملة اولئك نبي الاسلام بعد أن حوّل في عاتقه اكتساح الشرك وتحقيق المبدئية وهذا ما عاناه تعالى بقوله وان كان كبر عليك اعراضهم عن دعوتك وبودك ان تعطفهم اليها وتجمعهم عليها



فان استطعت ان تبتغى سربا فى الأرض وهو غير مقدور لك او تبتغى سلّما يصعدك الى السماء وهو مثل سابقه لا تستطيعه أنّما تفعل ذلك لغرض ان تأتيمهم بآية تقنعهم حتى يجتمعوا عليك بسببها فاعلم انك حتّى لو يسّر لك ذلك لما اتصلت بهد فك الذى تحاول لان القوم يسوقهم عنك تمردهم على ما لا يهونون لاعجزنا عن الاتيان بآيات بينات فأنا قد آتيناك من الآيات ما فيه بلغة للمتدبر نعم لوشاء الله بالقسر والألجاء حملهم على الايمان لجمعهم عليه ولكن ذلك يسقط عالم التكاليف والأعواض بحق فانه لامثوبة كما لا عقوبة مع الجبر والتسخير فلا تكونن من الجاهلين بحقيقتهم .

واعلم أنّما يستجيب لدعوة الحقّ من يصغى الى ندائه فيتأثر به كما يقال عن بشر الحافى عندما الفت نظره هذه الآية ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقلبته رأسا على عقب واما العازبون عنه فأنهم بحكم الموتى والميت متى اراد الله بعثه يبعثه وذلك خارج عن عالم التكليف المقرون بالأختيار ثم الى الله يرجع كل من المستمع الحسى والعازب الميت فيجزى كلّا وما يستحق .

وقالوا فى مقام التنفيذ لهم على الانشمار عن نبيّ الاسلام نحن مستعدون لا تباعه لكن هلا انزلت آية كما نريد قل ان الله قادر على ان ينزل آية كما ترغبون لكن نزول الآيات يجب ان يكون عن حكمة واهداف عالية لا عن رغبات منحطة فان الاجابة على الرغبة الساقطة يعدّ جهلا من فاعلها وهذا معنى قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون اى يجهلون السرّ الذى من اجله لا يتابعهم الله على تأمين رغباتهم وتحقيق شهواتهم .

فتلخص مفاد الآية فى عدّة نكات :

(١) ان الحرّ الذكىّ المتوقد يسعى لتحقيق غرضه بكل جهده وان كان

يفترق المؤمن واللا أبالى فى سلوك الطرق المؤدية .

(٢) ان سلوك الطرق حتى المتعسرة اذا لم يواجه بالتوجه من المخاطب لا يفيد فان كثيرا من الناس يعتنقون الادعاء بالمبادء المقدسة ولكنهم يحيدون عنها لانهم لا يجدون من يأخذ منهم بالمخنق كما انه اذا كان من السطحيين فى ايمانهم يقودهم الى الغرور والجنون اكثر مما يقودهم الى نتائج العقل من سلوك الطرق المتوعرة فان الذين توغلوا فى بطون الأرض نزولا بمقدرة صناعية وعرجوا الى آفاق السماء بحول علمى لم يعطهم تعبهم هذا غير الحمق والجنون على الناس وتهريج اوضاعهم وتمويج حياتهم بالسوء كما نشاهد بالفعل .

(٣) ان القسر والألجاء مقدوران لخالق العالم ولكنه لا يعملهما فى نشأة التكليف لان المكافئة والمجازاة لا تصح مع القهر والقسر .

(٤) ان المستجيب لدعوة الحق ليس هو الا المصغى لها باذان قلبه والا فالسمع الظاهرى لا قيمة له اذا لم يكن مجذوبا للمنادى ومثل هذا بحكم الميت .

\* ( وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه  
 إلا امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم  
 إلى ربهم يحشرون : والذين كذبوا بآياتنا صم  
 وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ  
 يجعله على صراط مستقيم ) \*

وقوع النكرة في سياق النفي يفيد العموم ووقوع من الجارة قبلها يؤكد  
 ذلك العموم والدبيب لا يكون إلا على الأرض كما ان الطيران لا يكون إلا  
 بالجناحين وانما جيء بكلمة في الأرض عقيب دابة ويطير بجناحيه عقيب  
 طائر للتأكيد كما يقال مشيت برجلي واكلت بيدي إلا امثالكم يعنى  
 ان دواب الارض وطوائر الجو اصناف مصنفة وصور متنوعة ولكل فصيلة  
 عادات وغرائز ونوع من الأياب والذهاب في الحياة نظير طوائف البشرية  
 واصنافها - ما فرطنا في الكتاب - وهو القرآن من قليل ولا كثير إلا اتينا  
 عليه مجملًا او مفصلاً وهذا حق ، - ثم إلى ربهم يحشرون - ظاهر  
 السياق مشعر بان الحشر لا خصوصية له بالبشر العاقل بل حتى الوحوش  
 تحشر كما جاء في آية اخرى واذا الوحوش حشرت ، فان قيل ان الحشر  
 والمعاد انما صوباً لنيل جزاء التكليف في الدنيا ومن شرائط التكليف  
 العقل والوحوش فاقدة له فلا تكليف عليها فلا معنى لحشرها واعادتها  
 قلنا الأمر كذلك ولكنها لا تعدم بعض الهدى الذي من طريقته تتغالب  
 وتتنازع البقاء ومن طريق هذا الهدى والأحاسس بقوة القوى منها  
 وضعف الضعيف وتعدى القوى من ناحية احساسه بقوته وضعف قبيله لا  
 مانع من اعادتها للجزاء فيؤخذ للجما من القرناء كما جاء في بعض  
 الآثار .

والذين كذبوا بآياتنا سواء اعرضوا عن التوجه لها رأساً أم توجهوا إليها علماً وانصرفوا عنها عملاً هم بمثابة الأصم والأبكم في النتائج العملية فكما أن الأصم لا يسمع والأبكم لا يتكلم فيفقد الأول كل ثمرة للمسموع والثاني كل للتكلم كذلك من شمر بسمعه ولسانه عما يراد له السمع واللسان وهو التبليغ من الحقائق فهما والجواب عليها علماً وكون الأصم والأبكم في ظلمة مما يجعله كالأعمى فيكون فاقداً لكافة الوسائل التي تتكفل بسعادة الانسان ورفاهه .

من يشأ الله يضلله : وليست اشاءته اعتبارية بل الأضلال إنما يكون من طريق الاعراض والجفاء لله سبحانه كما أن — من يشأ يجعله على صراط مستقيم — ليس بمحض الرغبة ولكن بسابقة التوجه إليه تعالى وطلب الأمداد منه .

وتشير الآية الى نكات من اصول العلم :

(١) ان جميع عناصر الكون ومن بينها عناصر الحيوانات موجودات ممتازة في اصل خلقتها وانه ليس بعضها بأصل للبعض الآخر قد تفرع منه والحق مع هذا المنطق لا مع منطق التحوليين فانه منطق اجوف ولا يملك برهاناً سوى بعض التشابهات فليس كون الانسان متحولاً عن القرد بأولى من تحوّل القرد عن الانسان مسخاً له كما جاء في القرآن (كونوا قردة خاسئين) .

(٢) ان خلقه جميع دواب الأرض وطوائر الجو كان عن حكمة وعن اهداف وهكذا خلقه البشر وان كانت هذه الحكمة غير متجلية في كثير منها — للعقول البشرية وليس من لازم الجهل بالشئ جواز انكاره لان الجهل بالواقع لا يزيح الواقع عن واقعيته من اجل الجهل به .

(٣) ان خلقه البشر لما كانت لتأمين جوانب سعادته وتشكيل مدينة فاضلة

به كذلك خلقه دواب الأرض وطوائر السماء كانت لتدعم بنيان هذا الكون بالاستثمار الصحيح منها فأن استثمار جملة منها قد تحقق بتدبير البشرية كاستخدام الفيل في الغابات العويصة التي لا تستطيع الجرارات المهمة شقها واستطراقها وكاستخدام حمام الطازل للرسائل فانها تقوم بمهمة عظيمة قد لا يسد فراغها اللأسلكى ونظير ذلك .

(٤) انه لا ميز للبشر على سائر الحيوانات الا بفضيلته ان كان يملك شيئاً من ذلك والا فهو مثل الحيوان في تأصل كل منهما لنفسه فكما لا يجوز لانسان ان يفتخر على انسان آخر الا بالفضيلة كذلك لا يجوز له ان يفتخر على الحيوان الا بتفوقه عليه معنويا .

(٥) ان حشر الحيوان كالانسان يستدل منه ان الحيوان بمقدار هداه يملك مسؤولية امام الخالق كما يملكها القروى فى مقابل العالم كل بنسبته .

(٦) ان القرآن من اهم المعاجم الفنية بل اعظمها لقيامه بألوان وصنوف من العلوم والفنون غاية فضل فيها الى البشر ما هو بحاجة الى تفصيله واجمل فيها ما هو ليس بحاجة ملحة اليه وانما اعطاه رأس الخيط ليمططه عندما يستكمل معارفه .

\* ( قل أرأيتم ان اناكم عذاب الله او اتاكم الساعة أغير  
الله تدعون ان كنتم صادقين : بل آياه تدعون  
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ) \*

هاتان الآياتان تنددان بالمشركين وتفحمانهم باستدلال جـ  
واضح فقال تعالى أرأيتم يا جماعة المشركين وكان الخطاب هنا حرف  
زائد للاستغناء عنه بقولنا أرأيتم محذوفة الكاف وليست ضميرا اسميا ان  
اتاكم عذاب الله فى الآخرة او فى عالم الدنيا او اتكم الساعة وهى  
القيامة فبرزتم الى ساحة المحشر فهل ياترى فى مقام استدفاع العذاب  
او استمداد المعونة على مقاومة الأهوال ودفعها تدعون غير الله فى  
كشف ذلك ان كنتم صادقين فى اعتقادكم للشركاء قطعا لا تستطيعون  
دعوة غير الله لانكم بالأمعان الدقيق ترون غير الله مثلكم فى العجز  
والتصرف بالحوادث والتأثر بالمؤثرات بل آياه تدعون لكن ليس من  
اللازم على الله ان يجيب دعوتكم بل قد يجيبها وقد لا يجيب فيكشف  
ما تدعون اليه بما يراه من المصلحة وتنسون حينذاك الشركاء لتوجهكم  
الى ضعفهم وعدم قدرتهم على دفع ما ألم بكم وهذا الاستدلال  
استدلال واضح جدا ما عليه غيرة .

\* ( ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فأخذناهم بالبأساء  
والضراء لعلمهم يتضرعون :فلولا اذ جائهم بأسنا  
تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان  
ما كانوا يعملون :فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم  
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم  
بغتة فأذا هم مبلسون : فقطع دابر القوم الذين  
ظلموا والحمد لله رب العالمين ) \*

ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا لأراءة الطريق واقامة الحجّة  
واعتورت عليهم اختباراتنا فأخذناهم بترقيق الحالة الماديّة وادخلنا  
عليهم من الأضرار الحيويّة ما يتضايقون منه فعلنا ذلك بهم ليعرفوا أنّ  
هناك عوامل تعمل من خفاء وان ليس النشاط والصحة وتوفر المادة  
مربوطا بالمساعي واتخاذ التدابير فيفزعوا الى ذلك العامل ويعترفوا  
به وينقادوا الى توجهاته وهذا هو معنى التضرع .

وبتعبير آخر يقول سبحانه نحن لما خلقناه جامعا لشرائط الحياة  
الصحيحة التي يرضاها كل انسان لنفسه وتلك الشرائط هي الأجهزة  
السالمة اللائقة الصالحة لأن تثمر الثمرات المستلذة للنفس بشرط  
تدريتها وتوجيهها بسياقة العقل والشعور الانساني فان الجامعة  
البشرية لو وضعت اختيار ابدانها تحت ارادة عقولها لسارت مرتاحة  
في اشواط الحياة ولما كانت في الدنيا هنات وهنات وللعلم بأنها  
تتلوى غافلة ومتساهلة بعقولها ارسلنا اليهم رسلا ليكونوا مذكريين  
ومعلمين ومبشرين ومنذرين حتى تكون تعاليم الرسول ردء لما توحيه  
العقول ومع ذلك وهذا لما كان البشر نوعا تستغفله الصحة فلا يتخيّل

انه يمرض والغنى فلا يتوهم انه يفتقر والعزة فلا يحتمل انه يدّل ومع هذه العوامل يكون عبّاثا قدرا هجّاما متجرما فكان من اللازم اعتراض صحته بالمرض وغناه بالفقر وعزّته بالذلة حتى يتوجه الى ان هناك عاملا يؤثر عليه ومع هذا التوجه فقد يتوجه الى هذا العامل القويّ ويتضرع اليه فاذا تضرّع انكسرت عرامة نفسه وحدة بأسه ولان ومرن فقلّت ويلاته وسيئاته وارتاح من شرّه غيره وهذا المعنى وجيه مقبول معقول .

فهلّا (وهي اخت لولا التحضيضية) اذ جاءهم بأسنا تضرعوا وفزعوا الى من به كشف ذلك عنهم ولكن قست قلوبهم فوجدت ان ما أصابهم كان بعفو الصدف والصدف ليست عوامل يتوجه اليها ويطلب منها وزين لهم الشيطان وهو تجمّد نفوسهم عن التطلع الى انوار الحق بالفحص والتدقيق اللازم في مجارى الكون ما كانوا يعملون من جحود بالمبادء الفعالة وارتكاب للأعمال الأنحرافية حاسبين ان مجال الكون مجال غير معلّل وانما هو طفوح ورسوب وتفتح وانقباض لا يتعلقان عن اى شىء صدر ا ولم كانا فلما نسي هؤلاء الأتوام ما ذكّرهم الرسل به والفتوا انظارهم اليه وان لم يلتفتوا ارحينا لهم وفتحنا عليهم ابواب كل خير حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم التي تستلذّها النفس اخذناهم بغتة بالفناء فاذا هم منقطعون عن تلك النعم التي فرحوا بها فقطع دابر القوم الذين ظلموا انفسهم ومجتمعهم ولم يبق منهم باقى وصفيّت الارض والحياة من ادناسهم وحقّ حينذاك ويعد أن يصفو الجوّ للمؤمن ان يقال الحمد لله ربّ العالمين الذي أنعم علينا بأخلاء الجوّ لنا من الظلمة الغشمة الذين من شارتهم تعكير الحياة وتشوش الأوضاع .



\* ( قل رأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من الاله غير الله يأتيكم به أنظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون: قل رأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون : وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون :والذين كذبوا بآياتنا يمسمهم العذاب بما كانوا يفسقون ) \*

وهذا لون آخر من الاستدلال على الكفرة بأثبات الصانع وتصرفه فى الكون والكائنات ولزوم الاعتراف به وحده قل يانبى الاسلام للملحدين والمشركين رأيتم ان اخذ الله اى سلب سمعكم وابصاركم فصرتم لا تسمعون ان نود يتم ولا تبصرون من الكون والكائنات شيئا حتى انفسكم وختم على قلوبكم حتى صارت لا تفقه امرا وتحولتم الى وجودات فاقدة لكل خير واجدة لكل هناة فهل ترون فى مثل هذه الحالة قادرا يأتيكم بما أخذ منكم غير الله الذى خلق لكم الأسماع وتفضل عليكم بالأبصار وتلطف بكم حيث جعلكم عقلاء انظر ايها الذى يتأتى منك النظر كيف نشقق الآيات والاستدلالات للناس وفى طليعتهم الكفرة والمنحرفون ثم هؤلاء الذين نوجههم جهة الحق يعرضون عنه وينصرفون الى غيره .

وبلا شبهة من الطبيعى الملحد والمعترف بالصانع الموحّد ان الكائن عندما يأتى الى الوجود يأتى مجهزا بأتم الجهازات فعضلاته تعترك بالحد يد وتقله وسمعه يدرك الأصوات من الاماكن البعيّسة وبصره يشع على مسافات شاسعة واضراسه تعتك الأجسام الصلبّة ومعدته تهضم كل ما يرد اليها وهلم جرا ويعترف الجميع ان الحادث

الذى يطرأ فيسلب الانسان قوّة عضلاته ويعطلّ جهاز سمعه وبصره ويسقط اضراسه ويقعد بمعدته عن العمل لا يستطيع اهمّ اختصاصى فى الطبيعة ان يعيد اليه حتى المنزور من تلك القوى السالمة الضائعة وعلى فرض استدراكه لشيء فانما يستدرك ما لا قيمة له اصلا فغاية ما يسترجع الذى كان قويا تماسكه والذى كان سامعا بعض الشيء من ادراك الاصوات وحيانا لا يكون ذلك الا بجهاز والذى كان بصيرا حاداً يسترجع بصيصا يميز له الظلمة من النور فقط الى غير ذلك وهنا نعود فنحاسب انفسنا ونقول هل ياترى أن وضعه الأول كان لا عن صانع عظيم وانما هى الطبيعة وحدها فاذا كان الأمر كذلك فهذه الطبيعة ملقاة بين المشرحين الأعظم الذين استخدموها فى شتى المجالات فعلام لا يقيمون مكان الفئات من الخلقة مثله كما يفعلون ذلك فى الانتاجات الطبيعية من ماكنة وغيرها اذا فهناك عامل وراء الطبيعة هو الذى ان شاء سخر الطبيعة كما يريد فما بال اولئك الذين يعترضون بالطبيعة وعلمائها لا يعيرون هذه النقطة التفات متدبر متفكر اذا فلا يستطيع ردّ المأخوذ الا المعطى فلنتوجه اليه توجهها واقعيّاً لا قشرياً قائماً على المطامع والاهداف المادية كما هى شيمة نوع البشر اولئك الذين يسايرون الدين مسايرة جوفاء ولا يصيخون له حتى فى التوافه من الأمور ويعتبرون للحق والباطل معيار النفوذ يقف أمامهم تارة فهو الحرام ويرخى لهم اخرى فهو الحلال .

وقل يا نبىّ الاسلام ايضا للملحدين والمشركين ان اتاكم عذاب الله بغتة اى من غير اعلام سابقة كأنه كالأمر الخفىّ يفاجأ به الأنسان او جهرة اى علانية وعن اشعار به فهل يهلك بهذا العذاب الا القوم الظالمون فأن قيل هذا يصحّ فى عذاب الآخرة اما عذاب الدنيا بمعنى

الحوادث العامة فلا خصوصية فيها لظالم على غيره واما الخاصة  
 بالظالمين كما انبأ القرآن عن الأمم السالفة فهو لا اشكال فيه ايضا الا  
 ان معاصري محمد ومن بعدهم من الأمم لم يجدوا من ذلك أثرا خاصا  
 بهم بل واجهوا من الحوادث ما يواجهه النوع البشرى بلا ميز بر على  
 فاجر قلنا ان الله سبحانه ساق ذلك التوعد على سبيل قضية فرضية لا  
 محققة لكنها مسبوقه التحقق فيما سلف وعليها قيست الفرضية المزبورة ثم  
 انه سبحانه أبان للناس ان ارساله للرسل انما هو بعنوان توجيهه  
 وارشاده واردة طريق لا بعنوان انهم قادة عسكريون مشفوعون  
 بالقوى المدمرة لمن عارضهم وعاند هم فمن آمن بالمبادء الحقة واصلح  
 نفسه ومجتمعه ان قدر على ذلك فلا خوف عليهم من الله ولا هم يحزنون  
 من ناحيته واما الذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسلنا وتعاليمنا  
 فأنهم يمسه عذاب الآخرة بسبب فسقهم وانحرافهم عن المبدأ القويم  
 والنظام السليم .

\* ( قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب

ولا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى قل

هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ) \*

هذه الآية تبين للناس حقيقة النبوة وتخرجهم من وهم كثير قد ملأ  
اذهانهم فبيّنت الآية انه ليس من معنى النبوة كون النبى عند ه خزائن الله  
سواء اريد بها خزائن علمه او خزائن ماله او خزائن قدرته فان ذلك كله  
مخصوص بالله انما يفيض منه على من يشاء متى شاء كما انه ليس من  
معنى النبوة ان النبى بمجرد اتسامه بهذا العنوان تنكشف له كل  
الحجب فتكون جميع الامور المستقبلية والحاضرة غير المشاهدة له معلومة  
لديه كأنه يشاهدها من قريب - لا - فان هذا المعنى ليس لأحد  
سوى الله سبحانه نعم لا مانع أن يطلع الله على غيبه من يريد على حسب  
اقتضاء المصلحة وليس ذلك مخصوصا بالأنبياء ايضا بل قد يلهم الله  
بشئ من ذلك من ليس نبيا .

وانما قال (ص) ولا اقول لكم انى ملك دفعا لئلا ترسخ فى اذهانهم  
جزافا من غير مدرك ان الملك شئ فوق كل الأشياء مع انهم يجهلون  
حقيقته بالمرّة وان سمعوا باسمه فنفى النبى ان يكون ملكا كائنا ما كان  
الملك فى هويته لأنه فى الواقع ليس ملكا وانما هو بشر والملك والبشر  
هويتان ، وليس معنى انه ليس بملك كون الملك افضل من النبى كما  
سبق الى بعض الأذهان وبعد هذا كلّ فالنبى انسان يوحى اليه من  
ربه ونفس هذه السمة تتقاضى ملكات مهمّة يجمعها كونه اكمل انسان  
ليختصّ بهذه الحبوّة العظيمة والمسؤولية الجسيمة وهى مسؤوليّة السفارة  
بين الله وبين عباده فقل لهم يا محمد الفرق بين النبى وغيره هو الفرق

بين الأعمى والبصير والظلمة والنور وهو فرق عظيم جداً أفلا تتفكرون أيها الناس في توزين معنى النبوة .

وبالخلاصة أبا ن الله للبشرية بهذه الآية مطلبيين (الأول) أنها ومهما ادعت لنفسها من النضوج والمعرفة فانها غير مدركة للواقع على بساطة اناراه مع صحة الالتفات اليه فالبشر قبل كل شيء انما يصيخ باحترامه لعاملين الظواهر المطلسة والعناوين الفارغة والعامل الثانى القهر والعنف ولا يدين للحقيقة الا بالمفهوم العارى ولا يضرب لك مثلاً اقرب مما شاهد باعيننا فى اثقف قرن من قرون البشرية ان لا اقرب من حاضرنا الذى نلمسه فاننا نرى منشور حقوق البشر الذى قام على تدوينه اهل الثقافة والزعامة فى عرض واحد وتكفل باجرائه من الدول اهمها واعظمها واكثرها اذا استعرضناه بأبصارنا وعقولنا وجدناه متعة للعين والفهم وحلما من اجمل الأحلام ولكننا لا نجد له تطبيقاً من اولئك الذين دوتوه وضمنوا اجرائه بل نجد ضعيفهم يزرع تحت مهاضم ضعفه وقويهم يتنزى بقوته كأنه سبع ضارى لا يعرف ماذا يصنع فمرة يدك هذا واخرى يحمل على ذاك وثالثة يحرك واحدا على آخر ويهوى ان يكون العالم متموجاً لا قرار فيه كأنّ القرار محرم عليه وعلى غيره عليه باستعمال قدرته وعلى غيره بتضوره تحت كلاله اذاً فالجميع لا يدين بالحقائق التى فيه الا بالمفهوم العارى وانما يدين ضعيفهم باحترامه للقوى لانه يخاف عسفه وعنفه وكافة افراد البشر على هذا المنوال يزنون الحقيقة بالاعتراف لسانا وذلك ايضا اذا لم تزاخمه مصلحة أخرى والا فهو ينكرها علماً وعملاً .

وهذه الظاهرة فى البشرية هى التى اوجبت على الله الفات نظر عباده ومهما كانوا فى المقامات الى خطأهم توسط انبيائه الذين لا يرون

لأنفسهم ميزة في الحقوق على غيرهم إلا ميزة المعلم على المتعلم بأصاغة  
الثنائى للأول ولزوم احترامه لمقامه .

(المطلب الثنائى) انه تعالى بعد أن عرفهم بأنهم فى حاجة الى  
مواكبة الأنبياء لسلاسل اجيالهم مذكرين وواعظين وناصحين شرح لهم  
حقيقه النبوة بما اسلفناه وعصارتة ان كل شىء يناط بالمهمة التى ارىد  
من اجلها فمهمة النبىء لما كانت هى التوجيه العلمى والتطبيق له عملا  
لم يكن من لازمها ان تكون عنده خزائن مال وقدرة وعلم غيب ولا اى شىء  
يحترمه الانسان بواهمته من دون ان يعرف معناه ولكن واقعية النبىء  
العلمية والعملية فوق كل شىء يتصور من المال والجاه والقدرة والعلم  
بدون عمل .

\* ( وانذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم

ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ) \*

الأندار بالقرآن وبغير القرآن ايضا يجب أن يكون للعموم  
ولا خصوصية فيه لأحد لكن المعرضين عن القرآن أما لأنكارهم ان يكون  
القرآن منه تعالى باعتبار تجافيتهم عنه وعن ينذر به لا تكون موضوعية  
لأنذارهم بعد انشمارهم فالانذار موضوعيته منوطة بمن يزن الله أولا  
والقرآن ثانيا واولئك هم الذين يخافون من الحشر الى ربهم لعدم  
تبرئتهم لانفسهم من جميع الجهات فهم يحذرون مؤاخذه ما ارتكبوه  
لجهلهم بحكمه تقصيرا في السؤال عنه مع علمهم من طريق الشريعة أنه  
لا ينفعهم امام محكمة الله ولي كانوا يوالونه او محترمين يشفعونهم لان  
الأولياء انما يشفعون لمن ارتضاه الله فيزيده وانه شأنا بشفاعتهم .  
فأن قيل فما معنى قوله تعالى لعلهم يتقون مع كونه مسبوقا بقوله  
الذين يخافون أن يحشروا فان الذي يخاف المعاد لا مجال مع خوفه  
منه لا لقاء من ربه فانه من تحصيل الحاصل قلنا ليس الأمر كذلك فان  
الخائف من المعاد لا ينافيه اخافته من شتات ارتكابات توجب الهلكة  
فان الخوف الأولى خوف اجمالى ناتج عن العقيدة بالمعاد لا اكثر  
والاخافة الثانية معناها ايقافه على ما يوجب الخوف تفصيلا من شتات  
الموارد التي لا يعرفها المؤمن الا بعد تعريفه بها وسردها له .

\* ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ

يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من

حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من

الظالمين : وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا

أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم

بالشاكرين ) \*

لا شك ان المحرومين من مزايا الحياة يكونون أقبل للوعى المركز وللإيمان بالمبدأ الصحيح من اولئك الذين سدّت الماديّات عليهم منافذ وجوداتهم فجعلتهم لا يعرفون وراء حجب المادة شيئاً ومن هذه الجهة تقدم الى الاسلام من ضعفت اسبابه فى الدنيا وتباطىء عنه او جرده للآخر من توفرت له هذه الأسباب ومن جملة من تقدم صهيب وخبّاب وبلال وعمّار واما الذين تأخروا او ماتوا وقتلوا على الكفر فهم الكثيرون ومن جملة اسباب تأخرهم أنّهم كانوا يرون انفسهم اشرف من ذلك العنصر الذى ذكرناه من عمّار وخبّاب وبلال واعلا بمرأى عديدة بل لا يرون قياسا بين العنصرين فكانوا يمرّون على النبيّ فيجدونه محاطا بعمّار ونظرائه وهم يهوون الجلوس معه اما لمحادثة او لمحادثة ولا يسيغون لأنفسهم أن يقفوا فى صفوف اولئك او أن يجلسوا اليهم فينصرفون فاذا دعوا الى الايمان والاقتراب من نبيّ الاسلام تعللوا بهذه المعاذير التى لم يقبلها الله منهم لان المنطق لا يزن هذه العواطف بشيء ، وليس قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم ممّا يستدلّ به انه باشر ذلك العمل كما ان قولك لابنك مؤدبا له لا تزن ولا تشرب الخمر لا يستدلّ به على ملابسته لتلك الاعمال وهو واضح .



ودعاء ذلك الرعييل المؤمن ربّه بالغداة والعشىّ يجوز ان يكون بالصلاة الراتبة او المندوبه كما يجوز ان يكون بمعنى المناجاة والدعاء المرسوم بين المتشرعة، يريدون وجهه اى القرب منه وجلب مرضاته ودليل المنطق فى تزييف تلك العواطف ان الغنىّ اذا جلس الى الفقير او الشريف بالشرف الاعتبارى اذا جلس الى فاقد هذا الاعتبار لا يزول منه غناه كما لا يسقط منه اعتباره ولا يحصل من هذا الاختلاط اى تأثر بين هذه الجوانب ومن هنا قال تعالى ما عليك من حسابهم الدينوى والأخروى من شىء وما من حسابك الدينوى والأخروى عليهم من شىء ايضا حتى يوجب ذلك طردهم عن ساحتك لأخلاء المكان لهذا الفريق المتعنت فانك اذا طردتهم مع هذا المنطق الذى بيناه تكون ممن الظالمين لهم وللحق جميعا، وكذلك اى وبالصورة الدارجة بين فرقان الناس اغنيائهم وفقرائهم اعزائهم وضعفائهم فتنا اى امتحنا بعضهم ببعض الفقير بالغنى وبالعكس ليقول الأقوياء أهؤلاء الضعفاء من الله عليهم من بيننا بالأيمان ومقاماته العالية نعم من الله على هؤلاء بالأيمان وما يستتبع لنفسه من مزايا بدليل ان هؤلاء شكروا ربهم علما وعملا واستخدموا وجوداتهم كما اريد من كل انسان حىّ الضمير هكذا استدللّ الله على سبق هؤلاء الضعفاء فى ميدان المعالى الذى بسطه للجميع .

\* ( واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم  
كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً  
بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم ) \*

كل آت للحق مع قلة انصاره وجفاء المحيط له يبرهن على مطالب  
عالية عريقة في ضميره (١) انه ادرك الواقع من بين حجب ضخمة غطت  
عليه ولولا ذلك لما جاء اليه (٢) انه شهم شجاع فلا يبالي بالجيهاب  
التي انعقدت امامه على ضده (٣) انه نزيه عالى النفس للغاية والّا لما  
انزوى الى جانب تكثر فيه المحرومات وهذه صفات مهمة لا توجد الا عند  
الاحرار .

وامّا تابع الحق في زمان كثرة انصاره ورواج سوقه فقد لا يكون ايمانه  
عن تدبر وتعقل بل عن انجراف مع سيل المجتمع ومن هنا قال الرسول  
لا هجرة بعد الفتح كما لا يستدل به على شجاعة وشهامة ان لم يدل  
على ضده وانه مراعاة للظاهرة السائدة تظاهر باعتناق الحق وكذلك  
لا يفهم عنه انه كان عن نزاهة بل قد يكون عن دجل وتدليس ومراعاة  
للمصالح المعيشية والآية تشعر بالرديف الاول لا الثانى ذلك الرديف  
الذى آمن بالنبي على وحدته وذلته وفقر ذات يده ومثل هذا الانسان  
يدعى له بالسلامة وطول العمر حتى يستفيد الوجود من وجوده ، مثل  
هذا كتب ربه على نفسه الرحمة له فيما سلف من عمره قبل استبطنان  
الحقيقة وزمن عرامة الجهل ثم لما اختلس نفسه من بين ميوله وعواطفه  
وتاب الى ربه وتدارك ما يمكن تداركه جاءته رحمة الله فياضة فضفاضة  
فغمرته من جميع جوانبه فكان من بعد ذلك رجل الدنيا والآخرة  
ومصداق الانسان وبرهن على من سواه انه من سقط المتاع .

وبالمرآة التامة لطالب الحق يعرف القول بالنسبة الى مؤيد الباطل :

(١) فان فى غضون البشرية من يستولى عليهم الجهل المركب والعناد فينعرون النعرات الفاحشة فى وجه الحقائق تأييدا للأوهام التى استولت على ادماغهم وذلك كما فى الملاحدة والأفراطيين فى شتات العقائد فانه قد يوجد فى هؤلاء من الشذوذ الشئء المدهش وقد شاهدت ادوار البشرية كثيرا من ذلك فان فى الملاحدة من اذا سمع كلمة الله شهق شهيقا عاليا من الغيظ او سمع بالملكية الشخصية زعق وصرخ او سمع بأن المرأة تفادت الرجل ارتعد وتمخرق او سمع بأن العروبة مثلا لاقيمة لها فى نفسها اذا لم تشفع بالاسلام انزعج وولول ونظير ذلك ومثل هذا الشخص يعتبر من اعدى اعداء الإنسانية فى الحقيقة لأفراطه وعريق خطاه .

(٢) والرديف الثانى لهذا الفريق هو الذى يتبع زافة الوقت لانه يؤمن بالظاهرة السائدة وهذا القسم فى اهل الباطل كالقسم الثانى فى اهل الحق المأخوذ فى سبيل المجتمع حينما يساند الحق ميلا مع الظاهرة السائدة .

\* ( وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ) \*

اي بنحو من البيانات السالفة في شتى المجالات التي سبق  
التعرض لها والمحكمة عليها نفصل الآيات التي نزلها عليك لتكون  
اعلاما ونظاما للناس وليظهر الحق ويمتاز الباطل .

\* ( قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله

قل لا اتبع اهوائكم قد ضللت اذا وما انا من

المهتدين ) \*

قل يا نبىّ الاسلام للمشركين الذين يحاولون تقريبك منهم وتقربهم  
منك بجامع يجمع بينكم وهو اقلالك من التشدد في قبال اربابهم وان لا  
تنحصر بدعوتك الى الله فقط وان لا تتدد بالأوثان والأصنام وان  
تجالمهم فى الاشتراك معهم فى طقوسهم التعبدية التى هم عليها فقل  
يا نبى الاسلام حينذاك انى نهيت من ناحية الله والضمير والعقل ان  
اعبد الاشخاص الذين تدعون من دون الله وآيا كان ذلك الشخص  
فى عظمته عندكم او عند الناس جميعا فان كل شىء فى قبال الله لا  
شىء والمجاهلة مع كل احد حقة الا اذا قادت الى ضلالة فتحرم حينئذ  
فهكذا مجاملتى لكم باشتراكى معكم فى طقوسكم الدينية تهدم ايمانى  
وتقودنى الى الضلال الواضح الذى من اجله ابارزكم قل لا اتبع اهوائكم  
قد ضللت اذا وما انا من المهتدين .

وبالنتيجة منطلق الآيه منطلق فصل يجب تطبيقه لأجل احقاق الحق  
والاستقلال الذاتى الذى تنطق به الناس ولا تعمل بشىء منه وتدعى  
الكرامة ولا شىء لها منها وتنصاع مع المستعمر المستثمر لأدنى ضعف

تجده في نفسها فبدل ان ترفعه بحسن المقاومة تنضوي تحته طلباً للراحة التي تفقدها اكثر واكثر على انخذالها مع الزمن .

ومنطق الآية هو ان الحقّ والصدق والواقع واحد قوامه بالمقياس العلمي لا بكثرة الدوىّ حوله ولا بتفكك الناس عنه هذه مقدمة ومقدمة اخرى هي ان الحثّ على اتباع الحقّ ليس لاجل الثواب على الالتحاق به والا نضمام الى حزبه بل لتوقف المعيشة عليه فان اهل الباطل قد يجاملون المجتمع اذا كان فيه من هواة الحق الكثيرون اما اذا اخذ عدوهم يتضائل فانك ترى بالحسّ ان مجاملة المبطل لهم تتخفف بميزان المقايسة حتى تؤل الى العدم وتنقلب الى الضد فيرى المحق حينذاك تنمر المبطل له حتى في التوافه وحتى يؤدى به الأمر الى اتلافه وهذه السيرة درسها المجتمع من كل مستعمر مستثمر ومتسى انحصرت القوة والقدرة عند واحد وكان انسانا اخسّ من الحيوان الضارى في شعوره واحاسيسه فويل حينذاك للحياة والأحياء ومن هنا ثبت الواجب والحرام في الشريعة على كافة الحالات فمثلا العمل للظالم حرام حتى لو انساق الناس كلهم الى العمل له ولا يقبل الشرع حتى من الواحد المتحرج ان يقول وما الفائدة بامتناعى وغيرى به الكفاية والمنطق مع الشرع فان الواجب بالتعيين لا يلحظ فيه غير المكلف به ولكن الناس الا من قلّ مصداق لقولهم ربّ حافر على حتفه بظلفه فكلمّا واجهته الجوامع من حيف واجحاف فانما هو نتيجة انخذالها عن حقها وانهيارها امام من يريد بها سوء ومع ذلك فلتشكر الأحرار القلائل الذين ارضوا اعمارهم فى سبيلها فان نفس بقاء اسمائهم وامتداد دوىّ اصواتهم والاحتفال بذكرياتهم لا يعدم الأثر فى الظالم والمظلوم جميعا .

\* ( قل انى على بينة من ربي وكذبتم به ما عندى ما  
تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو  
خير الفاصلين : قل لو ان عندى ما تستعجلون به  
لقضى الأمر بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين ) \*

وكما قد سلف كان المشركون يدعون نبيّ الاسلام الى مجاملتهم  
بعدم التنديد بالهتهم والشركة فى طقوسهم العبادية فكان من رده  
عليهم ما سلفناه وهذا القول ايضا ومفاده انه على بينة من امره وبرهان  
ساطع اثبت له حقيقة الصانع وبطلان هؤلاء الانداد الفاقدين لكل قيمة  
وان كذبوه فيما دعاهم اليه واقام البرهان عليه وطلبوا منه ان ينزل  
عليهم العذاب ان كان صادقا فأجابهم بأن انزال العذاب ليس اللى  
ولم ادعه لنفسى وانما مهمتى الارشاد وحكم ما استعجلتم به مربوط بالله  
هو الذى يقول الحق ويفصل بينه وبين الباطل علما بأقامة الحجة وعملا  
بأعمال القدرة قل لهم يا نبيّ الاسلام لو ان عندى ويدي وبمقدورى ما  
استعجلتم به من انزال العذاب عليكم لقضى بينى وبينكم الأمر  
فاكتسحتكم واسترحت منكم ولكن ذلك ليس اللى وانما هو لله سبحانه  
واعماله طبق المصالح المخزونة فى علمه وهو اعلم منى بالظالم لنفسه  
ولغيره من غير الظالم لانه يعرف ظواهر الأمور وخفاياها وانا انما اعلم  
الظاهر فقط وذلك فى بعض احيانه ايضا لان الظواهر انفسها قد  
تتطلس على الأنسان فيعرفها على غير ما هى عليه فان الظهور قد  
يختلف فيه الناس .

وبالخلاصة الأنسان ومهما كان فى خلقته ذو جنبتين جنبه عقل  
وجنبه حيونة وميزه على غيره من سائر الحيوانات بعقله لاجيونه وهذا

الأصل يعترف به حتى من يقول بان الحياة فلتة طارئة على جملة من الكائنات فان تفاوت البشرية على طول الخط بهذا المعيار لا بغيره وهذا المعيار يقضى على اهله بلزوم متابعتة وان المنحرف عنه يكون اخص من الحيوان ولذلك يكون تدبيره اكثر وتخريبه اوفر وتوقعه للمسير على الجادة دائما نراه منوطا بالخوف الملجأ لا بالحنكة والعقل والحيوان مثله فى الجرى على موجب الخوف ولكن من دون درك للطريق الموصل من غيره ولا للمهلك من المنجح فهو فاقد للوم على هذه الروية دون الانسان .

وعلى هذا الاساس لما صدع نبيّ الاسلام بدعوته الاسلامية بين بشر الجزيرة أولا ودعا اهلهما الى ما تعترف به عقولهم بعد توجيهها وقد وجهها بشتى الاساليب حتى توجهوا ولكن لم يرق لهم ان يعترفوا لعدة عوامل منحطة (منها) اعترافهم بخطأهم فى الماضى والحاضر وذلك يرونه منقصة فى حال ان الأصرار على الغلط منقصة لاتنزیه للنفس (ومنها) عصبيتهم لأنفسهم بانضوائهم تحت راية قرشى منهم فى حال ان النبيّ لم يدع مقامه بنسبه وانما ادعاه من الله بملاك غير الحسب والنسب (ومنها) ملاحظتهم لحريرتهم حذرا عليها أن تقيّد بمقررات هذه الدعوة والحرية التى يحافظون عليها هى حرية الانفلات والتوحش لا حرية العقل والمنطق وهذا العامل الآخر هو الذى يدعو دائما اهل الترف والخبث الباطن الى ان يناهضوا الدين ويقاوموه اشد مقاومة ولا يهتمهم منه ما يصيب الآخرين من تبليل فى الاوضاع الحيوية العامة فلما وجدوا ان الحجة لزمتهم وأفحمتهم أبانوا آخر ما يريدون ابانتة من انفسهم وهو اننا لانرضخ الا للقوة الملجئة فان كانت عندك فهلم بها حتى تكتسحنا شئنا ام أبينا فأجابهم بانه لا يملك من هذه

القدرة الآ قدرة الفرد الواحد وما عسى ذلك ان يجدى وأما هوفى  
 نفسه فليس الآ مرشدا ناصحا ومعلما امينا وهاديا الى حاضر ناجع  
 ومستقبل نافع وأما ما يعود الى الله تعالى فهو اليه سبحانه ومختص  
 به ولا حكومة لأحد عليه والمصالح العميقة التي يراها هو لا يراها غيره  
 ولا يطلع على غيبه احدا الآ اذا شاء ذلك ولو كلت املك القدرة التي  
 يملكها او بعضها لقضى الأمر بينى وبينكم فاكتسحتكم وأخليت الآفاق من  
 شروركم واشراركم هذا ماتعرفه نظرتى الظاهرة على ان الظاهر فى  
 نفسه ليس ملاكا للعمل فان ظاهرة الصلاح مثلا يشترك فيها البرر  
 الواقعى والشيطان الدجال نعم على الانسان أن يأخذ حذره ويكل  
 امره الى ربه لكن مع تمام التيقظ حتى لا يتلف فى الفور .



\* ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى  
البرّ والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة  
فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب  
مبين : وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم  
بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسّى ثم اليه  
مرجعكم ثم ينبّئكم بما كنتم تعملون ) \*

المفاتيح جمع مفتاح وهو مدخل الشىء ومكان فتحه والغيب هو ما  
بطن من الأمور وعلمه مخصوص بمن خلق الأشياء واحاط بها احاطة  
صانع ماهر ويعلم ما فى البرّ لانه صنعه ايضا وما فى البحر لانه كذلك  
صنعه وخلقته وما تسقط من ورقة فى اى مكان الا يعلمها وما تسقط من  
حبة وايه حبة كانت من اى مكان و فى اى مكان فى ظلمة من الأرض  
ام فى نور منها الا يعلمها ايضا وبالآخرة ما من رطب ولا يابس الا  
يعلمه وما كلّ هذا الذى عدناه الا ثابت فى كتاب مبين هو علمه  
المحيط بكل شىء لان كل شىء من خلقه وصنعتة ، وهو الذى يتوفاكم  
اى يأخذ بجواسمكم التى بها تدركون بالليل من طريق النوم وهو اخو  
الموت بجامع عدم الأحساس ويعلم ما جرحتم اى مارستم بجوارحكم  
بالنهار الذى ينتشر فيه الناس للعمل ثم يبعثكم فيه من النوم الذى  
اليقظة كما يبعث الموتى من رقدة الفناء الى يقظة البقاء يداول بينكم  
الليل والنهار والنوم واليقظة لينتهى اجلكم المسمى فى علمه ثم بعد  
ذلك اليه مرجعكم ومعادكم فيخبركم بما كنتم تعملون فى دنياكم من خير  
وشرّ وطاعة ومعصية ويجازيكم كلّا وما يستحق .

\* ( وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون: ثم ردوا الى الله مولا هم الحقّ ألا له الحكم وهو اسرع الحاسبين ) \*

القاهر هو الذى له حاكمية قوية نافذة وكلمة فوق ما تشدد وتؤكد معنى القاهرية ويرسل عليكم اى يوكل بكم حفظة يصونوكم من تمسّوج الحوادث بكم تموجا عارما حتى اذا انتهى اجلكم المسمى وجاء احدكم الموت استوفته رسلنا الينا وهم اى الرسل امناء فيما وظّفوا به فلا يقصرون عن الآماد المعيّنة والكيفيات الخاصة التى أمروا بها ثم يرد هؤلاء الأموات الى الله الذى هو اولى بهم لانهم مخلوقوه فهو احقّ بهم من كل احد ألا تنبيه واستجلاء للأمر له الحكيم لا لغيره وهو اسرع الحاسبين ومعنى اسراعه فى الحساب تجسيم اعمال كل عامل له مقرونة بجزائها ومعه يكون حساب الجميع عرضيا لا طوليا .

\* ( قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين :  
 قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون ) \*

قل من ينجيكم هو نوع من الاستدلال على ردّ المشركين وردعهم من ظلمات البر والبحر بمعنى مشاكلها فان المشكلة الحابسة للإنسان كالظلمة المانعة له من التجول تدعونه تضرعا وخفية وكل من يقع فى ورطة تملكه ومهما كان فى عظمة نفسه تراه يخشع طرفه ويلين قلبه ويهمس بلسانه لمخاطب فى ذهنه يراه قادرا على حلّ هذه العقدة عنه وتستغفره مشكلاته الى استجلاء مظالمه وتعدياته وانها قد تكون هى المسببة لتورطه فى هذه المشكلات فيعاهد نفسه حينذاك لئن انجانى هذا المقتدر الذى ازويه فى نفسى من هذه الورطة وخلّصنى منها وارخى لها لأكونن شاكرا له مادمت حيا والله سبحانه يذكر كل من تملكه هذه القضايا بأنه هو الهدف الذى تعلق به النفوس وانّه هو الذى ينجى من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب فاذا أزيل الخناق عنه واسترسل نفسه وانمحت آثار ذلك البلاء نسي كلّما سلف منه وتجاهل بعهدّه فاذا به المشرك الأوّل اذا لم يزد لم ينقص .

\* ( قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرّف الآيات لعلمهم يفقهون ) \*

أمر نبيّه ان يقول للناس ان الله الذى ابدع العالم وما فيه لا شك انه قادر على ان يبعث السواكن الهداية من العوامل المنضوذة فى بطون الطبيعة فيبرزها من كوامنها فصواعق تتحدرو وبراكين تتفجر الى ما سوى ذلك ممّا تراه البشرية فى الفترات او أن يقطع لطفه بكم لا اعتدادكم بانفسكم فيجعلكم فرقا اهل اهواء متضاربة وآراء متحاربة ويذيق بعضكم بأس بعض من جراء هذه الاختلافات انظر ايها الناظر كيف نفصل وجوه الحجج والأستدلالات للناس لعلمهم يفقهون طريق الحق والصواب، ولبس المطلب خلطه وعدم بيانه .

\* ( وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل :

لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ) \*

وكذب به اى بالقرآن الذى تكفل بتصريف الآيات قومك الذين منهم خرجت واليهم أرسلت فى حال ان الذى كذبوا به هو الحق الذى ما فيه شك لكن داعى التكذيب كان هو الحسد لك ولبيتك قل كذبتم ام صدقتم فانا لست عليكم بوكيل ملزم ولا سفير منقذ وانما انا بشير نذير ومرشد ومذكر وكل حديث عن كل شىء لا بد له من قرار يصل اليه ويقف عنده فسوف تعلمون مستقر ما أنبأكم به سواء فى الدنيا ام فى الآخرة وكذلك كان الأمر فى الدنيا فأن الاسلام سحق الشرك والله اعلم بما أعد لهم عنده يوم الوفود عليه .

\* ( واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حدیث غيره وأما ينسینك الشيطان فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين : وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكري لعلمهم يتقون ) \*

ارتكاب الخطيئة يكون على نوعين جهل قصورى او تقصيرى خاليين عن خبث وتمردّ وجهل قائم بالخبث مترکز على رمز متبطن للباطل وكل جهل يخلو من الخبث والانهياز الى السوء فانه قابل للتستدارك بالتعليم والنصيحة وصالح لأن تستفاد منه اعظم الثمرات كما هو الشأن فى كافة صلحاء العالم وعلمائه وحاملى مشعل فضيلته فان الناس فى اصل فطرتهم كانوا جهلاء فتبدّل جهلهم الى علم وضلالهم الى هدى ولا ننسى الجيل الاسلامى الأوّل الذى قامت فضيلته وتركز صلاحه فى الاكثر على القرويين واشباههم من حيث الجهل الطبيعى .

وأما الجهل المترکز على الخبث فهو آفة الآفات سواء بقى على رسله ام تدورك بالعلم فان العلم مع الخبث اشدّ ضراوة من الجهل معه وله نماذج فى التأريخ اصيلة ظاهرة رأس سلسلتها الشيطان الذى اغواه خبثه فى اطار علمه فان الذين قاوموا الأنبياء على نزاهتهم والعلماء على صلاحهم كانوا من هذا القسم وكما اثاروا الغبرة فى وجوههم ووقفوا امام تقدم دعواتهم ومن هذا القبيل ما تعانىه العصور الحاضرة من اخبث مثقفىها الذين نصبوا انفسهم لدكّ الحقيقة على غير محصول لهم سوى تبريد غلّهم الخبيثة فهم على انهم يتظاهرون بالفسق لشيوعه بين الناس ولا يخافون لومة لائم يهرجون بأهل الصلاح

على عدم مزاحمة يرونها منهم ولكن داعى الخبث لا يعلل ومن هنا أمر الله نبيه ان لا يستهدف بدعوته امثال هؤلاء فانه لا يجد غير التعب بل من الأحرى ان يتوجه الى جانب غير الأخباث حتى يستثمر جهوده ونحن ابناء هذا القرن حيث نعيش بين الفسق والفجور من اناس بعضهم اخباث لا يحاولون غير تطيير الشر وبعضهم جهلاء بالحقيقة من الواجب علينا ألا نزاحم انفسنا بملاكمة الاخباث بل بتعليم الضلال الفاقدين للخبث الذين اخذهم دوى الوقت فمشوا معه وهؤلاء لا شك فى كثرتهم بين مجامع الناس وهدايتهم الى طريق الرشاد لا تعدم أثرها من ناحية العلم الناجع واشاعته ومن ناحية تشكيل جبهة صلاح فى مقابل جبهة فساد وقد كان النبى لصفائه ونزاهته يحسن الظن بكل الناس ويود أن يرشدهم جميعا فين له الله تعالى ان جملة منهم لا يعرفون غير الرموز ولا يدورون حوالى شىء الا حولها فلا تتعب نفسك لأجلهم وخذ حذر منكم وواقع بهم عند القدرة عليهم حتى يبطل شرهم واصرف متاعبك فيمن ترجو فيه الخير .

وفى هذه الآيه ايضا بيان للنبى فى كيفية المفاوضة والمعارضة وسوق الحجج وبسط الجدل لأحقاق الحق وخلاصة التعليم منه تعالى للنبى ان خلق الجو للمفاوضة وتوسعة الميدان انما يصحان حيث يكون الطرف فى صدد التفهم والتعلم اما اذا ترك ذلك جانبا والتجأ الى السب والشتم وبذاءة اللسان وتهزيع القول القذر فالمجالسة معه مسقطه لحيثية الأنسان هادمة لكيان الفضيلة مورطة للانسان فى اردل مورد ومناخ ولهذا نهاه تعالى عن الاستمرار فى مجلس يخوض المشركون فى آيات الله بالهزاء والسخرية ووجب عليه الأعراض وأباح له ان يشاركهم فى مجلس يخلو عن القذر والهذر ولو انهم فى ضمن

مجلس كنت فيه تعرضوا لما لا يليق وعزبت نفسك لبعض السوانح الفكرية تأخذك عن التوجه الى ما بيناه لك فمتى استرجعت ذهنيّتك ووجدتهم في خوضهم فقم عنهم وابتعد منهم ونفس هذا التكليف موجّه الى المؤمنين بلا تفاوت وان كان ليس عليهم من مآثم اولئك شيء لو استمروا في مجلسهم بأى داع كان سوى داعى الاستماع الى الاستنقاص من الحق وهو بعيد عليهم فان الانسان من صميم قلبه يمقت من يريد به أى سوء ولا قرار له عليه ولذلك يجب ان يحمل هذا النهى للنبيّ وغيره على الارشاد لا المولوية ثم علّل سبحانه جهة تحريمه لجلوس المؤمن في مجلس المشرك الذى يخاض فيه بآيات الله لا على جهة التعلّم والتفهّم مع انه غير مهوى للمؤمنين بطبيعة الحال من ايمانهم علّل ذلك بان التحريم تذكير وارشاد الى ما هو اللازم من مبارحة كل مظنه تكون مجالا للعيث والعبث واللغو والهدر لتزداد تقوى المؤمن ويكثر حذره مما لا يلائم ذوق الشريعة .

واصولا كل انسان يولد وفي اى محيط يوجد بعد أن يتميّز اول بثقة لنور الحياة بحكم فطرته غير المدلّسة الطالعة بصفائها وبهائها الأولى يحسب للحياة حساب المعرس فى أوّل بلوغه ومع تيسر الامور له وانها من انظف ما تكون والطف فابن الساحل الذى يعيش فى الاكواخ كابن العاصمة الذى يعيش فى القصور يريان أنّهما فى امتع وضع يتخطيانه حيث لا يدركان الحوادث ولا يحسّان بكذب الوعود الكاذبة كما هى شيمة كل مؤمن فاذا فقدّا اباهما او أمهما وقيل لهما انهما غابا لصالحهما آمنا بما يقال لهما واذا وعدا بكذب صدّقا وعاشا على ذلك الأمل ومن هنا تجد الطفل دائما يسرح ويمرح ويتمتع بلذة عظيمة من جوزة توضع بيده او درهم يعطاه او لقمة من خبز خالية يقطّعها بأسنانه

المترفات ولا شك أن هذا الدور من احسن ادوار الإنسان واذا كانت له حياة يحسبها نعمة غير مشوبة بألم فهى هذه الفاصلة من حدود العمر وياليت النطفة حيث تنعقد فتكوّن نشوء آدمى وتقطع مراحلها تفنى فى دور الطفولة فلم تعد تعرف للحياة معانيها الكالحة السوداء وعند هذه النقطة نقف ونتساءل ونقول هل يمكن تمشية الحياة بهذه اللذة فنقول بكل بساطة نعم مشروطا بأن يكون الأحياء مشيين لفطرتهم على ما كانت عليه فان الحياة مع هذا الوصف اذا اقترنت بدرك صحيح وايمان نزيه وسعى معقول مثمر تكون امنية المتمنى وهذا ما يريده الشرع بنظمه وتكاليفه التى ينعاها هذا المتجدد عليه ويسمه بأنّنه ارتجاع نحن لا نعلم هل ان الطبيب المؤمن الذى يفحص مريضه كما يتطلع اليه برغبة ملحة ويناشده بالله يأخذ منه مالا ينقل عليه ويدقق فى كمّ الدواء وكيفه حتى يخفّف الوطأة على المريض من غامة جهاته هيو المفلح او هذا الطبيب الذى يعاين فى الدقائق عشرات المرضى ممتصاً منهم كل ما فى اكياسهم غير مبال بوصفة الدواء التى يقدمها لهم تفيد ام لا تثقل عليهم ام لا فيجمع من جرّاء هذا الاستعجال مالا كثيرا يعطيه فى ليلة للخمر والقمار واللهو الساقط بلاشك ان مثل هذا الطبيب يعتبر من قطاع الطريق لا من فريق بناء المجتمع وقس على ذلك كافة من طلع الى الوجود خاضعا لجهله دون عقله ولميله دون ضميره ولهواه الجنونى دون ما يتقاضاه علمه وفهمه وهؤلاء هم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرّتهم الحياة الدنيا وهم الذين سودوا وجه الحياة حتى اطلعوها كاسفة الطلعة وهم الذين أمر الله بنبذهم والتوجه الى من يمكن توجيهه ولو كانوا قلة فى الناس .



\* ( وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرّتهم الحياة الدنيا وذرّ به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله وليّ ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ) \*

هذه الآية تفيد لزوم الأعراض عمّن وعظ وأرشد فلم ينتفع منه بشيء وكلمة ذر فعل امر بمعنى اترك أى تجاف واترك الذين لا يعيرون الواقع لحظا وانما دينهم اللعب فان عبادة الوثن او الأنسان او ما فوقهما يعدّ هذرا ولعبا وعبثا وتقضية وقت والهباء نفس وغرور الحياة الدنيا لهم بمعنى انجرفهم مع ظواهرها الصبانية يانبى الاسلام اعرض عن هذا الرديف المنقطع عن الحق الموصول بالباطل المأيوس من استرجاعه وذرّ بالقرآن من تحتل فيه اللين والافتناع قبل أن تسلّمه نفسه الى الهلكة بما تكسب من باطل ، تلك النفس التى ليس لها من دون الله وليّ ولا شفيع كما تقدم هذا المعنى مكررا ، وان تعدل كل عدل يعنى تعطى فى الذبّ عن نفسها كل فداء لا يؤخذ منها ذلك بل لا بدّ وان تنوش جزائها موفورا ، وبذل الفداء يومذاك فرض يفترض اذ لا وجود فى ذاك اليوم لفداء وغيره ، اولئك الذين أبسلوا أى أسلموا الى الهلكة بما كسبت ايديهم لهم يوم الجزاء شراب من مادة حامية وعذاب يؤلم الجسم والروح بما كانوا يكفرون بالله ويجحدونه يقال أبسل فلان بذنبه بمعنى أسلم به .

التفسير ج ٣ لزوم ان يدعو الانسان من به على الأجابة ١٧٢

\* ( قل أئدعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونردّ على اعقابنا بعد ان هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ) \*

قل يانبى الاسلام للمشركين الذين يحاولون منك ان تجاملهم بعدم التصدى لانتقاد آلهتهم كما يرغبون فى ان تساهم فى طقوسهم الدينية قل ياقليلى المعرفة أئدعوا من دون الله حجرا او شجرا او حيوانا او انسانا او آيا نفرضه من شتات هذه الكائنات ونحن نعلم انه لا يستطيع نفعنا كما ليس به ان يضرنا ونرجع القهقرى بعد أن قدّمنا الايمان بالله خطوات فى مسير العقائد الصحيحة والفضائل الاخلاقية ونكون كالانسان الذى تدعوه فطرته الى كل خير ثم ينهار مع الشياطين اى عناصر التسفل والسقوط فيبقى حيران لا يدري ماذا يفعل لأصلاح شأنه وتعديل مجارى حياته وغسل ادران الانحراف عنه وله اصحاب لم يزايلوا فطرتهم التى خلقوا عليها يدعونه الى الهدى الذى كان عليه أن ائتنا قل يا محمد للمشركين ولغيرهم ان الهدى الذى يجب اتباعه هو هدى الله وما سوى تعاليم الله فانحراف وضلال وأمرنا من ناحية ضمائرنا وعقولنا ألا نسلم وجوهنا ونفوسنا الآ لرب العالمين .

ان البشرية القاصرة تعتقد ان جواب الخير وطوارد الشر مربوطة باللباقة والشعوذة والتشبيث بهذا وبذاك ولكنها لا تفقه انها على خطأ الآ بعد ان تضرّسها الأمور وتقلّبها الحوادث فترى بعين البصر ان التشبيث بالمقتدرين بعد اللتيا والتي انما يثمر شيئا يريك نفسه بادئا

كالأمر الناجح ثم يتهافت امام النظر ليودع الإنسان حسرة أبدية حيث يكون كما قيل ترى العين ما لا تتال اليد وكأنسان قدّم مريضه للعمل وخسر عليه الخسائر المهمة وبعد أن يبدي تمام صحته يقع الى الارض ميتا فوراً بلا تأمل ووقوع هذه المطالب بكثرة ممّا يدلّنا على ان هناك زاوية غيبية تعمل حيث لا يدركها الانسان ولا يدرى ما هو بابها ومن اين تؤتى نعم ان هذه الزاوية المجهولة ممّا تدعو الإنسان الى اعتناق كرامته وشهامته وان لا يبذل ماء وجهه بلا محصل وان من لازمه أن يسعى سعياً وثيداً على اتزان وعقل فان ادرك مقصوده فذاك وان لم يدركه فحدّ الاقل يكون قد ادرك حفظ ماء وجهه وصون حيثيته مضافاً الى تأدبه بأداب الشرع من عدم التكالب على مال الدنيا وجاهاها والرضا بما يجرى من القضاء والقدر والزهد بالظواهر الخلابّة فان في الزهد خصائص جبارة تخلق للانسان روح التعالي والشموخ فان الزاهد في الدنيا لا يكذب لان الكذب لا يسوقه الى الانسان الاّ الطمع الموهوم والزاهد لا يتملق بطبيعة انه زاهد والزاهد لا يكون جباناً لان الجبن منشؤه الخوف على الروح والحطام وربّ خائف على نفسه يكون اول الهالكين وخائف على ماله يكون ماله فريسة الأوغاد يؤخذ منه بلا جميل له فيه والزاهد دائماً تراه مرتاح البال مطمئن الخاطر .

\* ( وأن اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون  
 وهو الذى خلق السموات والأرض بالحقّ ويوم  
 يقول كن فيكون قوله الحقّ وله الملك يوم ينفخ فى  
 الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ) \*

يجوز فى ان اقيموا الصلاة ان يكون عطا على قوله لنسلم ولكن التفت فيه من التكلم الى الخطاب فان الجرى الطبيعى يلزما ان نقول وان نقيم الصلاة ونتقيه وهو الذى اليه نحشر ولكن جىء بالتعبير خطابيا كما يجوز ان يكون معطوفا على مقول القول فى قوله قل ان هدى الله اى وقل ان اقيموا الصلاة يعنى يلزمكم بعد الاسلام لرب العالمين ان تقيموا الصلاة فأنها شعار الاسلام وان تتقوا الله وتخافوه وهو الذى اليه تعودون فيجزىكم على ما فعلتم ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذا الرب الذى امرنا لنسلم له هو الذى خلق السموات والأرض بالحق لا عبثا بل عن حكمة واستصلاح ، واذكر لهم يانبيى الاسلام يوم يقول رب العالمين كن يا يوم الحشر فيكون بمجرد ارادته ذلك وليس قوله هذا الا الحق ليصل كل عامل الى نتيجة عمله وله الملك يومذاك خالصا حيث لا يكون لغيره امر ولا نهى ولا ظهور وذلك اليوم هو يوم ينفخ فى الصور والصور قرن ينفخ فيه لأعلام امر فكنى به عن صيحة الله بالعوالم الحية فتهد وبضيحة ثانية فتقوم لله ، عالم الغيب صفة لقوله الذى خلق السموات والشهادة يعنى ان خالق السموات والارض قد أحاط علمه بخفياها وظواهرها لانها مصنوعة له وهو الحكيم فى جميع افعاله واقواله الخبير بجميع ما فى الكون لانه خلقته .

\* ( واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ اصناما آلهة

انى أراك وقومك فى ضلال مبين :وكذلك نرى

ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من

الموقنين ) \*

واذ كرم يا محمد — نبى الاسلام — لمعاصريك ومعاشريك من اهل الجزيرة العربية التى ينتسب الكثير من ابنائها لاسماعيل بن ابراهيم وقد كانوا يعظمونه لأنهم من صلبه مضافا الى كون ابراهيم فى نفسه من انبياء الأجيال العظام الذين حرروا ادوارا مهمة فى العالم من طريق علومهم وتوسعهم استدلالاتهم وبراهينهم وصمودهم فى المصارعة المبدئية كيف قال ابراهيم لابيه آزر ظاهر القرآن أن آزر ابو ابراهيم وفى نقول كثيرة ان اباه تارخ وان آزر عمه ويرثى الكثيرون هذا الرأى زاعمين أن آباء الأنبياء يجب ألا يكونوا كفرة وارى ان هذا الشرط زائف ان لا دخل لكفر الأب بأيمان الأبن نعم يجب ان يكون النبى طاهر المولد من اناس غير ممتهنيين فى انظار الناس حتى لا يسقط محلّه من قلوبهم والكفر ليس عارا على صاحبه عندهم :أتتخذ :استفهام انكارى : اصناما آلهة :بمعنى كيف طوّعت لك نفسك ان تتخذ الاله العالم صنما وهو اقلّ واذل من نوع موجودات العالم والأله يجب ان يكون مهميّننا على الكون مصرفا له وبيده مقدراته :اننى اراك :فى نزعتك هذه و :ارى : قومك :الذين هم مثلك فى العقيدة :فى ضلال مبين :واضح وانشمار عن الحقيقة ساق :وكذلك :اى وكما اعطينا ابراهيم فطرة صافية استغلّ منها هذه المعلومات الثمينة التى بها واجه اباه وقومه بهذه المواجهة المنطقية أرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض اى ما فيها من آثار

صنعة وحكمة والملوك هو الملك اضيفت اليه الواو والتاء لتدل ان على تعظيمه واهميته وليست هذه الأرائة من ناحية الله لا ابراهيم اراءة اعجاز بل توجيه نظر لما فى المجموعة الكونية فان الغرائب طافحة لكافة الأبصار الا ان الأكثر منها يعاين اليها معاينة قشرية وبالتكرار تعود عادية لا قيمة لها اصلا كما هو نظر العوام واشباههم الى ذلك .

وقوله تعالى وليكون من الموقنين معطوف على محذوف تقديره نريه ذلك ليعتبر علميا بهذه الرؤية الدقيقة وليكون من الموقنين فى عقائده لا كالمسائرين الذين يعيشون على الخيالات والأوهام .  
وبالنتيجة تعطى الآية نكات ذات بال فى الحياة الاجتماعية :

(١) ان الحق اعظم من كل عظيم لأن الاحتفاظ بعظمة الفرد او بتعظيمه مسألة خصوصية والحق مما يسهم فيه كل احد بدون استثناء ومن هنا انكر ابراهيم على ابيه او عمه عبادة الاصنام ونسبه الى الضلال الواضح فى حال ان الشرائع جعلت عقوق الوالدين من الكبائر وان قول افلها حرام فان ابراهيم لو ترك نصح ابيه وتوجه الى غيره من الناس لقالوا له ان اباك يعبد الصنم فعلام لم تنكر عليه ولازم عبادة الاصنام تيه وضلال ونبذ لكافة القيم الحيوية بالمرّة كما نراه بأحد اقنا فى دنيا الجديد هذا الذى أفلت نفسه من كل شىء وزعم انه بلغ من الترقى مبلغا عاليا حاسبا ان الترقى بأشعاع الكهرباء واسالة الماء فى حال انه يعيش بارتباك اكثر مما يعيش به ابن العصور المظلمة فلا يزال قويّه يعبث بضعيفه ويحيل من الأجتماع لعبة لطفولته .

(٢) ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبذل العالم علمه للجاهل بل وتنديده به امر لازم وان المتخلف عنه مكلف ظالم لنفسه ومجتمعه لان ايكال الجاهل الى جهله ممّا يزيد فى مرضه ويعجّل فى

استشراؤه وزيادته كالمرض الطبيعي مضافا الى انّ في الجهل عرامة وبقاء الجاهل على جهله ممّا يزيد ه اغراء به وكلّما نراه من التخبیط غير المحدود في دنيا اليوم وحتى في اعظم عظمائها مقاما فانما هو نتيجة عراقفة الجهل واغرائه لصاحبه فان مثل الانسان الجاهل كالماء البارد في نفسه اذا وضع في شمس حادّة او على نار فانه يأخذ بالتدرج من البرودة الى الدفء الى الحرارة الى الفوران وهكذا ابتداء سيرالجهلة من حكام العالم والى نهاية الفوران انتهى .

(٣) ان التوجه العميق للآفاق والانفس ممّا يخلق للأنسان علما ففضاضا بعيدا عن الهنات وقشري الاستدلالات الفلسفية المادية كما اتفق ذلك لابراهيم عليه السلام لما اتقن رؤية ملكوت السموات والأرض وحصل الايقان التام من جراء ذلك .

\* ( فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربّي فلما  
أفل قال انى لأحبّ الآفلين : فلما رأى القمر بازغا  
قال هذا ربّي فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربّي  
لأكوننّ من القوم الضالّين : فلما رأى الشمس بازغة  
قال هذا ربّي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى  
برئى ممّا تشركون : انى وجهت وجهى للذى فطر  
السّموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين ) \*

ما ساقه الله فى هذه الآيات هو من التوجه الواقعى بالرؤية  
الدقيقة وان كان مسبوقا بما رآه سنين طويلا فكم من متعلم كان يدرس  
المطلب فيظنّه مفهوما وبعد التعمق يجد نفسه كانت على غير بصيرة  
وانها كانت تفهم شيئا هو بالجهل الصق منه بالعلم وقد تكون فرضيات  
استدلالية نطق بها حين سنح وقت النطق ليفحم قومه ومعاصريه الذين  
وجد هم يتكالبون على الضلالات فلما جنّ عليه الليل اى ستره بظلامه  
رأى كوكبا هذا من باب ذكر الاضعف ليترقى منه الى الأقوى قال هذا  
ربّي وخالقى وموجدى فانه بالنسبة الى الصنم والوثن عظيم جدا بل ولا  
قياس فلما أفل وغاب قال لأحبّ الآفلين ، وفيه ايماء الى لزوم الاجتناب  
عن المتلونين غير الثابتين ، فان الآفل محكوم بما هو اقوى منه فلنذهب  
الى الاقوى فلما رأى القمر بازغا اى طالعا منيرا وهو اعظم جرما من  
سائر الكواكب بالنسبة الى سگان الأرض واوسع نورا وأشع قال هذا  
ربّي فلما أفل الكوكب نزع يده منه واخذ يحاول الوقوف على ما هو اقوى  
ولذلك قال حين اعيتته القوس منزعا لئن لم يهدنى ربّي اى الخالق لى  
الذى داف فى وجودى غريزة التفهم والتعلم الذى انا فى صد العثور



عليه وان لم احصله بالفعل لا فى الكواكب ولا فى القمر لأكونن من القوم الضالين عن سواء السبيل المتحيرين الذين لم ينته بهم البحث الى مستقر ثابت فلما رأى الشمس بازغة طالعة تمدّ الكون بأشعاع قهّار قال هذا ربي هذا اكبر مما رأيت فلما افلت وغابت وساد على محل شروقها ظلام أدكن قال يا قوم ليس واحد مما رأيت من كوكب وقمر وشمس بخالق للعالم لان كلّ واحد من هذه الأشياء مؤف بأفة تمنعه عن ان يكون فوق الكل فاذا كانت هذه العناصر القوية فاقدة لصلاحية الربوبية فأجد ر ببقية الكوائن من وثن وصنم ألا تكون اربا با انى برىء مما تشركون بالله سبحانه انى وجهت وجهى بالربوبية للذى فطر السموات والأرض وان لم اعرفه الا بهذه الآثار حال كونى مائلا عن الحيف به وما انا من الذين يشركون به بعض مصنوعاته ومخلوقاته .

ولو أنّ الإنسان تفهم مفاهيم الحياة بشتى صورها وبكافة ماتضطم عليه كما تفهمها ابراهيم لما رأيت فى الدنيا ظالما لنفسه او لغيره ولما رأيت تهريجا فى وضع او آهة من مظلوم او انحرافا فى عمل كائنا ما كان ذلك العمل ولكن الفريق الأعظم من اهل القدرة والنفوذ والتمكّن تكالبوا على ما هم فى غنى عنه ولو اخلدوا فيما تكالبوا عليه الى المنطق لعاشوا وعاش من ورائهم فى راحة نسبية لكن مع كلّ الأسف بينما يبرى الإنسان ارهاقات الطبيعة من سيول عارمة وطوافين ماحقة وامراض فاتكة يواجه ما هو اشق منها من اخيه الذى يراقبه على درهمه فى حال انه فى غنى عن هذا الدرهم وعلى جاهه وناموسه وهلمّ جـرا فالإنسان النزيه بخاصة فى عالم اليوم بين طابقين من جحيم من غضب الطبيعة عليه وتكالب اخيه النوعى فى وجهه .

\* ( وحاجّه قومه قال أتجأونى فى الله وقد هدانى  
 ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئاً  
 وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون : وكيف اخاف  
 ما أشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل  
 به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن ان  
 كنتم تعلمون ) \*

بمعنى ان قوم ابراهيم حاجّوه بالنسبة الى آلهتهم وأنه كيف سوّغ  
 لنفسه ان يهجرها ويزرى بها وكافة معاصريه واهل وطنه عليها ألا يخاف  
 من عواقب هذه المشادّة والمخاصمة فكان فى جوابه لهم هو البارع فى  
 نقضه عليهم فقال لهم وايّة حجة تملكونها فى تقديم آلهتكم وائى دليل  
 سقتموه الىّ فى ابطال ما انا عليه بعد أن هدانى الدليل الواضح  
 اليه واما التخويف الذى قد متموه الىّ فكيف اخاف صنما لا يضر ولا ينفع  
 الا ان يشاء ربى شيئاً لا اتصوره الاّن يحيل من هذه الاصنام عوامل  
 فعالة تقوى علىّ وخوفى منها ان ذاك انما يستند الى الله لا اليها  
 مباشرة كما اخاف الله فى انزاله صاعقة من السماء علىّ او رجفة من  
 الأرض تحيق بى ، وسع ربى كل شىء علما : اى ان الربّ الذى اعبده  
 عالم بجميع ما فى الكون لانه خالقه ومن جملة مجارى علمه تحويره لطباع  
 الاشياء من لون الى آخر فتؤثر بالتحوير ما لم تؤثره قبله كالعالم الفنّان  
 بالعناصر حيث يستخدمها بالعلم من شىء لشىء آخر فهكذا الله  
 باستطاعته ان يحيل من اصنامكم عوامل تأثير يخاف منها ، أفلا تتذكرون :  
 اى أفلا ترجعون الى ذاكركم وعقلكم وتحسبون حساب ما قول وتقولون  
 فترؤا ان الحق معى لا معكم فتركوا عبادة الأوثان وتوجهوا الىّ

صانع الأكوان .

ثم قال لهم وكيف تهددونى بوقیعة الأصنام بى وهى اجسام هامة فاقدة للقدره رأسا ولا تخافون انتم من اللّه الذی بیده ازمة كل شىء وقد اشركتم به امورا لم يوح اليكم بها ولم يجوزها لكم فأقّ الفريقين منى ومنكم احقّ بأن يكون آمنا من الخوف فأجيبوا ان كنتم تعلمون لا شك انهم ان توجهوا لرشد هم قالوا له انت احقّ بالآمن من مهاجمة الأصنام لك ونحن احقّ بالخوف من مهاجمة اللّه لنا .

\* ( الذین آمنوا ولم یلبسوا ایمانهم بظلم اولئک لهم

الآمن وهم مهتدون ) \*

لما تقدم فى الآیة السابقة التعرض للآمن من العقاب اعطى تعالى به مناطا عاما فقال ان الذی یؤمن عقاب اللّه ان ینوشه هو الذی یؤمن باللّه وبجميع ما الزم الايمان به عقيدة ولم یخلط ایمانه بشىء من الظلم العملى لنفسه او لغيره فهذا هو المؤمن الآمن وهذا هو المهتدى علما وعملا واما اذا ظلم وفسق فهو مؤمن عقيدة لكنه غير آمن من مؤاخذه اللّه له .

\* ( وتلك حجّتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع  
 درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم : ووهبنا له  
 اسحاق ويعقوب كلّا هدينا ونوحا هدينا من قبل  
 ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى  
 وهارون وكذلك نجزي المحسنين : وزكريّا ويحيى  
 وعيسى والياس كلّ من الصالحين : واسماعيل  
 واليسع ويونس ولوطا وكلّا فضلنا على العالمين :  
 ومن آباؤهم وذريّاتهم واخوانهم واجتبتناهم  
 وهديناهم الى صراط مستقيم ) \*

تلك اشارة الى الأدلة التي وفق الله لها ابراهيم وهى حججه وانما  
 نسبها تعالى الى نفسه لأنه هو السبب العامل فى توجيه ابراهيم  
 وغيره ممن توجه الى فطرة الله التى وهبها له وانما آخر قوله - على  
 قومه - وكان الحق ان يقال وتلك حجّتنا على قومه كيلا يعود الضمير  
 على متأخر لفظا ورتبة نرفع بعض الناس على بعض درجات وطبعاً لا  
 يكون ذلك بالجزاف بل عن حكمة وعلم بمحلها ووهبنا لأبراهيم من  
 طريق التوالد اسحاق وهو ابنه للصلب من سارة ويعقوب وهو ابن  
 اسحاق كلّاً من اسحاق ويعقوب هدينا لأنهما طالبان للهداية راغبان  
 فى تحصيلها مجدّان فى طريقها ممهدان لمقدماتها ونوحا هدينا لما  
 هدينا له هؤلاء بالملاك الذى صورناه ، من قبل : اى من قبل ابراهيم  
 واسحاق ويعقوب لانه سابق عليهم زمانا ، ومن ذريته : الأصلح ان يعود  
 الضمير لنوح وان صلح فى بعض فقرات الاسماء عوده لأبراهيم الا ان  
 نوحا اجمع فان جميع من ذكر بعده من سلالته ، داود بن إيشاوسليمان

بن داود وايوب بن آموص من ذرارى اسحاق ويوسف بن يعقوب وموسى بن عمران من احفاد لاوى بن يعقوب وهارون اخاه وكذلك اى كما هدينا ابراهيم ونوحا من قبله نجزي المحسنين لأنفسهم ولغيرهم من مستحقى الأحسان بالهداية التى تؤل الى النبوة وزكريا ويحيى ابنه وعيسى بن مريم بنت عمران من احفاد حزقيا والياس وقد اختلف فيه فقيل انه من احفاد هارون بن عمران وقيل انه الخضر كل من هؤلاء الأربعة المذكورين فى رد يف واحد من الصالحين الذين اصلحوا انفسهم وهذبوها وشعشعوا اجوائها بالخيرات والفضائل ويجوز ان يعود لفظ كل لجميع من سبق لصلاحية اللفظ لذلك واسماعيل بن ابراهيم واليسع بن اخطوب ويونس بن متى ولوط بن هاران ابن اخى ابراهيم وقيل هو ابن اخته وكلا من هؤلاء الأربعة المذكورين فى رد يف واحد او جميع من سبق فضلنا على العاملين من اجيالهم وكذلك هدينا من آباء هؤلاء ومن ذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم لصلاحهم وجدارتهم لذلك .

\* ( ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحببط عنهم ما كانوا يعملون : اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين : اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ) \*

ذلك اشارة الى ما سبق من عناوين التجليل والتبجيل هدى الله يهدى به من يشاء من عباده على الشرط والملاكات المارة الذكزلا جزافا ، ثم وجه انظار المشركين الى نكتة مهمة جدا وهى ان هؤلاء الانبياء الذين سبق ذكرهم على عظيم خدماتهم وجليل مقاماتهم لو فرض محالا تلبسهم بالشرك بعد تلك الخدمات الجليلة لذهبتم خدماتهم هباء ولضاعت عليهم جميع اعمالهم مضافا الى ما يجلبونهم لأنفسهم من طريق الشرك بالله الذى هو اعظم الظلم اولئك المهديون هم الذين آتيناهم الكتاب السماوى والحكم الفارق بين الحقيقة والوهم والنبوة العاصمة من الزلات والخطيئات والقائمة بأنواع السعادات فان يكفر بكتبهم وحكمتهم ونبوتهم هؤلاء الذين كفروا بك فقد وكلنا بها اى بمراعاتها والاستئنان بها قوما ليسوا بها بكافرين وهم المؤمنون بك وبهم اولئك المهديون الذين استحقوا من طريق هدايتهم ايتائهم الكتاب والحكم والنبوة هم الذين هدى الله فهدايتهم لا نقاش فيها بل هى المقياس الذى يلزم كل لاهوتى ان يقينى نفسه به ومن جملتهم انت والهء فى اقتده للسكت ثم أمره ان يبين للناس ان تبليغه لرسالة

السماء محض احسان وتفضّل وليست بضاعة يتاجر بها بل تذكرة لكل من وصلت اليه وحجة من الله عليه .

\* ( وما قد روا الله حقّ قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونوه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ) \*

قيل ان افرادا من اليهود مغاضبة لنبيّ الاسلام قالوا ما انزل الله على بشر من شيء وقيل ان قائل هذه المقالة جملة من المشركين فردّ الله عليهم بما فضح تعصبهم وان انكارهم لذلك انكار مفتضح أمّا اذا كان قائل القول يهوديا فماذا يقول في التوراة الا ان ينكر يهوديته بالمرّة وان كان مشركا فالمشركون يعترفون بوجود اليهودية وكتابتها والنصرانية وانجيلها فهؤلاء ينكرون الواضح حتى يتسببوا من طريق انكاره الى انكار نبوة الاسلام وسماوية القرآن وما قد روا الله حق قدره فلم يعرفوه بانه انما خلق الخلق ليسعدهم وينظمهم ويؤدبهم ويحسن أدبهم وكل ذلك منه منوط بأنزال الكتب القائمة بواجب القانون والأدب الفاضل وطبعا اذا لم يعرفوه بهذه المعرفة يقولون ما انزل الله على بشر من شيء قل لهم يا محمد سواء كان مغاضبوك يهودا ام مشركين من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو التوراة جاء به نورا يضيء لهم كافة الملابس فيظهر ساقطها وعاليها شريفها وسخيفها حقها وباطلها ليهتدى الناس بحقه ويأخذوا بشريفه لكنكم انتم يا معشر

اليهود لما لا يستم الخطايا على حساب المصالح المعيشية واحببتم ألا تفتضحوا امام الناس مزقتهم هذا الكتاب المجتمع ويدد تموه فضيرتموه قراطيس منشعته فما فيه تعرض لكم اخفيتموه وما ينسجم مع ظواهركم ابقيتموه .

وقوله تبدونها بمعنى تبدون بعضها منها وتخفون كثيرا اى الأكثر لان ملابستكم للضلال اكثر من مزاولتكم للصلاح ، وما تملكونه من بعض الثقافات والأحتجاجات والمعرفة بشؤون الحياة انما هو نتيجة ممارستكم لكتب السماء ولو خليتكم انتم وانفسكم لكنتم مثل الحيوان الهامل ضلالا وجهلا ، وجواب الأستفهام فى قوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى هو قوله قل الله وانتم قلتم ما انزل الله على بشر من شىء فأذا حكمتهم وافحمتهم فدعهم فى غيهم يلعبون و فى ضلالهم يسدرون بعد أن اعرضوا عنك اعراض مجانب وانجازوا عنك الى جانب .



\* ( وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين  
يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذي بين  
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم  
يحافظون ) \*

يريد تعالى وكما انزلنا التوراة على موسى انزلنا القرآن عليك وهو  
الكتاب المملوء بالخير والبركة المصدق لما تقدمه من كتب السماء لان  
جميعها نازل من الله لخير البشرية واسعادها فكما ان الانبياء بعضهم  
يصدق بعضا لانهم يدعون الى هدف واحد كذلك كتبهم بعضها  
يصدق بعضا لعين الداعي وقوله لتنذر معطوف على فعل محذوف  
تقديره لتهدى به الناس ولتنذر أم القرى وهي مكة وامومتها باعتبار انها  
المرجع للقرى والبلدان المنتشرة على قوس اطرافها سواء كانت بعيدة  
عنها ام قريبة لها ، والذين يؤمنون بالآخرة والمعاد على الله سبحانه  
من طريق اعتقادهم به وبرسله يؤمنون بكتابك لانه يقوم بعقيدتهم ويؤيد  
ايمانهم وهم على صلاتهم التي تحرز لهم دنياهم وآخرتهم يحافظون  
لانها وسيلة سعادتهم .

\* ( ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال  
 اوحى اليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل  
 مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون فى  
 غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا  
 انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون  
 على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ) \*

قوله ومن اظلم استفهام انكار يعنى لا يكون احد مساويا فى  
 الظلم او اظلم ممن ظلم نفسه بالكذب على الله وداعى ذلك من جهتين  
 ( الأولى ) ان الله محض قدس وطهارة لا يملك تحييزا ولا هو من اهل  
 الانتهاز حتى يستهان بالكذب عليه ( الثانية ) ان نسبة شيء الى الله  
 بعنوان أنه منه مما يغرى المؤمنين به بجهل لانهم يأخذون ذلك  
 بعنوانه امرا من الله تجب طاعته فيه فى حال انه لا اصل له وهو ايقاع  
 عظيم بالبشرية ومن هنا كانت العصمة شرطا فى الأنبياء والوثاقة امرا  
 لازما فى الحاكمين عنهم والداعى الى تعرض الله لهذا المطلب هو عبد  
 الله بن ابي سرح فانه كان يكتب الوحي للنبي فكان اذا قال له اكتب  
 عليما حكيما كتب غفورا رحيمًا وارتد ولحق بمكة وقال انى انزل مثل ما  
 انزل الله .

وكذلك ليس احد اظلم ممن قال اوحى اليّ باعتبار اننى نبيّ الى  
 البشرية ولم يوح اليه شيء وكونه اظلم من كل ظالم لأنه مخرب عام ومفسد  
 للجيل كله بأضاليه نظير مسيلمة الكذاب وبقية المتنبيين ، وهكذا ليس  
 احد اظلم ممن ادعى أنه لا مؤنة فيما ينزله الله من السماء وانه ينزل  
 مثل ما انزله فان هذا المدعى لا يستطيع اولا ان يحقق مدعاه لان

القرآن تحدّى الاجيال كلّها فلم يتصد احد لهذا التحدى لأنّه لا يحصل من ورائه الا الافتضاح ولانه يكون عاملا مضلّا للبسطاء من الناس ، ولو كشف لك فرأيت بعين البصيرة ان الظالمون لأنفسهم او لغيرهم من طراز من سلف ذكره فى غمرات الموت وشدائده قد استولت عليهم اسباب الفناء وعوامله والملائكة باسطوا ايدىهم لتلقى ارواحهم ليفصلوها عن اجسادهم وجواب لو محذوف تقديره لرأيت ما يهولك .

وقوله اخرجوا انفسكم بمعنى استسلموا بأعطاء ارواحكم ولا تقاوموا فأنكم اقلّ واحقر عن المقاومة فالتعبير كناية عن ضعفهم امام الملائكة المنفذين ، اليوم : ظرف لانتهاء الدنيا بالنسبة اليهم وتلبسهم بعالم آخر هو طليعة الجزاء على ما سلف فى نشأة التكليف والهون بالضم هو الصغار بسبب ما كنتم تقولون على الله فى الدنيا غير الحق وتنسبون له ما لم يقله وتدعون عليه ما لا شائبة لكم فيه وكنتم عن آياته التى تجرّكم الى الايمان عقيدة و الى الصدق عملا تستكبرون وترون انكم فوق ان تكونوا مريبين له تعالى تأتمرون بأمره وتنتهون بنهييه .

\* ( ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون ) \*

المتكلم هو الله مخاطبا للمقبوضين بوسيلة ملائكته قائلا لقد جئتم الينا فرادى ليس معكم ممّا كنتم تعتزون به شىء فلا مال ولا رجال ولا عدّة ولا عتاد كما انكم لمّا خلقتم فى بطون الأرحام كنتم كذلك ولقد تركتم وراء اظهركم بالرغم عليكم كل عزيز صرفتم فيه كل جهد وارتكبتم فى تهيأته كل خطيئة كما لم نر معكم اولئك الذين كنتم تدعون بقوّتهم وترونها لكم شفعاء وانهم كانوا فيكم شركاء ولستم لله وحده لقد قطع الواقع بينكم فنكنتم فى جانب وكانوا فى جانب وبعد عنكم ما كنتم تزعمون من نصرتهم وقد رتهم وحمايتهم وشفاعتهم .

وبالنتيجة لمّا كان الفناء واصابة الحوادث ممّا يطراً على الانسان لا باختياره كما طراً عليه البقاء والحياة لا باختياره كان من لازم ذلك وان لم يكن معتقدا بالحياة الثانية ان يأتى بأعماله على وفق الشريعة خصوصا وهو يجهل متى يموت ومتى يصاب بالحوادث فى صغر سنّه ام فى مستقبل شبابه ام فى سن كهولته ام يحظى بمد يد العمر والسلامة ومعنى ذلك ان يكون كدحه فى الحياة متوسّطا لا متوغلا فان الحياة انما تستلذّ مع التمتع بالراحة وباللذات المشروعة وبأعمال الجاه فى نفع الناس وان لا يعزّ مالها فى عينه بل يجب عليه ان ينفقه الا ما يحفظ به وجوده ووجود من يتعلق به فان لم يفعل كان مريضا بلاشبهة فان الذى يخترن المادة ولا ينتفع بها هو ولا غيره مريض حقيقة

وشفاؤه انما يكون بأصابة الحوادث له حيث تنهيه وتذره قاعا صفتا لا يملك وراءه تعبته الذى تعبته الآ حسرته الطويلة .

ومعنى ذلك ايضا ان يبذل جاهه الذى حصله فى نفع الناس حتى يقال فى حقه انه ذو جاه والآ فالجاه المجدد كالمال المجدد لا يستتبع غير الذم ومثل هؤلاء البخلاء اذا اصابتهم الحوادث أنس الناس بموتهم وارتاحوا لفقدهم هذا كله مع عدم العقيدة بالمعاد على الله واما اذا كانت فى البين عقيدة بالمعاد على الله وانه يجازى على الحسنه عشرة اضعافها وعلى السيئة بمقدارها فان مادونا سابقا يتكرر على الأنان البخيل بماله وبجاهه ويكون محطّ مسؤلية عظيمة بقوله تعالى ففقههم انهم مسؤولون ذلك السؤال الذى يبلغ فى الفحص والتمحيص ابلغ غاياته ويعود فى نشأته الثانية شقيا كما كان فى نشأته الأولى شقيا ، ولقد جئتمونا فرادى : اى مجردين من كل شىء الآ من انفسكم ، كما خلقناكم اول مرة : مجردين من كل شىء سوى صلاحية النشوء والنماء فى النطفة كصلاحية البدن بعد الموت للأعادة مرة ثانية ، تركتم بالرغم على آنا فكم ، ماخولناكم : واعطيناكم لاختباركم : وراء ظهوركم حيث لا تقدرون على التوجه اليه بعد استدباره وقد كان بأيديكم تفعلون به ما نشأون فلم تقوموا بواجبه وقت القدرة ففاتتكم منافعه بعد العجز عنه .

\* ( انّ اللّٰه فالق الحبّ والنوى يخرج الحيّ من  
الميت ومخرج الميت من الحيّ ذلکم اللّٰه فأنّى  
تؤفکون : فالق الأصباح وجعل الليل سکننا  
والشمس والقمر حسبانا ذلک تقدیر العزیز  
العلیم ) \*

یعنی انما يجوز ان يكون اللّٰه الواجب الوجود المبدء لكل مبدء  
العلة لكل علة من يكون قادرا على ان يخلق الحبة والنواة فيخرج من  
الحبة النبات ومن النواة الشجر والحبة والنواة ميتتان والنبات والشجر  
حيّان كما يخرج من النبات الحبّ ومن الثمرة النواة ففي الصورة الأولى  
اخرج حيّا من ميت وفي الثانية اخرج ميتا من حيّ وهذا من اعظم  
الأدلة على انّ هذه الكوائن لها صانع فأن ناقش مناقش وقال ان  
الحبة والنواة ليستا ميتتين بل فيها حياة بالصلاحية فمتى صادفتا  
ظرفهما ووقتتهما برزت حياتهما من القوة الى الفعل ومن الكمون الى  
الظهور فانه يقال نفس تلك القوة لا تعقل من غير جاعل كما لا يعقل ان  
تكون لازمة ماهية المادّة بما هي والآ لكان كل شىء فيه صلاحية الحياة  
من نفسه وهو مكذوب بالحسّ ، ذلکم اللّٰه : يعنى الذی به أن يفعل تلك  
الأفعال هو اللّٰه لا غيره ، فأنّى تؤفکون : اى يصرف بکم عن جانب الحقّ  
الى جانب الضلالة ، فالق الأصباح : يعنى يخلق الظلام فيخرج منه الصباح  
وذلک انما يكون نتيجة لدوران الأرض حول نفسها فى مقابل الشمس  
والحركة نفسها لا تعقل من غير محرّك فالمحرّك هو الفاعل للحركة  
المنتجة للأصباح والأظلام وجعل الليل سکننا لان الظلمة جامعة ومثيرة  
لخدر الأعصاب فيحصل من ذلک السکون كما جعل حركة الشمس والقمر

بحساب مضبوط لا يحول ولا يزول وينتج عن ذلك فعل وانفعال مؤثران أهم التأثير في حياة الأحياء و في تغيرات غيرهم هذه الجمل من العلل والمعلولات الطبيعية مقدرة من عزيز تكون كل قدرة تحت قدرته عليم بكيفية تسييرها وتسخيرها بعد اختراعها وايداعها .

\* ( وهو الذي جعل لكم النجوم لتتهتدوا بها في

ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم

يعلمون : وهو الذي انشأكم من نفس واحدة

فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ) \*

من احدى فوائد النجوم البسيطة بالنسبة الى سكنة الأرض الفاقدين للعلامات المصنوعة كونها علامات على الطرق والمسالك والأوقات بطولوعها وغروبها وسيرها في حركاتها فقد كانت النجوم في الأزمنة القديمة كل شيء لسكنة الأرض فكانت كالساعات المضبوطة ودرجات الحرارة والبرودة والأرصاد الدقيقة للغيوم والأمطار وسائر الطقوس الجوية وهي اليوم كذلك للخبراء بهذه القضايا ولا شك ان تسييرها وحده فضلا عن دقة النظام مما يحتاج الى عامل مؤثر قهار وهو واجب الوجود صانع العالم ، وهو : اى الصانع للعالم وشتات ما فيه ، الذي انشأكم في اول مرة لأبداع نوعكم الخاص ( الانسان ) من نفس واحدة اولية هي التي تسمى آدم ومنها اشتقت فصيلتها فمستقر لكم وانتم نطف في اصلاب الذكور ومستودع لكم وانتم كذلك في ارحام الأناث كل ذلك وهذا آيات لقوم يتبصرون فيما يبصرون ويفقهون ما يحسون ويعلمون ما عليه يمرون .

\* ( وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ) \*

وهو - اى الصانع للعالم - الذى انزل من جهة العلو ماء وان كان اصله التبخير الا ان انزاله ليس اعتباطيا او طبيعيا فلو كان منشؤه برودة الجو التى تحيل البخار ماء لكان من اللازم الأمطار على طول وجود البرد وليس كذلك ولما صحّ المطر فى الهواء الصائف ولما جاء التبويض فى نزوله وعدمه فى طقس واحد ومكان واحد محدود جدا فان وحدة الأفق والطقس لا تجيز التبويض الى غير ذلك من المؤاخذات على نزوله الاعتباطى او الطبيعى اذا فيلزم ان يكون هناك فاعل مختار وان جهلنا حكمته فى بعض صور الأمطار الموجهة للضرر، فأخرجنا بهذا الماء نبات كل شىء قابل لأن ينبت من اغذية كل حيوان وادوية كل حيوان وما يرتفق به كل حيوان فأخرجنا من ذلك النباتات نباتا غضا طريا نخرج منه بعد أن يطوى مراحلها حبا متراكبا قد تضام وتناضد كسنبيل الحنطة والشعير والأرز والسهم وغير ذلك، وقنوان جمع قنوهى الأعداق دانية اى قريبة من تناول تخرج من طلع النخل فقله قنوان دانية مبتدأ خبره من النخل ومن طلعتها بدل بعض من كل، وجنات يجوز عطفها على خضرا وعلى حبا والجنات جمع جنة وهى الحديقة من اعناب كما نخرج الزيتون والرمان وانما قرنها بالذكر



لانهما يجتمعان بهذه الخاصية ان اغصانهما تشتمل على الورق من اسافلها الى اعاليها ولأن فوائدهما جمّة ومهمّة والأعشاب كذلك مشتبهها في ورقه او شجره، الزيتون والرمان، وغير مشتبه في ثمره او ان بعض الزيتون وكذلك الرمان يشبه بعضا وبعضه لا يشبه البعض في خصائصه وان اتّحد في الأسم فقليل زيتون وقيل رمان، انظروا أيها العقلاء الى ثمره الذي لم يكن منه عين ولا اثر اذا أثمر وانظروا الى ينعه وهو — ونضجه اذا نضج وصار مستعدا للأكل مطلوبا للذائقة مرغوبا للمزاج ان في ذلك التحول والتصاعد لآيات باهرات حقيقة لقوم يؤمنون بالمقاييس العلمية والمباني العقلية والمجاري الحكيمة حقا ان نظر العبرة في بعض من ذلك يعطى الاعتبار الواسع فضلا عن النظر في جميع ما ذكره

تعالى .

\* ( وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له

بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عمّا

يصفون : يدع السموات والأرض أنّى يكون له ولد

ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيء وهو بكلّ شيء

عليهم ) \*

وجعلوا اى المشركون لأفراطهم فى جهلهم الجنّ شركاء لله فى  
 خلقه هذه العوالم وادارتها ولا شكّ انهم يجهلون الجنّ وحقيقته  
 وصلاحياته وكلّ شيء فيه وانما يسمعون شيئاً فتتخيّل لهم اشياء  
 فعقائد هم اذا هى مجموعة اساطير واضاليل فردّ عليهم سبحانه بأبسط  
 ردّ وقال لهم الجنّ مخلوقون له كانوا عدما فأوجدهم فكيف مع هذا يصح  
 ان يكونوا شركاء له فى خلقه الكون السابق وجودا عليهم ولم يكتب  
 المشركون بجعل الجنّ اندادا لله حتى نسبوا له بنين وبنات فقال  
 فريق منهم ان الملائكة بنات الله وقال النصارى المسيح ابن الله  
 وقالت اليهود عزيز ابن الله وكما ان النسبة الأولى كانت صادرة عن  
 وهم منهم كذلك نسبة البنين والبنات هى صادرة عن وهم وخيال فانهم  
 لم يعرفوا الله حتى تجيز لهم معرفتهم ان ينسبوا له أبا او أمّا او زوجة  
 او ابنا او بنتا ولكنها خيالات تطفح لأوهامهم فتجرى على سنتهم  
 وهذا هو معنى قوله بغير علم سبحانه اى تنزيها له وعلوا عمّا يصفونه به  
 من الأوصاف المنافية لحقيقته ثم أبان فى الآية الثانية لهم حقيقة نفسه  
 فقال هو وجود سابق على كافة الكائنات وهو الذى ابدعها جميعا بعد  
 أن لم تكن جميعا فالكلّ مخلوقون له ومن اين يكون له ولد وطبّق  
 المتعارف انما يكون التوالد بالتلقيح والتلقيح فى حاجة الى صاحبة

تكون له وهى مفقودة على انه ليس بوجود مادى اصلا واللقاح انما يكون فى الماديات وكل شىء مخلوق له فكيف يكون قرينا له وشريكا او ابنا وصاحبة ولما كان كل شىء من خلقته فهو بكل شىء عليم لأنه خلقته وصنعتة .

\* ( ذلکم اللّٰه ربکم لا اله الا هو خالق کل شىء  
فاعبدوه وهو على کل شىء وكيل : لا تدركه  
الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ) \*

ذلک إشارة الى ما سبق من تعريف اللّٰه لنفسه بأنه فائق الحسّ والنوى مخرج الحىّ من الميّت والميّت من الحىّ فائق الأصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسابنا والنجوم ليهتدى بها ومنشأ النوع الانسانى من نفس واحدة فمستقرّ ومستودع وانه الذى انزل من السماء ماء فأخرج به نبات كل شىء وانه بدیع السموات والارض لا شريك له ولا بنين ولا بنات فصاحب هذه الهوية هو اللّٰه واجب الوجود خالق كل شىء فيجب على العقلاء ان يعبدوه اى يطيعوه وهو على كل شىء وكيل ومعنى كونه وكیلا ان منافع الخلقة لما كانت عائدة الى غيره والغير هو المتمتع بها صار اللّٰه بمنزلة الوكيل الذى يحفظ الشىء ونتيجة حفظه تكون لغيره فهو محسن ليس غير، وفى الآيات السابقات رأيت التفاصيل التى ساقها تعالى فى تحقيق هويته فجاء فى الآية الثانية من هاتين الآيتين المعنوتين يعطينا عن نفسه تعريفا فلسفيا قصيرا ولكنه ليس بقاصر يفيد تحقيق هويته لنا بطور جامع مانع فقال لا تدركه الابصار بمعنى انه مجرد عن المادة فان كل مادى تدركه الأبصار ولو بالواسطة اما هو فليس من مقولة ان يدركه البصر لكنه هو يدرك

الماديات ودركه لها علمه بها وفسّر ذلك بقوله وهو اللطيف اى العارى عن كثافة المادة اى انه بلغ فى اللطافة حدّا ابتعد معه عن المادة وشوائبها الخبير اى العالم بكل شىء وهو معنى دركه للأبصار .

ونتيجة لما تقدم من صلنعيته وخالقيته وقد رته غير المحدودة وعلمه بجميع الموجودات قال فاعبدوه اى خذوا بجميع تشريعاته ووصاياها لأنه عالم غير جاهل ومقتدر غير محتاج ربعيد عن المادة واستمتاعها فهو اذا امرنا بتزكية اموالنا فليس له منها شىء بخلاف الحاكمين الآخريين الذين يتخذون اموال الناس لعبة لشهواتهم واذا امرنا بالصلاة فلأنها مذكرة على طول الخط منبهة من الخطأ والنسيان فالأنسان الذى يكرّر فى اليوم واللييلة عشر مرّات اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم ومهما كان غافلا فإنه يتوجه توجهها محسوسا فيزعه ذلك عن ملابسة الخطيئة واذا حرّم علينا الغش والتدليس والأجحاف والخيانة فلصالحنا جميعا واذا الزمنا بالمهاداة فلأجل ايقاع المودّة بيننا واذا قال بأن صلاة الانسان تقع موقوفة عن القبول مادام هاجرا لأخيه اكثر من ثلاثة ايام فما هو الا لأيقاع الألفة بين الناس جميعا واذا اعتبر ان الفضيلة لا تتحقق الا بالتقوى والغنى كل الحواجز من عنصرية ولسان ومنطقة فلأجل ان تحمل الغيرة النوعية بنى الأنسان على مساعدة الانسان اينما كان ومن اى عنصر كان وبأى لسان تكلم ولا تعقل سعادة اعظم من هذه السعادة ولا تتصور اصلا وقد اعلمها فى الخارج خلفاؤه فى ارضه عندما سنحت لهم الأمور .

\* ( قد جائكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ: وكذ لك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبيئه لقوم يعلمون ) \*

هذا القول يقوله النبي لكل من يصله كلامه بمعنى أن ما سبق ذكره ونصيله بصائر اي بينات تبصر من أعارها شعوره كشفها لكم ربكم — لنسفيد وا منها فمن ابصر بها فقد افاد نفسه ولا منه له على غيره ومن عمى عنها وأعارها ظهره فقد انحى على نفسه باللائمة بمقدار ما اورد عليها من ضرر وما انا عليكم بحفيظ فأن الذي يحفظكم ويحفظ لكم هو الله القادر على كل شيء . وكذ لك : اي وبالنصريف الذي مر المكرر الكثير منه ، نصرف الآيات : والدلائل دائما في آي هذا الذكر الحكيم لنقيم به الحجة حتى لا يقول قائل انها لم تبلغني ولئلا يقول الانتهازيون المرابون درست يا محمد ما تتلوه علينا من اهل الكتاب يهود ونصارى وليس ما معك من الله ولنبيين الذي صرفناه لقوم يستشفونه بدرهم وشعورهم وحضورهم للتعلم وأما الذين بعدوا عن هذه المظان فليسوا بطرف خطاب اصلا لان الخطاب معهم يكون كالتسالية بانتفاء الموضوع .

التفسير ج ٣ يجب المضى على الحق ومهما كلف الأمر ٢٠٠

\* ( أتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض

عن المشركين :ولو شاء الله ما أشركوا ومـ

جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ) \*

هاتان الآيتان تفيدان أنّ من وظيفه كل عاقل عالم ان يمضى على ما يوحى اليه عقله وعلمه ولا يهّمه ما سواد الناس عليه فان مراعاة جانب السواد ممّا يهدم الحقيقة ويطيح بها وانّما حبّيت دراسة العلم لأحياء الحقيقة ومن هنا أمر الله نبيه الذى وجدته فى مضايقة شديدة من المشركين لأنهم يريدون منه أن يأتلف معهم بالأعتراف بشىء ممّا هم عليه وأن لا ينادهم فقال له تعالى امض على ما أوحى لك من نظم واحكام فان الموحى لك لا رقيب له حتى تلاحظ جانب الرقباء واعرض عمّا يحاوله المشركون منك وان كانوا بالفعل اقوياء فانك من طريق الحق سوف تتصل بالحقيقة وسوف ينهارون فلا يبقى لهم اسم ولا رسم واعلم أنّ هذا الأرخاء الذى تواجهه انت من ناحية الله فى قبائلهم فانّما هو ليعلم المقبول بسبب زحمت نفسه والمردود من هذا الطريق ولو انّ الله اراد ايمانهم بالألجاء لحصل ذلك ولكنه عادم للنتائج المتوخاة من عالم التكليف مضافا الى أنّ الايمان بالألجاء والقسر على الطاعة ممّا يغنى عن ارسال الرسل واعطاء الشعور الأنسانى ونظائر ذلك لان هذه الوسائل تعود لا موضوعية لها مع قسر التكوين هذا واعلم ايضا ان مهمّتك التبليغ والارشاد وليس عليك ان تحفظهم بالقهر من الشرك والانحراف كما انك لست بوكيل على ما يأتونه ويذرونه فانّما ذلك لله الذى يحاسبهم على القليل والكثير المكشوف منهم والمستور .

وبالخلاصة فى هذه الآية نكات ست :

(١) ان العاقل يجب عليه ان يتبع موازين العقل والصدق والواقع لا الظاهرة السائدة عمل غيره بذلك ام لم يعمل لان الواجبات العينية منجزة على المكلف سواء اطاعها غيره ام لم يطعها ولأن الانسان خلق لتربية الفضيلة لا لأشاعة الرذيلة .

(٢) ان الكون يشهد على نفسه انه محاط بمصرف غيبي وكل ما فيه من الكوائن ومهما عظمت قدرته فانه آفل زائل فالشمس على عظمتها فى افراد الطبيعة تكسف ورئيس اهم الجماهير يطاح به وقس على ذلك ما لا يحصيه حساب ولا عدد .

(٣) ان الانسان بعد أن يشخص منطقة الحق لا يجوز له ان ينخذل عنها لكثرة المخالفين فان انهزامه عن مناصرة ما يعتقد به انهزام عن كل ما يوجب له السعادة والانهزام عن سعادته انهزام عن كيان نفسه وحيثية شخصه .

(٤) من لازم الاختبار الأختيار لا التسخير ومتى حصل التسخير لم يبق موضع ولا موضوع للتكليف ولا ثواب ولا عقاب فلا نقص فى قدرة الله اذا حصلت معصية من المكلف او صدر منه جرم بل هذا الأفراج له لأجل ان ييدى ما فى قرارة نفسه من حسن وسوء .

(٥) معنى الرسالة الهداية والأرشاد واراتة الطريق وتذكير الناسى والفات نظر الغافل وتعليم الجاهل وتحريك الصور الذهنية فى المخاطب وبعد أن تحصل هذه المعانى لا يكون النبى حافظاً للناس بزور القهر ان لا قهر عنده ولا قدرة له يسخر بها .

(٦) النبى هو من بينا هويته فى الأمر الخامس فليس بوكيل عن العباد بحيث يتحمل مسؤوليتهم او أن محكمة العدل تتحاكم معه كما تتحاكم مع الوكيل المدافع فالله تعالى يريد ان يبين لنبيه انه لا يجوز

لك ان تلقى بنفسك فى المشاق حذرا من مؤاخذة الله لك فأن الله لا  
يؤاخذك الا على وظيفتك ولا يؤاخذك على وظائف الأغير .

\* ( ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله

عدوا بغير علم كذ لك زينا لكل امه عملهم ثم السى

ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ) \*

علم الله المؤمنين به طريقة اخلاقية لم يكونوا مسبوقين بها لجهلهم  
قبل الألتحاق بركبه والأنصاف الى افراد حزبه فقال ان من طرائق  
الأقوام الفاشلين المبادرة الى السب والشتم لطرفهم متى خالفهم فى  
رأى او انحاز عنهم فى عقيدة او عمل وانتم لما مشيتم مع المشركين فى  
هذا المسير فأخذتم تسبون الأصنام ووجهتم منهم بنظير عملكم وهو سبهم  
لله تعالى مقابلة بالمثل فى حال انهم لو توجهوا لما فعلوا ذلك لانهم  
لا ينكرون الله بالمرّة الواحدة بل يعترفون به وبالانداد جميعا بخلافكم  
انتم ولذ لك هان عليكم سب الاوثان ، واما قوله كذ لك زينا لكل امه عملهم  
فمعناه اننا خلقنا المكلف خلقة جعلناه معها يهوى جانب المعاصى  
التي ننهاء عنها لأننا ان لم نفعل ذلك لا يعرف مدى طاعته من معصيته  
فأن الطاعة والمعصية يجب ان تقترنا بما تكون الأولى فيها نوع ثقل على  
النفس والثانية فيها نوع مرغوبة لها حتى يبدو من الانسان نشاطه  
أمامهما بفعل الطاعة الثقيلة والأنصاف عن المعصية المرغوبة فيستفيد  
من جرّاء ذلك ثوابا بجدارة أباؤها من نفسه وبالعكس .

و فى نهاية المطاف نقول عقول البشرية وتشعشعات آرائها غير  
محدودة بحدّ وقد يكون فيما بين اطرافها من البعد الشاسع ما يبيهت  
له الأنسان مثلا كم من فرق بين عقيدة العرفاء فى هذا الوجود وعقيدة



الطبيعيين فيه فان العرفاء لا يرون وجوداً حقيقياً الا لله وان كافة ما في الأعيان ظلّ لوجود الله وانعكاس لانواع قدراته فان كل لون من ألوان الوجود انعكاس لنوع قدرة اما الطبيعيون فانهم لا يرون الوجود الا للطبيعة فقط واما الله فمفهوم خيالي لا اثر له عندهم فانظر كم من فجوة بين هاتين العقيدتين وان كان كل من الفريقين غالطاً .

اما الطبيعي فان الطبيعة تشهد من نفسها على نفسها انها آلة قد تصرفت بها عوامل آخر خارج الطبيعة فان الشيء لا ينفعل عن نفسه واذا كان المغزل وهو آلة بسيطة لا يدور الا بما يدبره فأجد ر بكرة الارض ان لا تدور الا بما يدبرها ، واما العارف فغلطه يعلم بأن هذه الكوائن بعد أن استحصلت الوجود صارت متأصلة فيه متحققة لا خيالية وان كان وجودها مسبقاً بالعدم .

ونظير اختلاف الآراء بين العارف والطبيعي اختلافها في على بين العالي والناصب فأنا العالي لما وقف على هذه الذات الجامعة لشرائف الصفات المفقودة في سائر افراد البشرية فلا فقال ان علياً ليس ببشر ان ليس له نظير في البشرية والناصب لما حاك له رؤسائه من المثالب في على وكان اقوى عواملها الحسد الماض حسبه وجوداً شراً ومن اهم عوامل الشر وكلا الطرفين مخطئان اما العالي فالبشر ومهما بلغ في كماله فإنه لا يعدو أن يكون بشراً ولا يخرج عن حدود البشرية واما الناصب فهو انسان ساقط جاهل والساقط الجاهل لا قيمة لرأيه ان لا قيمة لمن يناهض قد يسي البشرية .

ونظير اختلاف الآراء بين الجدد المائلين الى الألفاد والقدامى المائلين الى التوحيد واخلاقه وقد عرفت مدرك الطبيعيين وأنه وهم واضاف عليه هؤلاء سحقهم لمقدسات الملل والأديان وأن ليس الإنسان

الآ كحيوان وفرقه عن الحيوانات الهاملة انه يعيش تحت نظام ولكنه فى الحقيقة نظام قشرى لا يشف عن لب ورائه ، أما المائلون الى التوحيد لما اعتقدوا بوجود الصانع وصدق الأنبياء وصحة بعثتهم تعبدوا بجميع ما جاؤا به فكان نظامهم الذى يعيشون عليه نظاما جذريا له ارتباط بروح الإنسان ومع كل هذه الفوارق العظيمة بين الفرق المذكورة منع سبحانه من التناز بينها بالألقاب والسباب واعتبر السباب حربا جاهل لاعاقل .

\* ( وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية  
ليؤمننّ بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم  
أنها اذا جاءت لا يؤمنون : ونقلب افئدتهم  
وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى  
طغيانهم يعمهون ) \*

ضمير الجماعة فى أقسموا يرجع للمشركين ومفاد الآية ان النبى بعد .  
أن دعاهم مكررا الى الأجابة لدين الأسلام قالوا نحن نجيبك ونقسم لك  
جادين فى الوفاء بأيماننا لئن جئتنا بآية كما نريد لنؤمننّ بها ونتيجة  
ايماننا بها ايماننا بك فأجبهم يا محمد اننى لا املك من نفسى اقل  
الاشياء فضلا عن اكثرها واكبرها واطورها وانما ذلك لله وهو تعالى قد  
لا يرى من المصلحة اجابتكم الى ما تريدون بدافع ميولكم وانما يجيبكم لما  
تجيزه المصالح وكأنّ المؤمنين بالله كانوا شديدى العلاقة بأنجاح الله  
مقاصد المشركين حتى يأمنوا بوائقهم ومضايقاتهم لهم بانسلاكمهم فى  
سلك المؤمنين فخطبهم الله بقوله وما يشعركم أيها المؤمنون ان الآية  
المطلوبة لهم حتى اذا جاءت اليهم وتحققت لديهم لا يؤمنون لان  
الأيمان بالمبادئ الحية المقدسة الصحيحة لا يرتبط بالآيات الآ

ارتباط تأييد وتأكيد للداعى بها والآ فان الاساس المحكم لها تسديد المنطق واشادة العقول بها وذلك حاصل على كل حال لكل من يستجلى برامج الاسلام ونظمه وهؤلاء القوم كما لم يعيروا نظم الاسلام اقل التفات من بدء دعوة النبى لهم كذلك لو جاءتهم الآيه التى يطلبون لا يعيرونها التفاتا ويتعللون بمعاذير أخرى عاطفية لا ربط لها بالعلم والحقيقة .  
 وهم لما برزوا بهذه الظاهرة من الجفاء للواقع والتعلل بالمعاذير سقط وجوب حقهم علينا فنحن نتركهم لأنفسهم وما انفسهم الا تلك الأنفس العمياء عن مناهج الصواب المبصرة لزيارح الأمور وهذا هو معنى قوله ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ، وأما قوله ونقلب افئدتهم وأبصارهم فيعتبر كالجملّة الاعتراضية بين المشبه والمشبه به وهما قوله وما يشعرم أنّها اذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة ومعناها أنّها على طول الخط نلفت قلوبهم وابصارهم الى مواقع الحق ونكشف امامها صفحات من موجبات الاعتبار الا انهم ويا للأسف لم يزنوا ذلك بميزان يثمر لهم اقل شىء .

وكان حقّ السياق ان يقال وما يشعرم أنّها اذا جاءت يؤمنون بالاثبات الا انه عبّر بالنفى ابرازا للواقع لا مشيا مع السياق والعمه هو التردد فى الحيرة والعمى عن درك الشىء .

وبالخلاصة تفيد الآيه ان الانسان اذا أحدّ النظر للحقيقة مع بعدها عن ملابسته وما يعتوره فعلا من اى اقتران واحتفاف يكتنfan به ادركها وهويها من كل قلبه اذا كانت فاضلة كعامّة محاسن الأخلاق من صدق وصفاء ورفق واباء وما الى ذلك ويعتبر ان الالتصاق بها والانتساب لها وظيفة كل عاقل فلا يجوز للعاقل ان يكذب كما لا يجوز للعاقل ان يظهر ما ليس له وجود فى باطنه تختلا وتدليسا وكذلك لا يجوز له أن

يكون صعبا غليظا فظا جافيا امام الضعفاء المعوزين من القوة كما لا يجوز له ان يخضع للذل والهوان يراد ان به وتراه ينظر نظرا عاديا الى ابي ذر في صدقه و الى عمار في صفائه و الى علي في رفقته و الى الحسين في اربائه .

وتراه يمجّ ويلفظ الحقيقة اذا كانت سافلة كالكذب والتختل والغلظة والفضاضة والخضوع للذلة هذا كله مع عرائه عن الاقترانات والملابسات ، اما هو هذا اذا وجد الصدق منافرا مع مصلحته والكذب منسجما معها ووجد الصفاء نابيا عن ميله الفعلي لدواعي اقترنت به ورأى الرفق حاطا من شموخه وتعاليه وحبّه للهيمنة ووجد ابائه مطيحا بماله او مكذرا عليه عيشه تراه في الفور يتجاهل بالحقيقة التي ادركها ووجد الاعتناق لها والانتساب اليها شيئا بسيطا بل تعود من ابغض الاشياء اليه وتتحبب اليه الرذيلة فيلابسها من دون تأمل فأذا به الكذاب المتختل المتكبر الخاضع الخانع وهناك يكبر في عينه ابو ذر اكثر واكثر لتقد يمه الصدق حتى في المواطن الحساسة وعمار لتطلعه بالصراحة في الاماكن المحرجة وعلى لنسيانه مقامه في محال التكبر والتزمت والحسين لبذله نفسه ونفيسه واعزائه في مقامات الأباء والاعتزاز بالنفس وبمثل هذه الحالة كان المشركون يدركون حقائق الاسلام اذا شرحت لهم وانزوى غيرها عن اعينهم فيبارزون الحقيقة انتصارا للأباطيل المنحطة ومثل هؤلاء لا أثر لأيمانهم حتى لو صدرت في حينها من صميم انفسهم لانهم يعودون يتجاهلون بها حين تعترض ميولهم وملابسات اوقاتهم امامها فكن انت يا نبي الاسلام وجماعتك المخلصون من المسلمين في راحة من التلهف على استجابتنا لهم ما يريدونه من تنويع الآيات المطلوبة لهم المرغوبة لديهم فأن استجابتنا لهم عقيدة عن الأثر لانهم اناس ساقطون في

المواطن الصادقة طفّارون عن الحقيقة في المضايقات .

\* ( ولو أنّنا نزلنا اليهم الملائكة وكلّمهم الموتى

وحشرنا عليهم كل شيء قُبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلاّ

أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون ) \*

سقت هذه الآية كتأكيد لواقع ما أفيد بالآية السابقة من قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون يعنى انكم ايها المؤمنون حريصون على تحقق الاستجابة منّا لكل ما يطلبه هؤلاء المشركون الراصدون لأنّ يتّكم وانتم لا تعلمون ان هؤلاء ليسوا بصدد تحرّى الواقع حتى نعينهم عليه وانما مقصد هم اثاره الغبرة واطالة الوقت على الداعى وايجاد العواثر فى طريقه فلو أنّنا نزلنا عليهم الملائكة يقابلونهم وجهها لوجه ويؤيدون داعية الأسلام او اخرجنا لهم موتاهم احياء يرونهم بأحد اتهم كيف يقومون ويقعدون ويجيئون ويذهبون وجمعنا لهم فى مجمع واحد كلّما يريدون ما كانوا ليؤمنوا بما يراد منهم من فعل الواجب وترك الحرام والاعتقاد بما لم يألفوا العقيدة به او انهم يعتقدون بخلافه إلا ان يقسرهم الله على الاعتقاد به كرها والقسرفى العقيدة ينافى عالم التكليف المنوط بالاختيار، وقوله ولكن اكثرهم يجهلون يفيد ان اكثر اعداد هؤلاء المشركين لا يعرفون معنى السؤال حتى يجابوا الى ما سألوا نعم يوجد فيهم الملتفت ولكن مصالح حياته يراها غير ملتزمة مع تحرّى الواقع واتباع الحقائق ولذلك هو يترفع عن الواقع انسجاماً مع المعيشة الدارجة له .

\* ( وكذ لك جعلنا لكل نبىّ عدوّاً شياطين الأنس  
والجنّ يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول  
غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون :  
ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة  
وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون ) \*

صغى يصغو ثلاثى وأصغى يصغى رباعى بمعنى واحد وهو اعارة  
السمع، فى هذه الآية تسلية لنبىّ الأسلام بأن الراصدىن لأذ يتك من  
الانس والجن لهم سلف مع الانبياء قبلك بل وكل طاهر الذيل يبتلى  
باولئك الانتهازيين الذين يقتنصون الفرص بكل لون ويشيرون الغبرة  
فى وجه كل سالم حتى يفتضحوا امام جماهير الناس .

أما الانس فقد كان يحسّ النبىّ بأذ يتهم له وأما الجن فان الله  
يخبره عنهم او انهم يتجلون له احيانا مؤذىن ، ويسأل فيقال ما معنى  
جعل الله لكل نبىّ عدوّاً وهل ذلك الا شلّ لحركة النبوة التى يريد الله  
تحقيقها واصولا ما معنى ان يجعل الله لعبده المؤمن عدوّاً بل ما معنى  
ان يوجد العداوة فى قلب اى مكلف فان ذلك ينافى كافة معانى  
العدل .

والجواب ان الله سبحانه جعل المخلوقات كلّها وخلقها وجعل  
فيها غرائز الانحراف وأقدرها على مخالفة هذه الغرائز وموافقها فلما  
اختار جملة من الانس والجنّ مواقع الشيطنة واعمالها صحّ باعتبار اصل  
جعلهم وجعل غرائزهم ان يقال جعل الله الشياطين اعداء للمؤمنين .  
ومفاد الآيتين بهذا الترتيب وكما جعلنا لك اعداء من شياطين  
الانس والجنّ كذ لك جعلنا لكل نبىّ عدوّاً منهم فى حال ان بعض

هؤلاء الشياطين يوحى الى البعض الآخر ويعلمه ان يُطير في المجتمع الأقوال المطلقة لأجل ان يغرّبها اصفياء الناس ويجرّ بطلانها افئدة ضعاف العقائد الذين يهونون من يرقّه عليهم بالأنسلاخ من الزامات الأيمان والعقيدة وليرضوا بهذا الزخرف ويرتضوه لأنفسهم ولينشطهم ذلك على اقتراف المعاصي بعنوان انه لا دين ولا بعث ولا جزاء ومع عدم ذلك لا معنى للمعصية فان المعاصي انما يتكوّن لها جانب وتكون لها حلقة حيث يكون هناك دين يحلّ ويحرّم ويأمر وينهى فيكون المؤتمر المنتهى مطيعا والمنسلخ عن ذلك عاصيا ، وانتصب شياطين الانس والجنّ على انه مفعول ثانى وعدوّ مفعول اول كما انتصب غرورا على انه مفعول لأجله ومدخولات لام التعليل الثلاثة وهى قوله لتصغى وليرضوه وليقتروا معطوفات على غرورا وكلّها تفيد اىحاء بعضهم الى بعض زخرف القول .

\* ( أفغير اللّٰه ابتغى حكما وهو الذى انزل اليكم  
الكتاب مفضلا والذين آتينا هم الكتاب يعلمون  
أنه منزل من ربك بالحقّ فلا تكوننّ من الممتريين :  
وتمتّ كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدّل لكلماته  
وهو السميع العليم ) \*

الحكم هو الذى تترضى حكومته من المتخاصمين لتأكد الثقة به  
وضمير ابتغى هو للنبيّ وانما قال هذا القول للمشركين المعاصرين  
بعد ما يؤس من محاجّتهم بالمنطق فقال الحكم بينى وبينكم هو اللّٰه فى  
اثمار مساعىّ او ابقائها عقيمة وهذا اللّٰه الذى احاكمكم اليه انما يريد  
الدين وثمراته لأسعادكم وهو الذى انزل اليكم القرآن مفضّلا فيه بيان  
ما يضرّ وينفع ويسعد ويبئس ويهلك وينجى والذين آتينا هم الكتاب من  
يهود ونصارى قبلك يعلمون ان القرآن منزل من ربّك بالحق وانّه لا  
اصطناع فيه ولا اختلاق فلا تكن انت يانبيّ الاسلام من الشاكين فى  
علمهم بذلك وان اخفوه لمصالح دنياهم .

وتمتّ كلمة ربّك وهو قرآنه المنزل عليك بمعنى انه انهى فيه ما يراد  
لأسعاد البشرية على مدى الاجيال صدقا فى خبر حيث يحكى عن  
الايضاح المنصرمة والأمم البائدة وعدلا فى قضاء وتشريع فأنه فاقد للتحيز  
والانتهاز ولا يستطيع احد ان يبدّل تقاريره واحكامه بحيث تضمحلّ كلمات  
اللّٰه وتحلّ محلّها تقارير هذا المبدّل نعم باستطاعة المبدّل ان يمشى  
حكيمه بالقسر لكن ليس به ان يقتلع حكم اللّٰه من جذوره واللّٰه هو السميع  
لاقوال عباده العليم بمنوياتهم .



\* ( وان تطع اكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل

الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون

: ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم

بالمهتدين ) \*

اوجب الله على نبيه وبلحن الخطاب على كل احد ان يتحرى  
الواقع وما تؤدى اليه الحجة ويدعو اليه الدليل وان لا يغتر بكثرة الدوى  
واهلكه فان الاكثرية تتشكل من عناصر شتى يجمعها الانحراف عن الواقع  
اما من طريق الجهل به وهى طبقات العوام او من طريق التحيز الى  
غيره وهم مرموزوا البشرية الذين يحاولون تأمين مصالحهم من اى وجه  
تهيأ لهم فقال تعالى وان تطع فى مجاريك الحيوية اكثر من فى الأرض  
يضلوك عن سبيل الله وهو الواقع لان جملة من هؤلاء الاكثرية لا يتبعون  
الا ظنونهم واوهامهم وهم طبقة الجهلة والعوام والجملة الثانية يدركون  
الواقع الا انهم يرونه ضداً لمصالحهم .

وقوله وان هم الا يخرصون عبارة اخرى عن الظن بمعنى ان الظن  
انما سقط عن درجة الاعتبار لانه تخرص وتخمين ولا حكاية له عن الواقع ،  
اذاً فمرجع اتباعك يجب ان يكون هو الله الذى هو اعلم من كل احد  
بمن يضل عن سبيله لان الله يعلم الظواهر والبواطن واما غيره فعلمه  
مختص بالظواهر كما انه تعالى اعلم من كل احد بالمهتدين الى  
سبيله .

وقوله هو اعلم من يضل لا تجوز فيه الأضافة لفساد المعنى معها  
فيلزم اما ان نعتبر من استفهامية نظير لنعلم اى الحزبين احصى فتكون  
مبتدأ ويضل عن سبيله خبر واما بتقدير باء الجر على ان يكون السبيل

و اعلم بمن يضل عن سبيله .

\* ( فكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين : وما لكم ألا تأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين : و ذروا ظاهر الأثم وباطنه ان الذين يكسبون الأثم سيجزون بما كانوا يقترفون ) \*

كلوا امر ولكنه للأباحة ان ليس اكل المطعومات المباحة بواجب إلا ما توقف عليه حفظ النفس والمراد بما من قوله ممّا هو الحيوان الحلال الأكل بمعنى ان الذى يحلّ لكم من الحيوان الحلال الأكل هو المذكى تذكية شرعية ومن جملة شروطها ذكر اسم الله عند التذكية كأن يقول المذكى باسم الله ، ان كنتم بآياته مؤمنين يعنى ان الأيمان بالمشرع هو الذى يلزم بهذه الأمور وليس معنى هذه الشرطية ان من لم يؤمن بالله فانه غير ملزم بها بل معناها ان المؤمن بالله هو الذى تلزمه هذه التشريعات نظرا الى توجهه اليها أمّا غير المؤمن فانه لا يرى أمامه حاجزا بالنسبة الى كافة الأمور .

وما لكم ألا تأكلوا استفهام على سبيل التوبيخ بمعنى اى شئ ثبت لكم فى عدم الأكل ممّا ذكر اسم الله عليه ، ويسأل فيقال من المخاطب بذلك ومن كان الممتنع من اكل ما ذكر اسم الله عليه فيجاب ان ذلك يحتمل وجهين ( احد هما ) انهم اهل الكتاب او عموم من لا يأكل ذبائح المسلمين عنادا وانحيازا فعابهم الله تعالى بأنهم قد يأكلون الميتات

فكيف يأبون اكل الذبيحة الجامعة لشرائطها ( ثانيهما ) ان المخاطب بذلك هم المسلمون البعيدون عن احكام الشريعة حيث كانوا يتخرجون عن جملة من الاشياء لزعيمهم انهم لم يتصل بهم شىء عن الله فيها فويخوا على ذلك بأن حكم الله قد جاء فى الذبائح وبيّن المحلل منها من المحرم وان ما ذكر اسم الله عليه حلال لا مانع منه وقد فصل لكم توسط الرسول ما حرم عليكم فى وقت الاختيار الا ما اضطرتم اليه فانه فى وقت الضرورة يجوز تناول ما تندفع به الضرورة .

ثم اعرب سبحانه عن المخربين سواء كانوا من اهل الكتاب ام من المشركين ام من طغمة المسلمين الذين لا يتحاشون القول بأرائهم فقال وان كثيرا من المعتزّين بأنفسهم ليضلّون البسطاء من طريق افتائهم بأهوائهم من دون أن يكون لهم علم بأحكام ما افتوا به وان ربك ليعرف هؤلاء المعتدين الخارجين عن حدود ما لديهم من علم ان كان عندهم من ذلك شىء ، ثم أمر سبحانه المكلفين بأن يتجافوا عن الأثم ظاهرا وباطنا فى السر والعلن فان الخطيئة خطيئة أعلنت ام أخفيت وان كان اعلانها اكثر جرما من اسرارها لأن فى الأعلان تحديا للشريعة والتحدّى لله جرم فى نفسه .

و فى خلاصة الآيه يقال :

الأثم والجرم والذنب والمعصية والخطيئة والانحراف كلها بمعنى واحد وهو مجانية ما يصلح ومقاربة ما يفسد ومآل الصلاح والفساد الى الحياة البشرية الفردية والاجتماعية وان كان مرجعها الى الحياة الاجتماعية اكثر من مرجعها الى الحياة الفردية واصولا الحياة الفردية لا قيمة لها امام الحياة الاجتماعية ولذلك ترى الدنيا على طول الأجيال تقعد وتقوم على حساب الاجتماع والهيئات الجماعية .

والذى يصلح المجتمع هو العدل الشامل الذى يستحيل ان يدركه فرد بخصوصه الا اذا كان بعيدا عن ميوله قريبا من ادنى مراتب الأوساط فضلا عن ممارسته لأوسطها و اعلاها صحيح الحاسة مرتاضا اتم ارتياض فى عقله و شعوره بعيدا عن الاعتزاز بنفسه محتاطا فى كل اعماله .

(١) فاذا كان قريبا من ميله افسد كل ما ليس على ميله وقد يكون ميل الانسان جنفا و الحق على طرف مناقض له و لازم ذلك خنقه للحق و امامته له و نظير ذلك فى العادات انه قد يكون رب البيت يشتهى غداء يميته عياله فاذا اجبرهم على ما يشتهى فقد ظلمهم ظلما واضحا .

(٢) و اذا لم يكن قريبا من مراتب الأوساط كلها لم يستطع ان يعرف الا ما هو قريب منه فاذا كان انما يلاحظ طبقة الأعيان افلس من حكومته المتوسطون و فاقدوا الاعتبار وهم الاكثرية من الناس و اذا كان من طبقة العوام النازلين ارخص قيمة الأشراف الواقعيين من الكمل و الافاضل و العلماء و حسب الجميع فى حساب واحد وهو غلط مفتضح و قد شاهدت البشرية كلتا الطريقتين الخاطئتين .

(٣) و اذا لم يكن صحيح الحاسة بأن يكون قد نشأ نشأة فاسدة تركزت عقلياته عليها ولم يعرض فكرته على العقول حتى يقيس ما بين رأيه و رأى غيره فيعدّل من خطأ رأيه كان المستبد المؤذى و كلما اغدّ فى استبداده بعد عن الصواب و قرب من الخطأ حتى يعود بحكم المجانين .

(٤) و اذا لم يكن مرتاضا يعنى متأملا مدققا محققا كثر فى فكره الخطأ كثرته فى الاستبداد برأيه .

(٥) و اذا اعتز بنفسه فقد ارخص غيره و كل الحقوق التى تكون

(٦) و اذا كان غير محتاط كثر منه و فيه الهنات .

هذا كله اذا امكن تصوير مثل هذا الشخص و كان له وجود فى افراد البشرية و حظى بوجوده ، و من باب الصدق لم تحظ البشرية بوجود بشرى من هذا القماش الا فى الانبياء و اوصيائهم و باعتبار ان حكوماتهم فى الزمان محدودة و طريقتهم غير مألوفة للناس لم تكن لحكومتهم جلوة ولا لتعاليمهم سطوة لما اعتاد عليه الناس من عادات سافلة و اخلاق موبوءة .

لذلك لما نضجت عقول البشرية بعد القرون الوسطى و ملّت ارهاق المستبدين و اعنائهم ثاروا فى الغرب و الشرق ثورتهم الشهيرة على تبديل قوانينهم و تحديد خطى حاكميهم بتشكيل مجالس الشيوخ و الانتداب ليكون القانون عصارة سلاسل عقول من عناصر شتى وهويات عديدة تمثل شتات مناطق المملكة و تقف امام طغيان المستبدين و لكن يالأسف لم تطل هذه الفاصلة حتى عاودت الانتكاسات اهلها مرة اخرى بصورة اخزى و ذلك باستشراء الميوعة و التهتك و الاستهتار بين الافراد شيوعا اخرجهم من عالم الانسانية الى عالم الحيوانية و حيث لا يسس المجتمع ظواهر الأثم و بواطنه كرعوا فى مغبة ما اقترفوا و رأوا من دنياهم كل شر و ثبور و انما امر سبحانه بمباعدة ظواهر الذنوب و بواطنها جميعا لان حسن الظاهر مع خبث الباطن لا قيمة له فان الاثر للبواطن وهى التى تسوق صاحبها للمنكرات ان كان خبيثا ولا يجدى معها حسن الظاهر و هكذا سوء الظاهر مع حسن الباطن له انعكاساته السيئة فان الظواهر لا تعدم قيمتها ايضا .



الخاص وهو ما عرفته .

\* ( او من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون : و كذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها و ما يمكرون الا بأنفسهم و ما يشعرون ) \*

قارن الله تعالى بين ايمان المؤمن و كفر الكافر فاعتبر الايمان نورا و الكفر ظلمة و الحق كذلك فان الايمان لما كان معناه التلبس بالروح المشرفة بالفضائل و الاستئناس بسنة الواقع كان من اوضح الأمور ولما كان الكفر هو التجرد للمادية السوداء و الأعراض عن التحلى بشـوارق المعنويات كان اشدّ عمى من الظلمة فمن كان ميتا هو الكافر و احياء الله له تعليمه و تثقيفه و من اهمّ مصاديق ذلك اهل الجاهلية الذين توفقوا لاعتناق الاسلام و التحلى بشرائف اخلاقه كأبى ذر و عمّار و نظير هذين فان بين جيلهما الاسلامى و جيلهما الشركى من الفرق الفرق بين الحياة و الموت و النور و الظلمة ، و النور الذى يمشى به هو العلم الناضج المثمر ، كمن مثله فى الظلمات بمعنى ارتكاسه فيها ، كذلك اى كالصورة التى عاش عليها الكافر الى الآخر كافرا و التى عاش عليها المؤمن بعد أن ادركه الايمان مؤمنا زينّت الالهواء الفاسدة للكافرين اعمالهم القبيحة النكراء ، و كذلك اى و كالدور الذى تعيشه انت يا محمد بين ابى جهل و عمّار و ابى لهب و المقداد جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها اولى نفوذ و جلوة ليعيشوا فيها بالمكر و الخداع و ما يمكر الماكر الا بنفسه لأن المكر بمجرد ان يمشى اول مرة من دهاة الماكرين يتعلّمه

الناس و يتد اولونه فاذا تد اولوه اعملوا مكرهم مع مكر بهم اما تشفيا منه و اما لان الجرى الحيوى يقتضى منهم ذلك لكن هذا الشعور مفقود لديهم فى بادء امرهم و حينما يسنون هذه السنة كأنه يخيل اليهم ان الناس الى الأبد يبقون اغبياء و انهم يتصرفون بهم كيف يشاؤون فى حال ان الأمر ليس كذلك كما افدناك وقد اعلماك سابقا ان معنى الجعل هنا و فى كل مقام من نظيره ليس هو خلق الله بالقسر والتكوين لهؤلاء المجرمين المشار اليهم كما يخلق العقرب لداعة نعم اصل الخلق لمادتهم موجود بنحو لا بشرطى كخلق غيرهم كما ان الميوسول والغرائز مخلوقة فيهم لكن بنحو لا اقتضائى باستطاعتهم مقاومتها مثل ما فعل الأخيار كما بمقدورهم مماشاتها و مجاراتها نظير ما فعل الأشرار و من هذا الطريق نسب الجعل الى الله سبحانه .

و بالخاصة تفيد الآيه ان الموت موتان و الحياة حياتان و النور نوران و الظلمة ظلمتان و كل قسم من هذه الاقسام الاربعة له اهل ربما يختصون بمعرفته و التجاهل بما سواه .

(١) اما الموت المعروف بين الغناء الأحوى من الناس فهو بطلان

اجهزة الانسان من العمل بركود الدم و سكون القلب وهو عظيم الوقع عندهم حتى ان اقل مقدمة تلوج به تبكى اعينهم و تفزعهم و هذا الخوف العظيم الذى يحملونه منه هو الذى يضرعهم لقوة المنتهز ولو بالأرغاب المجرد لكن احرار بنى الانسان وهم الذين يزنون كيانهم بما ينبغى ان يوزن به ربما يتهافتون على المنية بينهم اعلاء لوزنهم و كيانهم و ارخاصا للحوهم و دمائمهم كما قيل :

يتهافتون على المنية بينهم فكأتما هى غادة معطار

(٢) و اما الموت الذى يتجاهل به ذلك الغناء الذى تحد ثنا عنه



فهو موت الضمير و الشعور و الروح الخلاق فان اكثرية بنى آدم ولو كانوا يعرفون للضمير معنى و للشعور الحى مفهوماً و للروح الخلاق قيمة لما اصابهم من هذا الأسف الذى اقامهم و اقعدهم و التمج الذى صرّفهم معه كما يصرف الموج قشور التبن المتطايرة و الأوراق المتناثرة فان هذه الاسفافات السائدة فى الخافقين ممّا قام بتطيرها اول الأمر مشعون له اتباع معدودون و انما يمشيها مغدّة فى الناس ما يتوهمونه من خطر التخلف .

(٣) و اما الحياة المعروفة بين الغنّاء فهى حياة الحيوان بصورة انزل تلك الحياة الطالعة بالأكل و الشرب و اللباس و المكنّ و الجنسيات الى ابعد حدّ فى النهمّة و اقصى درجة فى التكالب و اخزى فى التهلك و اضرى فى الحيونة هذه الحياة التى لا تعرف قيمة لمنطق و لا مفهومها لشعور انساني .

(٤) و اما الحياة التى الوى عنها كشحا هذا الغنّاء الذى نتحدث عنه بالفعل فهى الحياة المشرقة القائمة على اصول و انظمة عقلائية تلك الأصول الحافلة بالعدالة الرامية الى اطلاع الأنسان بأبهى صورة المرادة له المتكافئة مع قيمه بما هو انسان لا حيوان .

(٥) و اما النور الذى يتغنى به هذا الغنّاء فهو نور الكهرباء و انطوى على ظلم و تلبس باستئثار و حصلت فيه تبعيضات خانقة و اتخذ وسيلة للتدمير و الأمّاتة .

(٦) اما النور الذى تجاهلوا به فهو نور الحقيقة و العدالة الاجتماعية و نور العلم و الفضيلة و نور الكمال و الحرية .

(٧) و اما الظلمة التى افوها فهى ظلمة الليل الفاقدة للنور التى ينتهزها اللصوص و الشحاذون مطية لهم و تتخذها الحيوانات الضاربة

قنطرة للافتراس و الانتشار فى الأرض ويتألم هذا الغناء منها اذية  
و يقول قائلهم :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح .....

(٨) لكنهم نسوا او لم يدركوا ان الظلمة القاتمة و فقدان النور  
المالحق قائمان بظلام الجهل الذى يكثّر من انتاج اللصوص و قاطعى  
الطريق و الانتهازيين المخربين الذين لا يألون جهدا فى اطاحة  
المعتدلين و تشييد الفسقة الفسدة المفككين لعرى المجتمعات  
المدمرين للشعوب و حيثياتهم و السالبين لحقوقهم الموجهين لأوضاعهم  
بالمؤذى لا بالمفرّح فهو تعالى يريد بقوله أفمن كان ميّت الروح والعقل  
و الشعور المنغمر بالسيئات المملوء بالهفات ثم الفتنا نظره و وجهناه  
توجيها حسنا فعدل عن جميع ما كان يتخذه من خطط معوجة و توجهه  
الى الخير بدل الشرّ و الى الفضيلة بدل الرذيلة و جعلنا النور الذى  
يمشى به هو نور الهداية لانور الشعل القهارة بظاهاها المعتمنة  
بنتائجها و بذلك النور يطفح للابصار و الأنظار، أمثل هذا الانسان  
مثله كمثل من يمشى فى ظلمات المخازى ليس بخارج منها طبعاً  
لا مقايسة بينهما .

\* ( و اذا جائتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى  
مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل  
رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله  
وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ) \*

ضمير الجمع الغائب يعود الى اكابر المجرمين الذين سبق ذكرهم  
و تعطى الآية نوعا من تمردهم وهوانهم اذا أوتوا معجزة تدل على  
صدق رسول الله استنكفوا عن قبولها وقالوا لانؤمن حتى نؤتى مثل ما  
اوتى رسل الله كموسى وعيسى فردّ عليهم سبحانه بردّ منطقي وهوان  
الموضوع الصالح لأناطة الرسالة به لا يشخصه الا الله سبحانه لأنه  
العالم الحقيقي بالموضوع وما يناط به ، نعم لا بدّ من كشف ذلك للناس  
وقد فعل سبحانه مع كافة انبيائه ما أدّيت به الوظيفة اللازمة امّا  
التشهي وقول الجزاف من المكلفين فلا وزن له و ليس على الله اجابته .  
ثم ان الله سبحانه تهدّد هوءلاء الأكاير بألباسهم الصغار والذلة  
والعذاب الشديد بسبب مكرهم و خداعهم امام نفوذ دين الاسلام  
و تمشيّه و قد عاين القوم من الصغار و الذلة فى الدنيا قبل الآخرة كما  
هو ثبت فى تاريخ الاسلام .

\* ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام  
 و من يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً  
 كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله  
 الرجس على الذين لا يؤمنون ) \*

ثم ابان سبحانه فى هذه الآية ان الايمان وعدمه لا يتولد من  
 اقامة المعاجز وعدمها و انما يتولد من طريق التوجه الى استشفاف  
 الحق و استنارة الواقع و دقة النظر فيما يريد ه الداعية و يبرهن عليه وعدم  
 هذا التوجه فالذى يستشف الحقيقة فيجدها يؤمن بالداعية لأقل مؤيد  
 يتفتح امامه و الذى يعرض عن هذه النقطة فلا يكون بصددها فلواقيمت  
 الدنيا كلها معاجز له لم تحوّل من جوانب قلبه شيئاً لانه ليس بصدد  
 ذلك و هذا مطلب مجرب مشهود لا امترأ فيه اذا فمعنى ارادة الله  
 هداية من يريد هدايته و اعانته لطالب الهداية و فتح الدروب امامه  
 بما ينشرح بذلك صدره فيكون رحيباً فى الصدد الذى هو فيه كما ان  
 معنى ارادته اضلال من يريد اضلاله قطع الطافه عن المعرضين عنه  
 الجافين له الذين لا يدور ذكره ببال لهم ، و الذى يعرض الله عنه  
 و يكله الى المجرى الطبيعية يجد ثقلاً باهضاً من مجارى الطبيعة كلما  
 امعن فيها و يجد صدره ضيقاً من الحراجات التى تواجهه حيث لا يرى  
 لها فاتحاً و منها مخلصاً ، و قوله كأنما يصعد فى السماء مثل لضيق  
 الصدر فان الذى يضيق صدره يجد ان الفضاء الذى هو فيه لا يسعه  
 و لا يقوم ببلغته فتراه يرفع صدره و رأسه الى فوق لعلّما يجد خفة  
 وراحة ممّا هو فيه و مع ذلك لا يجدها الاّ بمحض التخيل ، كذلك اى  
 بالصورة التى اوما اليها تعالى يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون

بالمبادء الصحيحة دنيا و آخرة أما فى الدنيا فلا نقطاع لهم من كل شئ لان المادى لا أمل له بشئ الا بما تسوقه الصدفة له والصدفة لا محدد لها ولا مقياس و اليأس عذاب عظيم و أما فى الآخرة فالله هو الذى توعدّ به وهو اعلم بما توعدّ .

\* ( وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات

لقوم يذكرون : لهم دار السلام عند ربهم وهو

وليهم بما كانوا يعملون ) \*

هذا : اشارة الى ما اقام الله عليه الحجج و البراهين من صدق الأسلام و القرآن و قيامهما بسعادة الأنسان فى نشأته ، صراط ربك الذى عينه مسيراً لعباده يسلكونه واضحاً الى السعادة بما تلوناه من البيانات الشافية قد فصلنا الآيات لقوم يعيرونها بالاً و سماعاً هؤلاء المتذكرون لهم فى الآخرة دار سلام آمنة مطمئنة و الله هو الذى يتولى شؤونهم بسبب اعمالهم الصحيحة الخالصة و لو ان البشرية فى الدنيا استنتت على هذا الدرب و اتخذت هذه الطريقة لكانت فى دار سلام ايضاً ولما وقعت فى هذه التموجات العارمة صباح مساء لا تعرف مصيرها كما لا تعرف الدرب الذى تسير عليه لسعادتها .

\* ( و يوم يحشرهم جميعا يامعشر الجنّ قد استكثرتم من الأنس وقال اولياؤهم من الانس ربّنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلّتنا لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الآ ما شاء الله ان ربّك حكيم عليم : و كذلك نوّلى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ) \*

انتصب يوم على الظرفية لعامل مقدّر يقتضيه سياق الكلام وهو — يقول — يوم يحشرهم اى المكلفين سواء أكانوا جنّا ام انسا ام غيرهما و يقيمهم للحساب يامعشر الجنّ و الجنّ فى لغة الشرائع السماوية مخلوق عاقل مكلف فيهم المؤمن وغيره كالانس قد استكثرتم من اغواء الأنس و اضلالهم و قال محبوا الجنّ من الأنس ربّنا لقد استفاد الغاوى منا و من قام بأغوائه استفادات متقابلة و انهينا اعمارنا و نحن الآن بين يدك محشورون للحساب و الجزاء فيقول الله النار مثواكم جميعا الفاعل و القابل خالدين فيها الآ ان يشاء التخفيف عنكم فان الحقّ حقّه ان الله حكيم فى كل ما يفعل عليم بأعمال مخلوقاته ، هذا ظاهر فقرات هذه الآية .

و لكن يسأل فيقال ان معاشر الأنس حتى المعترف منهم بوجود الجنّ لا ترى من انفسها اتصالاً بالجن و لا آية علقه بينهما ولا تدرك انها عندما تفعل المعاصى بأيعاء من الجن و اغواء ولا تعرف الجنّ الآ سماعا من الناطقين باسمائهم فكيف تواليهم و تتعلق بهم تعلّق الموالى بمن يواليه و كيف تستمتع بالجنّ او ان الجنّ يستمتع بهم فمفاد الآية لا محقق له بحسب الظاهر لان وجدانات الناس تنبوعه و تنفيه

و تستنكره .

و أما الجواب فيجب ان يكون بتصريف بلفظ الجن و ان يراد به معناه اللغوى وهو الوجود المتستر مأخوذاً من قوله فلما جنّ عليه الليل اى ستره لا ما يسبق الى اذهان المتشرعة وهى الوجودات الخاصة التى علمها الجنس لفظ ( جنّ ) فى قبال ( انس ) و يراد من هـ هذه الوجودات المتسترة افراد البشرية التى تدبّ من خفاء لأضلال الأصفياء و البسطاء من الناس و اولئك هم الدجالون الذين يتسترون بالظواهر المحبّة للخير و لفعله و يتسربون من هذه المنافذ الى تحقيق ما يريدونه من اغواء و تضليل .

و من المكشوف فى عامة الأدوار ان الاداة التى استعملت فى هتك الناس و ازالتهم عن مستوى فطريهم و عقولهم و مآقنوه من الانبياء و المثاليين من عظات ناجعة و وصايا نافعة هى تسرب الساقطين الى البسطاء الجهلاء بالعناوين المعسولة كالثقافة و التمدنّ و العمران و اشاعة الرخاء و التحررّ و نظير ذلك من الكلمات المطلّاة و ادعاء المساواة و العدل الشامل و اعطاء الظروف الخالية انواعاً من الزينة و افانين من التطرية و مثل هذه الفخاخ و الشباك لا يفلت منها الا القويّ الحاسّة اليقظ القلب و ما اقله فى المجموعة البشرية فاذا التقت حلقتا البطان من هذه الفخاخ على هوءلاء المساكين فهناك يرى كل احد سوء ما وقع فيه لكن حيث لا تنفعه ندامة او يمكنه تخلص فليس بدعا فى مثل هذه الانتكاسات العقائدية الأخلاقية أن تنهار كافة القيم الانسانية و ان يطوّح الجهل من ناحية و العجز من ناحية ثانية بملايين البشرية فتتساق مع سائقها الى متاهات يعجز عن سبرها الفكر الانسانى كما نراه فى هذه الحياة الفاسدة التى هدّتها الطبيعة من ناحية و الأنسان

الفاسد من ناحية ثانية .

أما تهديدات الطبيعة فأنها انكشفت عن كوامنها بعوامل الصنعة فجاءت المدمرة المهلكة المبيدة للأرواح كما جاءت المفسدة الخالعة المتلفة للقيم فى ظروف قليلة وعندما كانت مخبأة كانت البشرية فى راحة نسبية من ويلاتها واما فساد الانسان فقد تعددت جوانبه بصورة مزعجة بعد ان كانت محدودة ، كان الانسان و كانت جنسياته ولكنها لم تكن بهذه الصورة التى لا جدار لها ولا اطار حتى صارت رقعة الأرض كلها ماخورا على عرض البسيطة بحيث لا سالم فيها ولا عفيف وكان التلصص و كان له اهل و لكن هذا الزمان صير الناس بأسرهم لصوصا ، كان الألحاد و كان الملحدون و لكن بصورة خافته أما اليوم فليس سوى الألحاد الحادّ شىء، كان تسفل و ترهل فى الأخلاق و لكن الأخلاقيين و المثاليين كانوا فى جبهة الدهر غررا للمجتمع أما اليوم فليس للاخلاق و المثالية مفهوم فضلا عن وجود المصاديق و اذا تركزت القضايا على هذا اللون فويل للحياة و للأحياء و لكل شىء .

إذا فمثل هذه الوجودات التى اسلفنا الحديث عنها يصح ان يقال فيها قد استكثرتم من اغواء الأنس و ان يقول يوم القيامة اولياؤهم المغرورون بهم فى الدنيا من الانس ربنا لقد استمتع بعضنا ببعض أما الدجالون فقد نالوا منا رغباتهم و اما نحن فلم نعدم فوائدهم بما تيسرنا منهم ، وكذلك اى وكما ولينا جملة من الانس جملة من الجن نولّى بعض الظالمين بعضا بما كان كلّ من الفريقين يكسب لنفسه من صاحبه و انما يصح ان يعتبر الذى اغواه الجنّ او غيرهم ظالما اذا كان ملتفتا لدجل من يريد اغوائه و يُعلّل اتباعه له بداعى الاستفادة منه حيث لا تحصل هذه الاستفادة بدون المتابعة وهذا هو الكثير فى عالم الأغواء .



\* ( يا معشر الجنّ و الأنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتى و يندرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا و غرتهم الحياة الدنيا و شهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين : ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم و اهلها غافلون : و لكل درجات ممّا عملوا و ما ربك بغافل عمّا يعملون ) \*

هذه الآيات تعطى كيفية المحاسبة من الله لهذه المعاشرو ما ينتج عنها فيقول الله تعالى لتلك الجموع يا معشر الجنّ و الأنس و المعشر مأخوذ من معاشره بعضهم لبعض فى الأماكن و الأوطان لحاجة بعضهم الى بعض فى ذلك ، ألم يأتكم رسل منكم : تفيد هذه الفقرة ان الله ارسل الى كل من فريقى الانس و الجن رسلا منهم فمن الجن رسل اليهم و من الانس كذلك و نحن انما نستطيع ان نفهم الرسل من البشر الى البشر و اما الرسل من الجنّ الى الجنّ فذلك خارج عن عهدتنا لانه ليس ممّا حاولناه او زاولناه وان قبلناه تعبداً : يقصون عليكم : اى يحكون لكم كما يقصّ القاصّ ممّا على غيره ، آياتى ، اى دلائلى و بيناتى التى تقوم بواجب التبليغ ، و يندرونكم ، اى يخوفونكم اذا انحرفتم عن ميزان ما كلّفتم به ، لقاء يومكم هذا ، بين يدي ربكم للحساب و الجزاء ، وقالوا ، اى المعاشر المذكورون فى جواب الاستفهام التقريرى ، شهدنا على انفسنا ، بأتيان الرسل اليانا و قصّهم آياتك علينا و اندارهم ايّانا لقاء هذا اليوم ، و غرتهم الحياة الدنيا ، هذا عدول و التفات عن مساق التكلم الى مساق الغيبة بمعنى ان كلّ ما ذكرته

يا ربنا حق لكننا اغتررنا بالدنيا فلم نحسب للآخرة و العاقبة حسابهما  
الجدى، و شهدوا على انفسهم، يوم القيامة، انهم كانوا كافرين، بالله  
فى الدنيا، ذلك، يعنى ارسال الرسل قاصين لآيات الله و منذرين لقاء  
يوم الآخرة وهو بمنزلة العلة لكون الله لا يهلك قرية بارتكابها للظلم  
و اهلها غافلون عن تكاليفهم بل انما يهلكهم بعد اقامة الحجة عليهم  
، ولكل، من العصاة، درجات مما عملوا و ماركبك بغافل عما يعملون، من  
سوء كما و كيفا .

و نتيجة فى الآيه السابقة تعرض الحديث عن استحواذ الجن  
للأنس و استكثارهم من اغوائهم بالتفصيل الذى درسته اما الآيه  
الحاضرة فأنها تتكفل الأنعاء باللائمة عن حق فى الملوغ مغويا كان ام  
مصيخا للأغواء به و لسان اللائمة هو انه يجوز للمهمل المغفل ان يرد  
اللائمة عليه حين يقع فى فخ الأغفال بأننى جئت الى الحياة ساذجا  
بسيطا ولا هادى لى ولا مسدد لخطاى فلا فرق بينى و ان كنت من نوع  
البشر و بين الوحوش المنتشرة فى بطون الأودية و شعاف الجبال لكن  
لا يجوز للانسان المالك لشعوره المحفوف فى جميع أيامه بمد برين نصحاء  
و مذكرين اوفياء و منذرين معصومين لم يألوا فى حقه نصحا و تبشيرا  
و اندارا تالين عليه امثال هذه الآيات و مخوفين له مغبة كل سوء فان  
للملابسات الحيوية آثارا و ضعية لا تنفك عنها قطعا فالذى يرتكب الزنا  
مثلا و يعرف عنه ذلك تسرى هذه الروح منه الى ذويه قبل سريانها الى  
الأجانب فتصبح بنته زانية و ابنه مثله و قس و هكذا الذى يعتاد شرب  
المسكرات و هكذا الراشى و المرتشى و المستخف بأعراض الناس  
و المستنيم الى الظلم و اذا شاعت هذه المفاسد أو بقت و اذا اوبقت  
انهارت الحياة كلها كما نراه فعلا بأعيننا فى كافة مجامعنا و مع هذا

الأتهيار لا يفيد التوجع .

\* ( وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم

و يستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من

ذرية قوم آخرين : ان ما توعدون لآت وما انتم

بمعجزين : قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى

عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه

لا يفلح الظالمون ) \*

كاف الخطاب فى ربك يجوز ان يكون لكل من يصلح للخطاب فيفيد العموم فلا ينافيه فيما بعد قوله ان يشأ يذهبكم بكاف الجمع و يجوز ان يكون لخاصة نبي الاسلام و يكون الانتقال منه لمعاصريه من الكفار و المشركين بمناسبة انه داع لهم الى التوحيد ، الغنى ، بمعنى انه انما يصّر على جلبكم للتوحيد و التدبير بالشريعة لا لحاجة منه الى ذلك فسيان عنده من اطاع و من عصى و انما ذلك لأسعادكم وهو معنى قوله ذو الرحمة ، اى انه يريد ان يلطف بكم و يرحمكم ، ومن غناه بمزيد اقتداره انه ، ان يشأ يذهبكم ، بالاستئصال و الأباداة العامة ، ويستخلف ، بد لكم من بعدكم ، ما يشاء ، من مخلوق ينتخبه و يختاره ، كما انشأكم انتم ، من ذرية قوم آخرين ، لفعل ذلك ، ان ما توعدون ، من الحشر و الحساب و الجزاء عليه ، لآت وما أنتم ، ومهما ادعيتم لأنفسكم من قوّة و قدرة ، بمعجزين ، لنا عن التصرف فيكم كيفما نريد ، قل ، يا نبيّ الاسلام ، يا قوم ، المعاصرين الذين تاهت بهم نفوسهم ، اعملوا على مكانتكم ، من القدرة المؤقتة التى تجافت بكم عن الطاعة الى المعصية ، انى عامل ، بما يريد به ربى من التبليغ تبشيرا و اندارا ، فسوف تعلمون ، اذا انتقلتم من نشأة

هذه الدنيا الى نشأة اخرى، من تكون له عاقبة الدار، منّا و منكم من يسعد ومن يشقى— لاشكّ ، انه لا يفلح الظالمون، لأنفسهم و لغيرهم فإنّ الظلم مرتعه و خيم و الكافر بالمبادئ الصحيحة من اشدّ الناس ظلماً .

و فى سياق ما اسلفنا عصارته نقول لا شكّ ان الطبيعة هى هى بنفسها و بموادها منذ أن أنشأها! مكوّنها فموادها الأولية قبل ملايين السنين هى بنفسها فى اجدّ عصور الحضارة و انما الحادث فيها خلط بعض العناصر ببعض و توليد ثالث فى خاصيته و صورته فمن هنا يعلم انّ العلم لم يخلق شيئاً و انما اهتدى لاستنباط ما هو موجود مستور كالمجتهد فى الفقهاء فان استنباطه الصحيح ليس بخلاق و انما هو كاشف عمّا هو ثابت فى الواقع و مثله الفيلسوف فان آرائه الصائبة انما استلهمت من الواقع ما ابدت به .

فهذه المواد الكونية التى يمكن استخدامها فى احسن ما يتصور من معانى الحياة و مفاهيمها تهتدّ بلسان حالها كافة البشرية بأنه لا فخر لمن تصرّف بها و اساء فيها التصرف نظير تصرفات هذه العصور التى جعلت المادة آله الفناء الطبيعى بهذه النار التى اخذت فى تشويقها و اعمالها فى اطراف العالم بما يأتى على النفوس ازهاقا و على الامتعة النفيسة اتلافا و على الحرث و النسل افسادا و هكذا جعلتها آله لأفساد الأخلاق حيث صاحبت بعالم الخلق الصحيح صيحات انامته معها الى الأرض و وسمته بالارتجاع الأسود حتى ظنّ الأغرار انّ الصدق ارتجاع و عفة الفرج ارتجاع و التعفف ارتجاع و كل فضيلة ارتجاع .

نعم هذه المادة العامة المنفعة انما تصلح للاستفادة حيث يكون العقل رائدها و قائدها و سائقها و العقل يحرم استعمالها آله نارية

كما يحرم استعمالها في مناوئة الجنبات المعنوية وهذا هو المقصود من قوله وربك الغنى اى ان الطبيعة الثرية بنفسها فى غنى عن التصرف بها مثلاً لا يضر بحال الماء انه من منبعه الى مصبه يذهب هدرا وضياعا بلا سد يقوم امام وجهه و جداول تستقى منه و انما الضرر يتوجه الى من يريد الاستفادة منه لزرع او لاحداث كهرباء او لأدارة طواحين و نظير ذلك .

فالطبيعة غنية فى نفسها كما هى غنية عن الأغيار و انما هى اداة رحمة لمن اراد الاستفادة منها نعم هى هذه الطبيعة ذات الرحمة ان أسى معها التصرف كما مثلنا فتكت و اذهبت و اماتت و افنت و ينشأ من بعد هذا الجيل التالف قوم آخرون ان اسأوا التصرف معها نالهم ما نال سلفهم و ان اصلحوا و اتقوا نعموا و سعدوا ان هذه المواعيد بالخير و الشر لآتية كل على حسب ملاكه و ما القوى من الناس بمعجزتها اصلا فقل يا داعى الإصلاح لعامة البشرية اعملوا على ماتريدون من ميول خاطئة انى عامل بأنذارى و تخويفى و تحذيرى فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار و مما لا شك ان الظالم لا يفلح و لا عاقبة دار له اصلا فاتقوا مواقع الظلم .

\* ( وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والانعام

نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا

فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان

لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون ) \*

ورد فى مفاد هذه الآيّة عدد آثار نكتفى بواحد منها فقد ورد انهم كانوا يزرعون لله زرعاً وللأصنام زرعاً فكان اذا زكا الزرع الذى زرعه لله ولم يترك الزرع الذى زرعه للأصنام جعلوا بعضه للأصنام و صرفوه اليها ويقولون ان الله غنىّ والأصنام احوج وان زكا الزرع الذى جعلوه للأصنام ولم يترك الزرع الذى زرعه لله لم يجعلوا منه شيئاً لله وقالوا هو غنىّ وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للأصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للأصنام انفقوه عليها وقد خطأهم الله فى ذلك وفند حكمهم فيه فقال كما قلت ان الله غنىّ فيجب عليكم ان تصرفوا ما خصصتموه لله فى سبيل الله وهو كل طريق خير لا ان تصرفوه الى الصنم و صرفه الى الصنم معناه تشييد مبنى عليه او صرفه فى خدمته والقوام عليه فان الصرف على الصنم ليس من سبيل الله ، وممّا ذرأ، يعنى خلق و الحرث هو الزرع والانعام هى الحيوانات المحللة الأكل المتداولة - الابل و البقر و الغنم - و انما قالوا هذا لشركائنا يعنون بذلك الأصنام لأنهم لما خصصوا من حرثهم او انعامهم لها شيئاً اصبحت بذلك شريكة لهم فى ما زرعوا او اقتنوا من حيوان و هدف الآيّة تجهيلهم فيما يفعلون و يلتزمون و مع ذلك يدعون لأنفسهم من الثقافة ما يقامون به براهين السماء و بيناتها و حجج الانبياء و معجزاتها .

\* ( و كذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم  
شركاؤهم ليردوهم و ليلبسوا عليهم د ينهم ولو  
شاء الله ما فعلوه فذرهم و ما يفترون ) \*

الكاف التشبيهية تعطف السخافة الأخرى التي كانوا عليها فى  
د ينهم الشركى على ما مرّ لهم من سخافة تعرضت لها الآية السابقة  
فقال تعالى و كما سخفوا فى تلك سخفوا فى اخرى و هى ان الشياطين  
الذين استحوذوا عليهم و اخلدوا بهم الى عباده الاوثان و طقوس  
دينية من نظيرها زينوا لهم قتل بناتهم تخففاً من العيلة و الفقر و العار  
اغووهم بذلك ليهلكوهم لأن البنات بالفعل امهات المستقبل و منهنّ  
تتكوّن الجوامع فهلاً لو كانوا عقلاء ارشدوهم الى المحافظة عليهنّ  
و تعليمهن ليستفيدوا منهنّ شتى الأستفادات و لكنهم ارادوا  
استحمارهم ليستغلّوا منهم حيوانا عاملا لا انسانا كاملا ، و ليلبسوا اى  
ليخلطوا عليهم الأمور حتى يعيشوا فى ارتباك ولو شاء الله ان يمنعهم  
ارتكاب هذه المخازى بالقهر و القسر لفعل لكنّ ذلك ينافى اعطاء  
الاختيار التام فى عالم التكليف و الامتحان ، فذرهم يا نبىّ الاسلام  
و ما يفترون على الله من اكاذيب فانهم سيواجهون جزاء ذلك .

\* ( وقالوا هذه انعام و حرث حجر لا يطعمها الا  
 من نشاء بزعمهم و انعام حرمت ظهورها  
 و انعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه  
 سيجزئهم بما كانوا يفترون ) \*

و هذه الآية تشير الى شىء من سخافاتهم الأخرى التى يعتبرونها  
 برامج من دينهم و واو الجمع الغائب يعود الى المشركين المتحدث  
 عنهم وهى اشارة الى الكميات من الحرث و الانعام التى خصوها  
 لأصنامهم اما بعنوان نذر او وقف او نظير ذلك يمنعون التصرف فيه  
 و تناوله طعاماً الا لمن يشاؤون و يبذلون وهنا محطة لنكتة من اغلاطهم  
 وهى ان النذور و الاوقاف للأصنام ان صحت فلا بد ان تصرف فى  
 موارد ها فكيف يمنعونها الا ممن يشاؤون هم و ما دخل اشائهم فى ذلك  
 بعد أن خرج المال عن مالكيتهم ، وقوله و انعام حرمت ظهورها اشارة  
 الى ما تقدم من تحريمهم لركوب السوائب و البحائر و الحوامى لاعتبارات  
 واهية و ان الدين و المنطق كليهما ينعيان عليهم هذه الاتخاذات  
 المزعومة ، و انعام لا يذكرون اسم الله عليها اما لأنهم يسمون الأصنام عند  
 تذكيتها او انهم لا يركبونها فى حج حتى يلبوا وهم على ظهورها  
 ، يقول تعالى كل هذه التحريمات التى ينسبونها لله هى افتراء منهم  
 عليه و سيجزئهم الله ما يستحقونه بسبب هذا الافتراء .



\* ( وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة  
لذكورنا و محرّم على ازواجنا و ان يكن ميّنة  
فهم فيه شركاء سيّجزيهم و صفهم انه حكيم  
عليم ) \*

اسم الأشارة يرجع الى البحائر و السوائب المتقدم ذكرها و ما فى  
بطونها هى اجنتها فكان من دينهم ان اجنّة هذه الأنعام ان جاءت  
حية فهى خالصة للذكور فقط لا تشاركهم الأناث فيها و ان ولدت ميّنة  
اكلها الرجال و النساء و جهة النقد عليهم فى ذلك ايقاعهم التبعيض  
بين ما لداعى للتبعيض فيه فأنه لا فرق بين الذكر و الأنثى من هذه  
الجهة و ان كانت هناك فروق بينهما من جهة اخرى .  
و قوله محرّم على ازواجنا اشارة الى النساء فان المرأة معمولا تكون  
زوجة فى مالها ، و تّوعد هم سبحانه على مجازاتهم بسبب ما وصفه  
فانتصاب وصفهم اما انه على نزع الخافض او على انه قائم مقام منصوب  
تقديره سيّجزيهم ما يستحقّه وصفهم ، انه حكيم فى افعاله و اقواله عليم  
بمنويات عباده .

\* ( قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم  
و حرّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله قد ضلّوا  
وما كانوا مهتدين ) \*

علل سبحانه في هذه الآية جهة أخطائهم في و أدهم للبنات  
و تحريم ما حرّموا على انفسهم من ظهور الأنعام و ألبانها و ايقاع  
التبعيض في تحليل ذلك بين الذكران و الأناث فقال ان البنت على  
الأخص لما تحسّ في نفسها من ضعف طبيعي تنشأ على خدمة البيت  
و اهله و اذا صادفت ولياً مشفقاً و بيئةً صالحةً كانت من اوليات الفضل  
فقتلها جريمة كبيرة و خسران مبين و التعللات التي يتعلل بها  
الوائدون كلها غلط و سفه و قد يدخل على الانسان من ولده الذكر  
اذى كثير في حيثيته و مزاجه و ماله ، كما ان الله انما خلق الأنعام  
لتعود منافعها للبشر فتحريم ذلك نفويت لمنافع معقولة بلا وجه معقول  
و نسبة ذلك الى الله افتراءً عليه و تزوير مفتضح .

\* ( وهو الذى انشأ جنّات معروشات وغير معروشات  
و النخل و الزرع مختلفا اكله و الزيتون و الرمان  
متشابهها و غير متشابهه كلوا من ثمره اذا اثمر  
و آتوا حقه يوم حصاده و لا تسرفوا انه لا يحب  
المسرفين ) \*

و هذه الآية فضلا عما فيها من دلائل التوحيد و اثبات الصانع  
القادر الحكيم فيها جهة تعليل الى ان الله انما خلق المنافع  
ليستوفيهما البشر استيفاء صحيحا يقوم بواجب معيشتهم و رفاه حاله لا انه  
خلقها و حرّمها فان ذلك يكون من العبث اذا فما عليه هو الا الجهلة  
من تحريم بعض الاشياء ذات المنفعة المحللة الاستيفاء بحكم وضعها  
يكون مبعوثا عن قلة شعور و سوء فهم و عجزية ذوق و عدم اطلاع و  
المعروش هو الذى يحمل العريش اى الدعائم التى تنصب له كجنّات  
الكروم و غير معروش هو الذى يقوم بنفسه من الاشجار و مختلف الأكل  
فى لونه و طعمه يتناول النخيل و الزروع كليهما لان هذا الوصف يتحقق  
فى الطرفين و تشابه الرمان و الزيتون يكون فى ان غصون الشجرتين  
تمتلاأوراقا من اعاليها الى اسافلها و عدم تشابههما يكون فى ثمارهما  
و مفاد الآية ان الله الواجب الوجود القادر الحكيم هو الذى ابدع  
جنائن الكروم و غير الكروم من كافة انواع الشجر كما ابدع النخل و الزرع  
المختلف فى كمّه و كيفه و كذلك الزيتون و الرمان المتشابهين فى بعض  
الخصائص المفترقين فى بعضها الآخر، كلوا من ثمر ذلك كله متى احببتم  
فانه انما خلق لأنعاشكم و اعاشتكم و ليؤت واجد ذلك حقه المشخص فى  
السنة المبيّنة يوم حصاده و استحصاله حتى يستفيد المعوز من ذلك

كما استفاد الواجد ولا تنفقوا انعام الله عليكم في معاصيه بل في موارد طاعته ان الله لا يحب اى مسرف كان حتى في الطاعات التي تستنفد قوى الانسان و تدعوا الى انهياره و بطلانه عن العمل .

\* ( و من الأنعام حمولة و فرشا كلوا مما رزقكم الله

و لا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو

مبين : ثمانية ازواج من الضان اثنين و من

المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الأنثيين اما

اشتملت عليه ارحام الأنثيين نبؤتى بعلم ان

ان كنتم صادقين : و من الأبل اثنين و من

البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الأنثيين اما

اشتملت عليه ارحام الأنثيين ام كنتم شهداء اذ

وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله

كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى

القوم الظالمين ) \*

الانعام في عرف اهل اللسان هي الدواب المحللة الأكل وهي

الاصناف الثلاثة المعروفة الابل و البقر و الغنم بجميع انواعها و نصب

حمولة على انه مفعول لأنشأ محذوفة مستدلا عليها بمثلها في قوله وهو

الذى انشأ جنات معروشات و اما تعرض سبحانه من الانعام لجهة

حملها و فرشها في حال ان الأهم فيها هو ما يطعم منها لأن هاتين

الجهتين قد تكونان مغفولتين بالنسبة الى ما يطعم منها فنبه عليهما

و ترك التعرض لما هو اهم لوضوحه ، و المراد بالحمولة هي التي تتخذ

وسيلة حمل اضافة على فوائد ها الأخر كالابل و البقر و بالفرش ما استفاد

من جلودهما و اصوافهما و اوبارهما و شعورها للافتراش و بقوله كلوا  
 اشار الى الجهة المهمة التي لم يتعرض لها بصراحة في الانعام .  
 و قوله ثمانية ازواج عطف بيان على الانعام و معناه تفسير وايضاح  
 و تفصيل لما اجمل في الأنعام من معنى و الزوج يطلق على الذكر  
 و الانثى من الضان وهو ذو الصوف من الغنم اثنين ذكراً و انثى و من  
 المعز وهو ذو الشعر من الغنم اثنين ذكراً و انثى ايضا و من الابل  
 بجميع اصنافها اثنين و من البقر و يحتوى اسمها على الجاموس اثنين  
 ذكرا و انثى كالسوالف، و بقوله الذكـرين حرم ام الانثيين اشار الى  
 ما تعبد به جهلاء المكلفين من المشركين و التزامه لأنفسهم بعنوانه  
 شريعة لازمة مفروضة كما سبقت الاشارة اليه بقوله و قالوا مافى بطون هذه  
 الأنعام خالصة لذكورنا و محرم على ازواجنا اى النساء ، و بقوله و قالوا  
 هذه انعام و حرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم و انعام حرمت  
 ظهورها الى غير ذلك .

و مفاد هذه الآيات انه تعالى امتن على عباده بمنن منها انشاؤه  
 للا نعام ليستفيد البشر منها مأكله و مركبه و فراشه استفادة مشروعـة  
 لا عوج فيها ولا امتا و لا سرفا و لا جزافا ولا ضلالة فان ذلك كله من  
 اتباع خطوات الشيطان الذى يستهدف اغواء العقلاء عن الجـواد  
 اللاحبة المخططة لهم من الله الذى يريد اسعادهم و ابعادهم عن  
 المؤلمات و بعد أن عمم الاستفادة المشروعة من الأنعام ندّد بأولئك  
 الجهلة الذين قيدوا و خصصوا و حرموا بدافع جهلهم ليس غير ما اشرنا  
 اليه سابقا فقال كل صنف من الانعام الثلاثة ازواج تتلاقح لتنسل فمن  
 الضان ذكر و انثى و من المعز ذكر و انثى و كلهما محللة على كل بنى  
 آدم بلا خصوصية فى الاستفادة منه و المستفيد بين الذكران و الأناث

فقل لهم يا نبيّ الاسلام الذكّرين من الضان و المعز حرم الله عليكم ام  
 حرم الأنثيين منهما ام ما اشتملت عليه ارحام الأنثيين من الضان و المعز  
 سواء كان ما اشتمل عليه الرحم ذكرا ام انثى نبؤنى بعلم ناجع تثبتون به  
 مدعاكم لا بمجرد التشهى و الأخيّلة الفارغة ان كنتم صادقين فى نسبتكم  
 الى شريعة السماء ما تنسبونه و كذلك من الابل اثنين ذكرا و انثى  
 و من البقر اثنين ذكرا و انثى تتلاحح ابقاء للذرية و ادامة للنسل فقل  
 لهم ايضا الذكّرين منهما حرم عليكم ام الأنثيين ام ما اشتملت عليه  
 ارحام الأنثيين و اذا لم يكن عندكم نبأ بعلم قاطع عمّا حرّمت من هذه  
 الأصناف فهل كنتم شاهدى وحي سماوى صرح لكم بالتحريم الذى انتم  
 عليه طبعا لم تكونوا شاهدى ذلك و لا عندكم علم اذا فأنتم مفترّون و من  
 اظلم ممّن افترى على ربّه الذى يريد سعادته و لا هدف عنده سوى ذلك  
 فى كافة عبادته و طبعا ان الله لا يهدى القوم الظالمين لأنفسهم  
 و لغيرهم بداعى الأفساد ليس غير فان الهداية انما تحلّ قلبا نشيطا  
 لتحملها حيث يكون طالبا لها .

\* ( قل لا اجد، في ما اوحى الى محرمًا على طاعم  
يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم  
خنزير فأنه رجس او فسقا أهل لغير الله به  
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم ) \*

الطاعم هو أكل الطعام و الميتة في لغة الشرع هو كل حيوان لم  
يذك تذكية شرعية و الدم المسفوح هو الجاري على وجه الأرض في قبال  
الدم المتخلل في غضون اللحم و الرجس هو الخبيث المستقذر و الفسق  
هو الأنحراف و الأهلال هو التصويت و البغى هو التجاوز و العدوان  
هو التهجم على حقوق الأغيار بدون حق .

الخطاب للنبي في قبال ما عليه المشركون من عقائد فيما يجوز  
ولا يجوز اكله من الانعام و ما يمت اليها و ما يذكر بالتبع معها ، قل  
يا نبي الإسلام لا اجد في ما اوحى الى من الغيب في قبال ما انتم  
عليه ايها المشركون محرمًا على طاعم يطعمه الا ان يكون ذلك المطعموم  
ميتة اى غير مذكى ذكاة شرعية فيعم ما مات حتف انفه و غيره مما تخلّف  
فيه كل الشروط او بعضها او يكون دماً مسفوحا و حتى من الحيوان  
المذكى او الحيوان الطاهر الدم كالسموك او يكون لحم خنزير فان  
الخنزير رجس خبيث مستقذر او يكون حيوانا محلل الأكل و ذكيا الا انه  
سمى عليه غير اسم الله فمن اضطر الى تناول شيء من ذلك غير باغيه  
لشهوة او عادة ولا متجاوزا في تناوله حدود حفظ الرمق فان ربك غفور  
رحيم في هذه الحالة و امثالها و الحصر بقوله تعالى الا ان يكون يصح  
اضافياً بالنسبة الى ما يعتقد المشركون من تحريم ما ليس بحرام و  
استحلال ما ليس بحلال و يصح حقيقياً مقيداً بغيره مما ورد تحريمه في

الكتاب و السنّة غير ما ذكر في هذه الآية ، و خلاصة نقول أنّما تنتقد البشرية الحاضرة مراسم الدين و قوانينه و تكثر التهريج على دعائه و تسم بالارتجاع اهله لانها تراه سدا قويا امام الحريات المتطلبة لذكرانها و انائها و تريد بالحرية تمام الانطلاق للنفس وهو الأفساح لها فى كافة الشؤون الماديّة حتى لا تنبس شفة بأن هناك شيئا حراما فهى تحاول اهمال النفس تماما بلا ان تكون فى رقبته ريقة تثنيها احيانا اذا وثبت الى جهة من جهات اهوائها كما يرى ذلك فى المراحل العملية لائحا على جميع آفاق البلاد المتمدنة بدون استثناء وهو فى طريقه الراكض الى جميع انحاء العالم حتى لترى الانسان المثالى المتحرج بين اطباق من لظى لتفرده و وحدته .

و فى وجنه هذه الصرخة الداوية نعى القرآن بالنيابة عن العلم الذى أجم لسانه عن الجواب بأن البشرية ماذا تحاول بنفسها و ماذا تحسبها فهل تحسب أنّها حيوان محض او ان لها خاصية عظيمة على الحيوان و بتلك الخاصية تمتاز عن كل شىء أمّا كونها حيوانا محضا فهو يستلزم ابتعادها عن التوحش فانها لا تزال تعتبر التوحش و صمة و تسبّ به كل منتبذ بنفسه عن الحشر بالاجتماع و ترقية امره و الحيوان الوحش لا يستطيع ان يكون جامعة اصلا لما فيه من الفظاظة و الهمجية و يستفاد ذلك من هذا التقاتل البارد السمج و الاعتراك البشع بين جملة من عناصر العالم فى هذا اليوم على حساب العنصرية و اللسان و اللون و المنطقة و امثاله ممّا يعرب بلسان مديد عن مزيد التوحش الموجود فى الحيوانات المهمة حيث ترى الكلاب الهلـهـلـه تتغالب لا على حساب ولا يثنى بعضها عن بعض حتى يقرب الطرفان من التلف او يتلف البعض حقيقة و الباقي منهما تراه فى اذل حالة من



الضعف والهوان -

وإنما كونها ذات خاصية عظيمة هي خاصية الشعور والمنطق فان الشعور والمنطق يريان الأفلات تسييبا للمجتمع لاحفاظاله واتلافا لاصيانته فالدين القويم دائما يحاول اسعاد الأمم بلا جنوح منه الى لسان خاص او عنصر خاص او منطقة خاصة اصلا و لذلك يستحيل ان ترى فى نظام الدين ذكرا لعنصر خاص يترفع به على غيره من العناصر لنفس العنصرية كما ترى ذلك فى الأمم المتحضرة اليوم حيث يستقدر بعضها بعضا للعنصرية نفسها او للمحيط بما هو محيط و من محاولته لأسعاده انه منعه من التقلت والتسيب و لم يرتض له ما يرتضيه لنفسه من هذه الحرية الماردة الطاغية الضاربة للحق بعرض الجدار المبتلية بنتائج الوخيمة و الزمه بالجنوح الى المثالية و زرع فيه روح التقوى و الورع و الانكماش عن التعدى و التجاوز .

و ما اشقى البلاد التى تعيش تحت ظلال التسيب تلك التى لا نزعها الألقوة الداغمة و القوة اذا حصلت عند مسيب مهمل داست فى طريقها كل شىء و عبت اكثر مما اصلحت كما رأتة البشرية بأحداقها فى مالكي القوة من الأمم كيف تعبت بكرامات الناس اذا فلا يدفع الانحراف الا امران زرع روح الورع فى الناس و ابعادهم عن الفساد ليسعدوا و وضع القوة بيد المثالى حتى لا يعملها فى غير محلها وهكذا فعل الدين عندما سيطر فى بعض أحيانه و هذا ما ارادته الآية بقولها - قل - مخاطبة للداعى الاسلامى على ان يقول للبشرية انا لا اجد فى تشريعات السماء محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون موردا مستخبثا كالميتة و الدم المسفوح و لحم الخنزير و هواية الناس الساقطين لبعض ذلك او كله هواية باطلة داعيها الجهل و التقليد الأعمى و لاشك ان

نتيجة الجهل رجس و فسق .

\* ( وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر و من

البقر و الغنم حرّمنا عليهم شحومها الاّ ما حملت

ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك

جزينا هم ببغيهم و انا لصادقون : فان كذبوك

فقل ربّكم ذو رحمة واسعة ولا يردّ بأسه عن

القوم المجرمين ) \*

الأظفار و المخالب من مقولة واحدة وهى اداة الأفتراس و الحوايا

هى الاحشاء و الذين هادوا هم اليهود وفى الآيه حكاية عن بعض ما

حرّمه الله على اليهود و اقرّ جملة منه على المكلفين من غيرهم فأما الذى

عمّ تحريمه فهو سباع الوحوش و الطيور على الأطلاق و اما الذى خصّ

تحريمه بهم فهو شحوم البقر و الغنم باستثناء السمن الذى يكون على

اللحم الذى تحمله ظهور هذه الحيوانات او يكون مع امعائها او يختلط

بعظمها و اما الشحوم المتميّزه لنفسها المستطابة لهم فقد حرّمها عليهم

تنكيلا بهم و عقوبة لهم بسبب بغيهم على حدود الله و انا لصادقون فيما

حكيناه عنهم من بغي و من تحريم فان كذبوك يا نبىّ الاسلام و قالوا انت

مزور فيما تقوله و تخبر به و تحكيه فقل لهم ان ربّكم قد ارخى للمكلفين فى

هذه الدار ليتجلى لهم طيب انفسهم او خبت طوياتهم من طريق هذا

الأرخاء ولا يردّ بأسه عاجلا و آجلا عن القوم المجرمين .

\* ( سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون : قل فليله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين: قل هل من شهد ائكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم برئهم يعدلون ) \*

توجد عقيدتان متضادتان في الوجود حتى في المعتقدين بصانع العالم ووجوده ( احدهما ) ان الانسان مجبور في تكاويله وتكاليفه فإيمان المؤمن بالقسر والقهر وكفر الكافر مثله ( وثانيتها ) ان الانسان خلق هو وما يختاره و ان كل ما يحصل له فهو نتيجة جدّه وسعيه وكل ما يتخلف عنه فهو نتيجة تخلفه عن السعي و انكماشه ولا شك ان العيان يكذب كلاً من هاتين العقيدتين ، اما العقيدة بكون الانسان مقهوراً في كل اشياء فيكذبها وجد ان الانسان من نفسه في التكاليف انه ان شاء الفعل فعله و ان شاء تركه ووجد ان الانسان اصدق شاهد على ذلك فان الذي يخطر في باله شرب الخمر مثلاً يجد بوضوح في نفسه انه يستطيع ان يشربها بدافع من ميله و يقدر بسهولة الا يشربها بوازع من ارادته وقس على ذلك و مثل هذه الحالة لا تسرم معها ولا الجاء و اما العقيدة بكون الانسان مخيراً في كل اشياءه و ليس مسيراً

اصلاً فيكذبها في التكوينات ان الانسان يرى نفسه تسعى للشئ من جميع جوانبه وجهاته بكل جهد مقدور فلا يتيسر له مع العلم بان مجارى سعيه صحيحة و بحسب الجرى الطبيعى يجب ان تكون منتجة و هذا الأمر مما يجده كل انسان من نفسه و ليس هناك شاهد صدق يعدله و على هذا الأساس الذى اشرنا اليه فندت الآيه مزاعم المشركين عند ما كان الرسول يدعوهم الى نبذ الشركاء و تخطأ عقيدة الشرك فكانوا يجيبونه بأن الله لو لم يكن راضيا بشركنا و كان مريدا لتوحيدنا الخالص لما اشركنا فهو لا يد ينون بالألجاء حتى فى التكاليف والأفعال الاختيارية فقال تعالى سيقول الذين اشركوا فى مقام جوابهم لك عن سؤال التوحيد منهم و نبذ الشركاء عنهم لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا آبائنا ولا حرّمننا شيئا او احللنا شيئا فلما اشركنا و حرّمننا ما اردنا ما شئنا بان لنا ان الله يريد لذلك راض به ممض له ، كذلك كذب ، اى كهذا الخطأ الذى ارتكس فيه هؤلاء و الانحراف الذى منوا به انحرف و قال خلاف الواقع من كان قبلهم من المشركين المنحرفين الذين كانوا يد ينون بعقيدة التسخير من الله لعبده فى كل شئ حتى ذاقوا بأسنا فى الدنيا بالأيقاع بهم .

قل لهم يانبيّ الاسلام هل عندكم من علم فى مسألة الجبر فى كل شئ و التسخير فى كل عمل من الله لعباده المكلفين فتخرجوه لنا لتتم بذلك الحجة علينا و طبعا لما كان الوجدان شاهد صدق على خلافهم كما اسلفنا كان القوم فى مزاعمهم هذه لا يملكون غير الظنون والأخيلة تدور فى ادعوتهم ولا يعرفون الا التخرس و التخمين اذا فقل لهم يا محمد لله الحجة البالغة عليكم بجعله اختياركم فى الافعال التكليفية تحت ارادكم حتى يجوز له ان يثيبكم على فعل الطاعة و يعاقبكم على

المعصية ولولا عالم الاختبار و الامتحان فى هذه النشأة و شاء هداية  
الناس جميعا بالقسر و التكوين لفعل ذلك قطعا لكنه مخالف لسنة  
الخلقة و ما يراد بها .

و قل لهم يا نبى الاسلام ايضا هاتوا شهدائكم على عقيدتكم هذه  
فى الشرك و التوحيد و التحريم و التحليل حيث يشهدون لكم ان الوحي  
السماوى نطق بما انتم عليه فلو انهم لفقوا من افرادهم من يشهد بذلك  
فلا ترضخ لشهادتهم لأنها شهادة زور ذلك لأنهم لا يملكون شاهدا  
من الوحي يشهد لهم على مدعاهم اذا فهو طلب محال و التعليق عليه  
مثله فى المحالية، ثم انه سبحانه اوصاه بما يقرره و يثبتته فى المسمى  
الحيوى على طول الخط من مشيه مع المكلفين فنهاه عن اتباع اهواء  
المكذبين بآيات الله و بيناته و مسامرة الملحدين بالنشأة الثانية و  
المشركين برّبهم اولئك الذين يعدلون به غيره من مخلوقاته .

\* ( قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الاّ تشركوا به  
 شيئاً و بالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم  
 من اطلاق نحن نرزقكم و ايّاهم و لا تقربوا  
 الفواحش ما ظهر منها و ما بطن ولا تقتلوا  
 النفس التي حرم الله الاّ بالحقّ ذلكم و صّاكم به  
 لعلكم تعقلون ) \*

فى هذه الآيّة شبه تهكم بما عليه المشركون و جهلة الناس من  
 تعيينهم لمصائرهم بما تقرره عقولهم الناقصة و آرائهم الفاترة كلّ بحسب  
 انسياقات عصره القائم اغلبها على رموز مفتضحة فمثلا كان سائداً فى  
 عصور الجاهلية قتل اكثر من واحد قصاصاً بواحد بداعى تشريف المقتول  
 ولا شك ان ذلك غلط فان القاتل هو مرتكب الجريمة و ان كان هناك  
 مسبب كان عليه جرمه من غرامة او سجن وقد تقدم شىء من تلك التقارير  
 الزائفة غير القائمة على منطق و زين ولا رأى حصين فأبان لهم سبحانه  
 فى هذه الآيّة ان التقرير اللازم الاتباع الذى يكفل سعادة البشرية على  
 طولٍ فى طول الأجيال عدة تقارير مكيّنة فى العقل متى طبقت انتجت  
 الخير العميم وهى فروع و اصول ( اولها و افضلها ) معرفة علة العلل  
 من طريق الفحص و التحرّى الدقيق ليتّجه الانسان من هذه المعرفة  
 الى هدف عال يليق بكرامة الانسان اما البشر الذى قصر فى تحقيق  
 هذه النقطة كالذى اغفلها بتاتا لا يعتبرون انفسهم سوى حيوان بلا  
 ميز فيه الاّ كميز بعض الحيوانات على بعض من حيث الصورة و الشكل  
 و الانسان اذا تبطن هذه العقيدة ماتت فيه عوامل الخير و تعالت  
 عوامل الشر و الفساد كما تراه البشرية بأحداثها المفتحة فى زمانها

• الملحد هذا

فأنك لا ترى اليوم من اى انسان و مهما ضخمت عناوينه و عظم مقامه صدقا فى قول او حياء من كذب او عاطفة تنثنى للضعيف او احتراماً يصدر من اهل الذم و المعنويات و هكذا لا تلمس منه عفة فى لسان ولا نجابة فى فرج ولا انكماشاً عن اى باطل يفرض فى قبال اى شخص و انما تبنى هذه الروح القذرة لزعمه الخاطيء ان ما يدعونه فضيلة مربوط بالدين و بما انى لا اعترف بالدين و اعتبره فرضية لا اكثر لا يصح منى ان التزم بلوازم هذه الفرضية و اذا كان أبطال المجتمع يعيشون على هذه الروح فويل لكل ضعيف فى عالم البشرية كالويل لكل ضعيف فى عالم الحيوانات الهاملة •

بخلاف من استبطن عقله و استجلى رشده و عرف ربه و عقل انه انما خلق لحساب دقيق و ليكون من نفسه و اخوته النوعيين جامعة تتسابق الى فعل الفضيلة و محق الرذيلة لتدرك الحواس ما يبهرها من الشموخ و التعالى و هذه الظاهرة تجدها فى المثاليين بأبهى صورها و ارق حللها فقد كانت الأمانة و النجابة و الطهارة و العاطفة و الحنان و الصدق و الرفق و المواساة شارة كل نبيّ او وصيّ نبيّ بل كل مترسم لخطاهم و مقتف لآثارهم و قد عرف التاريخ من هذه المصاديق عدّة يعتدّ بها وقد شاهدنا فى اوائل عمرنا فى النجف مرقد علىّ و دار هجرة احبائه شبحاً من هذه الاخلاق كانت ترسم على سيماء الصالحين من اهل العلم •

و بعد هذا اذا عرف الانسان صانعه و مبدعه و انه لم ابدع و لأىّ داع صنع استحال فى حقه ان يعترف بشريك لربه فان كل ما يفرضه حتى يعتبره شريكاً يراه معلولاً لا علة و مصنوعاً لا صانعاً •

(ثانيها) الأحسان بالوالدين : اذا توجه الباحث الحرّ الى نكاحات و دقائق ما ورد فى الشرع الاسلامى من استحباب النكاح استحباباً مؤكداً و ما استهدف فيه من التوالد و كيف وصّى الابوين فى تثقيف ولد هما ثقافة عالية منذ يشرع عمره فى السابعة من سنّه يعرف ان التزوّج فى الشريعة ليس هو الرائج بين ناس الوقت من ركوب الذكر على الأنثى و انراغه شهوته لا اكثر لان هذا المعنى لا يحتاج الى ترغيب فان الطبيعة الحيوانية تدعو اليه من ذاتها ولا أن ما يتكوّن منه كالذى يتكوّن من سائر الحيوانات كما انه ليس المنظور بتعزيز الولد تخيّر الأّطعمة و الأشربة و المكنّ و المأوى له ، وفى مثل الولد و الوالد اللذين يريد هما الشرع تحسن التوصية منه لأحد هما بالآخر اذا فالوالدان الشرعيان فى مرحلة ثانية للربوبية التى منشأ عظمها محاولتها الأّسعاد للمخلوق و تشريفه و تعريفه بما يسعده و يعليه و يعظّمه و يرقّيه و لهذا كان الأحسان بهما واجباً و عقوقهما محرّماً و مأثماً .

(ثالثها) قتل الأولاد خشية الأّملاق و انت بعد أن أحطت بمقام البنوة و الأبوة تعرف جيّدا ان الابوين او احد هما اذا حصل منهما تجاف عن ولد هما لا بسبب موزون كانا من اجنى جناة البشرية و ذلك لأنّهما تسبّيا فى وجوده و اعتديا عليه بلا جرم حصل منه او جريرة تدنيه من العقوبة .

(رابعها) الأّقتراب من القبائح سواء كانت طاوفة للأّنظار كالتجاهر بالفسق ام فى حجاب عنها كالد سائس تحاك و الخيانات تعمل فى الخفاء .

(خامسها) حرمة قتل النفس بغير حقّ فقد جاء فى ذلك من القرآن ما هو اعظم لسانا و اقوى سلطانا وهو اعتباره لقتل النفس بمنزلة



محق البشرية و سحقها عن بكرة ابيها و بعبارة اخرى انما اجاز الاسلام القتل لأقرار الحياة بين الناس قاتل قاطع الطريق و الزانى المحصن و ما الى ذلك ، ذلكم طرف مما وصاكم به ربكم لعلكم تعقلون انفسكم اولاً و مجارى حياتها ثانيا حتى تكونوا قد عملتم بموجبات سعادتم .

\* ( و لا تقربوا مال اليتيم الاّ بالتى هى احسن

حتى يبلغ اشدّه و اوفوا الكيل و الميزان

بالقسط لا نكلّف نفسا الاّ و سعتها و اذا قلتتم

فاعدلوا ولو كان ذا قربى و بعهد الله اوفوا

ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون : و انّ هذا

صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل

فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم و وصاكم به لعلكم

تتقون ) \*

و هذا فصل آخر من تعاليم الدين العالية و يتكفل امورا ( الأول)

حرمة التصرف فى مال اليتيم الاّ بما فيه غبطة له و غير اليتيم مثله فى

حرمة التصرف فى امواله و حقوقه بدون اذنه او اذن وليه و انما خصّ

اليتيم بالذكر لانه يفقد الرعاية على مصالحه من كل جهة فلا أب عنده

ولا هو من الذين يستطيعون الدفاع عن حقوقهم لصغر سنّه ان لا يتيم

مع البلوغ و كل فاقده حيلة و عادم وسيلة يتيم فى الحقيقة ان لا خفير معه

يخفّره كما هو شأن ضعفاء الناس و نجباّتهم و من هذا تفهم الفروق

الواسعة بين السيادة الجائرة و الحكومة العادلة تلك التى تدوس فى

طريقها كل احد ما سوى المشعوذين و هذه التى تنظر الضعيف بأكثر

و هما تنظر به القوى المتحرك .

و بلوغ الأشدّ هو وصول البنية الطبيعية الى أول نشاطها الطبيعي وهذا المعنى ايضا ممّا يستلزم نباهة العقل و استوائه كما يستلزم قوّة البنية فتدافع عن كيانها بنشاط و ارتفاع الولاية من القيّم حينئذ قهرية فان الضعيف هو الذى ينيمه ضعفه تحت آباط القوى فاذا قوى صار فى غنى عن ذلك .

( الثانى ) العدل فى المعاملة بأن تعطى الاغيار حقّهم ولا تأخذ منهم ازيد من حقّك فأيفاء الكيل معناه جمامه بقدر ظرفيّته و ايفاء الميزان ايفاء كفة الموزون بمقدار عيارها و هذا المعنى فيه سعة على الجميع و انصاف بالنسبة اليهم جميعا و اقامة لنظامهم لكنّ شحّ الأنفس هو الذى يدعوها الى ان تعطى ناقصا و تأخذ زائداً و من هنا قال سبحانه لا تكلف نفسا الاّ و سعتها .

( الثالث ) العدل فى القول وهو اخو العدل فى المعاملة و رصيده و مقدمته و معنى ذلك ان يصدق فى شهادته و قضاائه و سائر انواع كلامه بما لا يزيد من نفسه او ينقص عن الواقع الذى يحكى عنه و من لازمه تطبيق اعماله عليه سواء كان طرفه خصما له ام قريبا منه .

( الرابع ) الوفاء بعهد الله و عهد الله هو ما قرّره للمكلفين من نظام ليسود عليهم العدل الأجماعى حتى يرتاحوا فى ظلّه والوفاء بذلك هو القيام به ، و جاء فى آخر الآية الأولى قوله لعلمكم تذكرون و فيه نكتة مهمّة وهى ان تعاليم الله ليست ابداعية تعبدية يلزم قبولها بالأرهاب بل هى عقلية منطقية غايته ان جملة من الافراد بانصرافهم عنها و التهاؤم بغيرها غافلون عنها لا انهم فاقدون لها و التذكير أنّما يفيدهم جلب توجههم اليها و هذا المعنى حق و صدق .

و ختم سبحانه وصاياه بأن ما قرّره هو صراطه و صراط اللّٰه لازم

الأتباع لانه بعيد عن كل تحييز منشمر عن كل انتهاز وغيره لا يكون بهذه المثابة ومهما كان و ان سبل الأغيار طرق ضلال و انحراف و سلوكها يبعد بسالكة عن سبيل الله المستقيم و ختم الآية الثانية بقوله لعلكم تتقون اى تخافون ملابسة ما يقودكم الى الهلاك الدنيوى و الأخرى فأوامر الله تعالى فى هذا و امثاله ارشادية تحصن الانسان من المخاطر .

\* ( ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن و تفصيلا لكل شىء و هدى و رحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون : و هذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا لعلكم ترحمون ) \*

لم تستعمل ثم هنا بمعنى الترتيب ولا التراخى كما هو شأنها فى نوع استعمالها و انما استعملت فى هذا السياق بعنوان كونها مائزا بين ما سبقها وما يلحقها و الألف و اللام فى الكتاب للعهد و المراد به التوراة و تماما و تفصيلا و هدى و رحمة كلها مصادر منصوبة على انها مفعول لأجله و مفاد الآيتين اننا انزلنا على موسى التوراة لنقم بها تعاليمنا على المكلفين الذين أحسنوا لأنفسهم بانسياقهم مع وحى السماء و لنفصل لكل شىء حكمه و ليكون هذا الكتاب هداية و منارا للمستضيئين به و ليتسببوا بالعمل به الى رحمة الله و لطفه فان اهل العقول المستعدة اذا امتزجوا بهذه التعاليم ايقنوا بأن وراء هذه النشأة نشأة اخرى يحظون فيها بلقاء الله تعالى .

و هذا القرآن كتاب انزلناه فيه كل الخير و البركة فاتبعوه لتستفيدوا من خيره و بركته و اتقوا ربكم بامثال ما يأمركم به و الانتهاء عما ينهاكم

عنه لعلكم تنوشون رحمته بكم و عطفه عليكم وقد اسلفنا انه لا منافاة بين حصول التقوى للانسان و رجاء الرحمة له كما قيل ان من لازم حصول التقوى للمكلف تحتم الرحمة له لا رجاءها فان الانسان قد يكون بظاهر الحال متقياً لكن قد تصدر عنه بوادر و ان كان لم يتعمدها الا ان آثارها الوضعية لا تعدم حزازتها الواقعية فقد يتعكر بذلك طريقه و ضربنا فيما اسلفنا امثلة للمقام فلا نطيل بأعادتها .

\* ( ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من

قبلنا و ان كنا عن دراستهم لغافلين : اوتقولوا

لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد

جاءكم بينة من ربكم و هدى ورحمة فمن اظلم

ممن كذب بآيات الله و صدف عنها سنجزى

الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما

كانوا يصدفون ) \*

تقدم في الآية السابقة قوله و هذا كتاب انزلناه مبارك و على ذلك

فان تقولوا في آتينا هذه مصدر بالمآل وقع مضافا اليه و مضافه محذوف

بهذا التقدير و هذا القرآن كتاب انزلناه عليكم يا معاصري نزوله من

مشركى الجاهلية مخافة ان تقولوا ان الله لا حجة له علينا لأنه ان انزل

كتابا فقد انزله على طائفتين من قبلنا هم اليهود و النصارى وكتاباهما

التوراة و الأنجيل و مع ذلك فأننا لم نكن في حشر و نشر مع هاتين

الطائفتين حتى نتدارس كتابيهما و نلقف منهما ما تكون به الحجة علينا

كما تمت به الحجة عليهم فان في قوله و ان كنا هي المخففة و اصلها اننا

كنا عن دراستهم غافلين جىء بها للتأكيد ، و قوله او تقولوا لو انا انزل

علينا الكتاب معطوف على أن تقولوا الأولى اى وهذا كتاب انزلنا مخافة ان تقولوا لو انزل علينا الكتاب لكانا اهدى من اليهود والنصارى بالنسبة الى كتابيهما ومع انزال هذا القرآن عليكم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ولكنكم كذبتم به اما اليهود والنصارى فلم يكذبوا بما انزل عليهم وان فسقوا عن امر ربهم وبطبيعة الحال لما كذبتم بآيات الله اعرضتم عنها ، ثم تواعدهم سبحانه بأنه سيجزى الصادق عن آياته سوء العذاب بسبب اعراضه عن ربه وما انزل ربه .

\* ( هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتى ربك او يأتى بعض آيات ربك لا ينفذون نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ) \*

ندد سبحانه فى هذه الآية باولئك الذين اعتذروا عن شركهم وعدم توحيدهم بأنهم لم ينزل عليهم كتاب كما نزل على اليهود والنصارى ولو انهم نزل عليهم كتاب كما نزل على غيرهم لكانوا اهدى من الغير فقال و هل بعد نزول القرآن عليكم انتظار لشيء آخر وما الذى يؤخرهم عن الايمان به أهو مجيء انسان من عناصرهم ومحيطهم به فان موسى وعيسى كانا كذلك اى نبيين من عناصر اقوامهم وهؤلاء يعترفون بنبوتهم الى طوائفهم فما الذى يزعمهم عن الاعتراف بنبوة محمد والتصديق بكتابه ام انهم ينتظرون ان تأتيهم الملائكة بالكتاب الذى يتمنونوه وليت شعري كيف يعرفون ان الاى به ملك فانهم قصارى ما يدركون من هذه الكلمة لفظها ولا يعرفون من معناها ادنى شيء كما

انهم لا يعرفون مصداقا لها ، ام انهم ينتظرون بأيمانهم تجسد الرب لهم و مجيئه بالكتاب اليهم و هذا اشد من سابقه غموضا و أكد ابهاما و اكثر اشكالا ام انهم لا يؤمنون حتى يأتي بعض آيات ربك مما يتطلبونه هم و ينتخبونه مما لا عنوان خاصا عليه و هذا نظير سوابقه فى كونه من التشهيات لا من المطالب العلميه و يجوز ان يقال فى هذه الفقرات الثلاثة : ان تأتيهم الملائكة ، او يأتي ربك ، او يأتي بعض آيات ربك انهم ينتظرون بالأيمان بالنبي و كتابه حلول آجالهم فأتيان الملائكة معناه قبض ارواحهم او يأتي امر ربك على حذف مضاف و امره هو ارادة قيام القيامة او بعض آيات ربك القاضية عليهم بالهلاك يوم يأتي بعض آيات ربك فينتهى البقاء بابتداء الفناء لا ينفع نفسا ايمانها وهى فاقدة لصالح العمل سابقا و لمجالاته لاحقا ولم تكن آمنت من قبل ان يحين بها الموت ولم تكن كسبت و استثمرت من ايمانها شيئا تتزود به حتى يكون خيرا لها وزاد مبلغا قل يا نبي الاسلام لهؤلاء الخرافيين الذين يعيشون على الأمانى انتظروا امانكم هذه ان افادكم هذا الانتظار شيئا انا منتظرون لمواعيد الله لنا .

\* ( انّ الذين فرّقوا دِينهم و كانوا شيعة لست  
منهم فى شىء انما امرهم الى الله ثم ينبأهم  
بما كانوا يفعلون : من جاء بالحسنة فله عشر  
امثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى الاّ مثلها  
وهم لا يظلمون ) \*

المراد بالدين هنا هو الخضوع للعقيدة اية عقيدة كانت و الشيع  
هى الفرق يخاطب ربّ العزة نبيّ الاسلام بأن الناس بين جاهل  
بالشىء و مرموز فيه امّا الجاهل فهو مظنة لتأثير التبليغ فيه و امّا المرموز  
الذى يتخذ صيغ العقيدة قنطرة لتأمين مقاصده فأنك لا تستطيع ان  
تهيمن عليه من طريق المنطق لانه ليس فى هذا الوادى فأنت لست  
منهم فى شىء من هذه الناحية و تبقى معهم منتظرا امر الله فيهم هل  
يوجب عليك جهادهم او السكوت عنهم الى يوم الوفود عليه وقد التزم  
سبحانه تشجيعا للمحسن و تفضلا عليه ان حسنته الواحدة يضاعفها  
الى عشر امثالها فى الجزاء كما التزم جانب العدل بل تشدّد فيه  
بالنسبة الى المسىء فلم يحكم على سيئته الاّ بمثلها ولا ظلم فى البين  
لا لمحسن ولا لمسىء .

\* ( قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا  
 قيما ملة ابراهيم حنيفا و ما كان من المشركين :  
 قل ان صلاتى و نسكى و محيى و مماتى لله  
 رب العالمين : لا شريك له و بذلك امرت و انا  
 اول المسلمين ) \*

نصب دينا على انه تمييز لصراط و تفسير و توضيح له و ملة ابراهيم بدل  
 او عطف بيان على دين و حنيفا حال من ابراهيم و النسك هو العبادة  
 و مفاد الآية قل يانبي الاسلام للمشركين ان الله سبحانه قد هدانى  
 بعد التوجه اليه و الاستمداد منه الى صراط مستقيم يأخذ بصاحبه  
 تو الى السعادة و هذا الصراط المستقيم هو الدين القائم و النظام  
 الدائم و التقارير المحكمة المتينة و هى ملة ابراهيم المائل عن الشرك  
 الجانح للتوحيد الخالص ، و قل لهم ايضا ان صلاتى و عبادتى  
 و اشواطى فى حياتى و لفظى لأنفاسى بعد مماتى كل ذلك لله الخالق  
 المنعم صانع العالم و مكوّن الأكوان لا شريك له و ايا فرض و بهذ  
 الخطط المستقيمة امرت و انا اول المسلمين لله فى جيلى الذى اعيش  
 معه و لاشك ان مفاد هذه الآيات توحيد محض و خلوص طاهر و تنزيه  
 للمعبود عن كل نقص و للعايد عن كل لوث اما مقام المعبود فهو فى  
 اوج عظّمته و اما العباد فانهم مقصرون فى تحقيق مقام عبوديتهم و شدّ  
 منهم من لم تكن حياته لشهوته و مماته لورثته .



\* ( قل أغير الله أبغى ربّا وهو ربّ كل شىء ولا تكسب كل نفس الاّ عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربّكم مرجعكم فينبأكم بما كنتم فيه تختلفون : وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربّك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ) \*

الأستفهام فى قوله أغير الله للاستنكار والتعجب اى كيف يجيز لى عقلى ان اعبد من اكتفته الطوارئ و الحوادث و ماجت به التغيّرات و أتخذة سندا و مثالا و مرجعا لى اذا فمعقد آمالى و من ازوى له نفسى هو خالق كل شىء علة علل الكون و الكائنات و بعد أن آيسهم من نفسه فى اتباع طريقتهم و ما هم عليه اعلمهم ان كل كسب من خير و شرّ مرهون بكاسبه و مقصور عليه لا يتعداه الى غيره فلا شرّ الشرور بمخفف عنه ولا خير الخير بمنقوص منه ، ثم الى ربّكم مرجعكم ، يعنى بعد ان يعمل كل عامل فى حياته ما اختاره لنفسه يرجع الى ربّه للمحاكمة على ما فعل فينبأكم بما كنتم فيه تختلفون اعمالا و عقائد .

قوله وهو الذى جعلكم عطف على قوله وهو ربّ كل شىء وهو شرح لبعض من خصائص الله بجعله كل جيل فى مدى ادوار حياته مسيطرا على الأرض ليعطى من نفسه ما تزوى و تكنّ و من دماغه ما يفكرّ و يدبّر و انه هل يجرى بذلك على ما هو موظف عليه أوله و ايجاده التفاوتات بين بعض و بعض فى الارزاق و المقامات ليختبرهم فيما آتاهم ماذا يفعلون و يصنعون و انهم هل يستغلّون مواهب الله فى الطغيان على الله و على عباده و ان نتائج هاته الأختبارات لتحسب و تحاسب بسرعة

دقة وانه تعالى غفور ما دام للعفو مجال ورحيم ما اتسع الميدان  
رحمة و صححه المنطق وفسح امامه .

\* \* (( سورة الأعراف )) \* \*

مكيّة وعدد آياتها مأتان وست آيات .

\* (( بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك

فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى

للمؤمنين : اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا

من دونه اولياء قليلا ما تذكرون ) \*

سميت هذه السورة بالأعراف لما فيها من كلمة الأعراف كما سيحيىء -

وعلى الأعراف رجال - وأل م ص حروف مقطعة سبق لها نظير وقد

تكلّمنا عليه في أول سورة البقرة كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج

منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، .

ارتفع كتاب على انه خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا والحرج هو

الضيقة وانما نهاه عن ان يكون في صدره حرج من الكتاب الذي انزل

اليه وتبليغه بين الناس لانه بشر منقطع لا يجد بالفعل وسيلة يدفع بها

طوفان الانفجارات التي يترصد لها من هؤلاء الناس الذين يقفون في

صدر كل احد يحسون فيه همّة عالية ونبوغا متشعشا سواء كان على حق

ام باطل وانما ينجحون في قبال القوة يلمسونها في طرفهم ومحمّد

ليس من اهلها بالفعل ولما كان حصول الحرج في صدره امرا طبيعيا

متى كان مكلفا بتنفيذه كان توجيه النهى اليه عن ان يضيّق بالقرآن ذراعا

حقا لأنّه لم يكلف بالتنفيذ عملا والتطبيق خارجا وانما كلف به انذارا

وليكون القرآن بنفسه تذكرة لمن لا بس الأيمان واحبّ البسط والتفصيل

من مقام عالم والقرآن هو ذلك المقام .

واصولاً موقف الانسان بين السخائف والشرائف موقف يهون عليه في الأول ومهما طالت شقته ويثقل عليه في الثاني وان قصرت طريقه مثلاً الانسان بالنسبة الى رغباته النفسية قد يسهر على بناء منزل لــــه وتجهيزه سنين طويلاً ويتحمل في سبيله كل مشقة على الجسم وعلى المادة ولكنه يتناقل من مطالعة موضوع علمي او سماعه لمدة ساعة واحدة على ان بناء المنزل لا يبني كيانه ومطالعة الموضوع العلمي يخرج من ظلمة جهل الى نور علم ومن لطوء شخصية الى رفعتها .

وبهذا الميزان يوازن بين الظلم والعدل في الحكومة وماكثر الظلمة في الكون الا لأن الظلم معناه تنفيذ القوة كيفما اوجت به الشهوة واما العدل فمعناه تنفيذها بعد الفحص والتحرى والتفكير والتدبر وقد تكون مؤنة الظلم على الظالم اكثر من مؤنة العدل على العادل كما هو محسوس .

وبهذا التوازن ايضاً ينظر سبب انتشار الناس وراء المكاسب ومهما كانت مجهداً وتباطئهم عن سماع الحق وتبليغه لمن به قدرة على ذلك وان كان لا يستلزم جهداً ، ونبي الأسلام لم يكن من اهل هذه المقولة بدليل انه ما بنى لدنياه من متاعه شيئاً ولكنه كان على مقربة من ذلك في بدء صدوعه بالدعوة لعوامل (١) انه عندما كان خاملاً لم يكن له رقيب ولا حسود ولا راصد لان الخامل لا يحسده احد ولا يغيبه اماً اذا اراد الطلوع بنفسه فان حساده ورقبائه تتكاثر عليه بمقدار رقيه وعلوه والحساد لهم اثر فعال في عرقلة المحسود وتكثر المشكلات امامه ونفس تصور هذا المعنى مما يحز في نفس الانسان (٢) ان طرفه المدعو مما ينبو بذائقته عن مقاربة الفضائل والأبتعاد عن الرذائل وان كان يهوى الأولى لما فيها من صيت واشتهار ويتستر في الثانية لما فيها من سقوط

وامتهان فهو يحذر ان داعى الفضيلة اذا كثرت انصاره ان تقطعه عن هواية نفسه وتخرجه فى ملابتها بخلاف ما لوصمت الفاضل امام الجاهل فان جهله لا يشط به ولا يشتط عليه وهذا امر له اهميته عند الناس قد يما وحديثا ولذلك نرى معارف اليوم لما رأَت نفسها مجبورة على توسيع شبكة التعليم التجأت الى التوسع فى المعلومات التى لاصلة لها بالفضيلة كالحساب والهندسة وسائر الفنون الرياضية والطبيعية لعلمهم ان سطح هذه المعلومات لا يبعد بصاحبها عن الرذيلة ولا يقرب به الى الفضيلة فلا تزام من جراء ذلك بشيء ومهما عسفت وانحرفت (٣) ان عرامة الجهل شديدة التوثب بعيدة عن الأناة فاذا واجهت ما لا يروق لها اندفعت بشتى الوان السباب والصياح والتهريج وايراد اقسى ما يمكن من التعذيب والتنكيل والمضاربة والمقاتلة ومواجهة هذه التوجات بالمثل مما يصعب على اهل الذم وان كان يسهل على غيرهم من المجرمين .

وكلمة اتبعوا صيغة امر وجهت الى المشافهين بالقرآن ومن كان بحكمهم عقيب تكليف النبى بالانذار به لتكون هذه الأوامر القرآنية رداء للسان محمّد وبيانه كما وجهت اليهم صيغة نهى عن اتخاذ الشركاء النزعة التى هم عليها فعلا بقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء والمسراد بالأولياء هنا هى الاصنام التى طالما وقعوا لها ساجدين وختم الكلام بأن التذكرة والتوجه الى الحق قليلا ما يحصل فى الناس لالتوائهم على الحقيقة فى اكثر ما يأخذون ويذرون .

\* ( وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون :فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين :فلنسألن الذين ارسل اليهم و لنسألن المرسلين :فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين :والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون :و من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ) \*

كم هنا خبرية مفادها التكاثر والبأس هو الشدة والقوة والبيات هو الليل والقيولة هي الظهر وما قاربه وكلا الوقتين للأستكتمان والأستراحة والدعوى والدعاء كلاهما رفع الصوت بالكلام ، فى هذه الآيات تحذيرات قوية لعالم البشرية وزجر عن ارتكاب المعاصى ودفع عن مقارفة الذنوب بأنه تعالى اهلك امما كثيرة و اباد اجيالا وفيرة يجيئها الهلاك تارة بليل دامس بزلزال او بركان او طوفان وشبهه واخرى فى يوم ضاحى فى وقت تتشقق انواره واضواؤه فعندما يشارفهم العذاب او يلابسهم فيجلب توجههم اليه وانه هلاك واقع وعذاب ماحق ومؤاخذة مانها بدء يرفعون اصواتهم بالأعتراف الذى زووه زمنا والأقرار الذى ما باحوا به دهرأ بأنهم كانوا فى مدى اشواطهم مع الحياة ظالمين معتدين آثمين لكن هذا الاعتراف لا يعود يفيدهم اذنى شىء بل يسحقهم قضاء الله حتى يكونوا عبرة للباقيين فلنسألن بعد الأيقاع الدنيوى وعند ما تقوم الساعة ويحضر الحساب الأمم الذين ارسلنا اليهم رسلنا بالبشرى والأندار فما اجابوا ولنسألن الأنبياء

الذين ارسلناهم الى تيك الأم عمّا واجهوا من تكذيب وازراء ولنقصنّ على الطرفين الداعى والمدعو بعلم لا شوب فيه ولا خلط ماجرى منهم وعليهم لأننا كنّا حاضرين لديم ناظرين اليهم واقفين على كل دقيقة صدرت وخفية قرّت وميزان يومئذ ميزان حق لا يخسر صاحبه ولا يبخسه فمن ثقلت كفة اعماله بالصالحات فذلك هو الفالح الناجح ومن استخفت به موازينه لقلّة الخير فيها وكثرة الشرّ فذلك هو الخاسر وخسران يومئذ اقبح خسران اذلا تدارك معه .

\* ( ولقد مكناكم فى الأرض و جعلنا لكم فيها ما عايش قليلا ما تشكرون : ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين : قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار و خلقتة من طين : قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ) \*

الخطاب فى قوله ولقد مكناكم لبني آدم على الأطلاق ومعنى تمكينهم فى الأرض جعلها تحت اختيارهم واعطائهم الهدى الكافى فى تسخيرها واستثمارها والاستفادة منها بشتى وجوه الاستفادة وجعلنا لكم فيها معايش اما بالانبات الطبيعى من دون بذل مؤنة فيه واما بأبداع المواد الأولية الصالحة للعمل والتقليب ومع هذه النعم الجسام قلما يكون منكم شكر لها ولقد خلقنا ماد تكم الأولى وهى الطين ثم صورناكم بالأشكال الحاضرة ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم تشريفا لخلقته الله سبحانه فسجد الملائكة كلهم الا ابليس لم يمتثل فلم يكن

من الساجدين فقال له المولى جلّ شأنه ما منعك ان تسجد اى من السجود اذ امرتك فى ضمن مجموعة الملائكة الذين انت فى غضونهم ومندرج فى مضمونهم وكلمة لا زائدة فى التركيب وعلّة المجيء بها ان معنى الاّ تسجدوا هو معنى المنع نفسه فكأنّ قوله الاّ تسجد تفسير لقوله ما منعك فكان جوابه انه اشرف منه والمشروف لا يقع مسجودا له بحقّ وفسرت شرفيته بأنه مخلوق من نار وادم مخلوق من طين لكننا لم نفهم والى الآن بم ترفعت النار على الطين فان لكل منهما خصائص طبيعية وفوائد ماديّة وليست خواص النار بأبرز من خواص التراب والماء، ولما كان منطق غلطا واضحا وتمرده على الوظيفة متجليا منكشفا وسوء اذ به امام المولى شاهرا جاهرا قال له سبحانه اهبط منزلة وتسفلّ درجة وابعد مكانا ومكانة فما يكون لك ان تتكبر اصلا وعلوى الأخص فى منطقة المقربين من الله واخرج من ساحة عزّ الملائكة الممثلين وعباده الصالحين الى مكان داحض انك من الصاغرين الأذلاء المطرودين من ناحيته تعالى .

واصولا نحن مهما اسأنا النظر فى الحياة فوجدناها مهزلة من عامّة نواحيها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وفى كل شىء بما يغيظ السمع والبصر وكافة الحواس ظاهرة وباطنة بلا فرق بين شرق وغرب وامة وامة مع الاباحية الصرفة والتظاهر بالدين ومجناها بعد قطع شوط وتمنيها معها الموت لما نجد فيها من تسيّب واهمال وفشل وانخزال ومهما حاولنا تطبيقها على موازين الحكمة لم نتعقله مع كل هذا وذاك فان التدقيق فى اصل خلقة النوع ممّا يمسك بنا عن الجحود للصانع اذ لا يعقل الأغماض عن ادنى طرف ممّا قلنا فضلا عن اعلاه والسير العقلى الدقيق فى ذلك يستثمر نتائج نشرها .



(١) مرحلة الشعور الأنسانى :الشعور الأنسانى اذا ابعد به عن ملابسة ما يحيط بصاحبه من كون فاسد فى الفور يشكّل له ولكافة من كان على وتيرته مدينة فاضلة فان المفاهيم العالية اول ماتطفح للأنسان قبل المفاهيم السافلة ولذ لك ترى الأنسان قبل ملابسته لظروف الحياة ومعكراتها يتوجع للفقير والمريض والمظلوم ذلك لأن المفاهيم السافلة ليست من شغل الفطرة وانما هى من ايجساء الملابسات مثلا الجور الذى يلاقيه الأنسان من آخر يحزّ فى عاطفته فيريد دفعه عن نفسه والانتقام من الجائر وحيث لا يصادف من يحكم له بعدل ويأخذ له بثأر يلجئه حبّ الانتقام الى التذرع بكلّ شىء من احراق زرع الجائر وقتل ولده ونهب اموال رحمه ومن يبتّ اليه بحيث يرى فى ذلك اغاظة للجائر فيبرد من جرّاء ذلك شىء من غلّته وهكذا عند ما يلابسه الضيق والفقر والمحروميات من مزاحمة الأغيار لحقوقه الأجماعية فهو يحاول الخروج منها بكل صورة من تلك الصور قطع الطرق وضرب الجيوب والتسلق على البيوت .

(٢) فى كون الطبيعة رأس مال وبضاعة للأنسان ، لاشك ان الطبيعة مشحونة بما لا يحصى من الخيرات التى تقوم برفاه الانسان من عامة جنباته ومن بعضها ماتجلى للكون ورأته احداق البشرية وبفضل الشعور الأنسانى الموهوب من خلق الأنسان وابدعه وهكذا بفضل الحول الأنسانى الذى وهب له من الخالق ايضا استطاع الأنسان ان يبني له كيانا ماديا واسعا وسيتسع مادام للطبيعة وللأنسان ولشعوره بقاء .

(٣) تطبيق المادة والمعنى ، بلا شك ان المرحلتين السابقتين توجبان على العاقل ان يجمع بينهما على ضوء المنطق فلا ينكمش

بشعوره في السير الغير المفيد كما عليه المتزمتون الذين قضاوا اعمارهم في التوافه نظير اولئك الذين افنوا اعمارهم في حشد الفضائل لجمل عائشة وما كان على مقربة من ملاكه كما لا ينحصر بنفسه في الماديات بحيث لا يزن سواها بشيء فان مثل هذا الموجود تزويه شهوانه عن كل خير فلا بد من خلط كلتا الجهتين المادية والمعنوية حتى تسيّر الحياة بالأبدان والضمائر سيرا يعود على الجميع بالخير العميم لأبدانهم وضمائرهم وبهذا المزج يتحقق الشكر لله تعالى .

\* ( قال انظرنى الى يوم يبعثون : قال انك ممن

المنظرين : قال فيما اغويتنى لاقعدنّ لهم صراطك

المستقيم : ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم

وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم

شاكرين ) \*

في هذه الآيات وعورة على الفهم وثقل على المنطق وصعوبة واغلاق فأما مسألة اطاله العمر فهى من الميسور على الخالق بتجديد بنيته الوجودية واية كانت مادتها وكذلك مسألة اجابته الى دعوته لأمتحان الناس واختبارهم لها وجه ولكن المهم ان ابليس وحتى لو فرض له وجود مجرد غير محدد بمادة كيف يتصور فيه ارتباطه بكل مكلف مكلف من اول الخلق الى يوم البعث وانه يأتي الجميع من جميع منافذهم التى يسلك منها اليهم نعم يمكن تصحيح البحث فى تصوير واحد بعد ادخال تعديلات فيه وهوان يفرض فى ابليس امكان التحول من صورة الى صورة ولازم ذلك ان يكون ماديا فان المجردات المحضة لا تلبس المادة الا بطور تدبير والقرآن ينص على ماديته وانه مخلوق من نار وانما اعتبرنا

امكان التحوّل فيه لان تشخيصه بصورة واحدة محسوسة ممّا يبطل اثره الذى يحاول بابتعاد المخلوق عنه حيث يعرفونه مغنويا لهم مسببا لشقائهم وبلائهم وانه يُشيع ارجوفة ويخلق شكوكا ويشير اوهاما لواحد اولأثنين اولأكثر فتكون هذه الشكوك بتناقل الناس لها سبب اغواء لمن وصلت اليه وهيمنت عليه فهذا معنى قعوده للناس على الطريق الذى مهّده الله لهدايتهم وهو طريق العقل واتيانه اليهم من بين ايد يهم يعنى امامهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وانك يارب سوف تجد اكثرهم منجرفين مع الغواية مسوقين مع السائق الضال والأنظار هو الأمهال ومعنى قوله فيما اغويتنى اى سببت لى ما فيه غوايتى وهو امرك لى بالسجود وتمردى عليك فكان من اثر ذلك ابعادى وطردي .

\* ( قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم  
 لأملآن جهنم منكم اجمعين :ويا آدم اسكن انت  
 وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه  
 الشجرة فتكونا من الظالمين :فوسوس لهم  
 الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سواتهما  
 وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا  
 ملكين او تكونا من الخالدين :وقاسمهما انى لكما  
 لمن الناصحين ) \*

المذؤم والمذموم كلاهما بمعنى واحد والمدحور هو المطرود  
 المبعد والوسوسة هو الهمس والأبداء هو الأظهار والموارة هى  
 الستر والسوءة الفرج وسميت بذلك لأنها تسوء صاحبها اذا انكشفت  
 اسائة عرفيه والمقاسمة هى المحالفة .

بعد ان وقع ابليس مغضوبا عليه من ناحية ربه امر بالخروج عما  
 كان فيه من مكانه خروجا مقرونا بالذم والطرده واللام فى قوله لمن تبعك  
 منهم لام ابتداء ومن مبتدأ ولأملآن لامها لام جواب قسم سدت مسد  
 جواب الشرط من تبعك منهم جملة شرطية هذا ماكان من امر الشيطان  
 وتخلّفه عن امثال اوامر الرب والتبعات التى لحقته .

واما آدم بعد خلقته وسجود الملائكة له سوى ابليس وتوعد ابليس  
 لهذا المخلوق ولذريته بالأغواء والأضلال فقد ابتدأ دوره بأن أمر هو  
 وزوجه بسكنى الجنة وقد تقدّم الكلام على المراد بهذه اللفظة فى سورة  
 البقرة والأكل فيها من حيث شاء وأجل الأمتحان منعاً منعاً وضعياً  
 لا تكليفاً محرماً ان يقربا من شجرة تقدم الكلام عليها ايضا ونتيجة المنع

منها وضعا تغير وضعهما من لون الى لون اعلا وانزل ومثل هذا الظلم بالنفس لا يكون محرّما شرعيا بل هو موكول الى نظر صاحبه كمن يختار لنفسه بدل الأماكن النظيفة المرفهة الأماكن المنحطة بالنسبة فيسكن الكوخ بدل القصر مثلا ويلبس الخشن مكان الناعم ويقدم التعب على الراحة ونظير ذلك فان فيه ظلما بالنفس لكنه موكول الى نظر صاحبه هو وما يختار ولا الزام عليه من ناحية الرب وهنا جاء الشيطان الى تنفيذ ما وعد به من الأغواء في أول حلقة من هذه السلسلة الجديدة في خلقتها فوسوس لآدم وزوجه وهمس في اذنيهما بالنسبة الى ما منعاه منه ان لا طريق للأغواء سواء ومقارنة ظهور سواتهما لهما بمجرد تناولهما من الشجرة الممنوعة تقدم الكلام عليه ايضا وكان لحن وسوسته لهما ان منع الله لكما عن تناول هذه الشجرة انما كان لأن أكل هذه الشجرة مخلد في البقاء او لأنه ينقلب الى حقيقة اخرى تحمل نتيجة الخلود ايضا وهي الحقيقة الملكية وحلف ابليس على مدعاه هذا وأنه لهما لمن الناصحين وهذان المعنيان اللذان اظهرهما ابليس اشبه ما يكون بمن يصف لصاحبه دواء يعطيه النشاط والقوة وطول العمر، فلم يجدا فيه حزاة مولوية حتى يكونا قد ارتكبا بتناوله مأثما شرعياً وانما تركا ما هو الأولى بهما .

\* ( فدلّاهما بغيرور فلّما ذاقا الشجرة بدت لهما  
سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة  
وناداهما ربّهما ألم أنّهما عن تلكما الشجرة  
واقبل لهما ان الشيطان لهما عدوّ مبين: قالوا  
ربّنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا  
لنكوننّ من الخاسرين: قال اهبطوا بعضكم  
لبعض عدوّ ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى  
حين: قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها  
تخرجون ) \*

التدلية هى الأنزال الى اسفل ومنه تدلية الدلو والغرور هو  
التدليس وطفق من افعال الشروع بمعنى جعل واخذ والمستقر محلّ  
القرار والمتاع المتعة وحين اسم زمان يصدق على الوقت القصير  
والطويل .

فكان من نتيجة اغواء ابليس للزوجين آدم وحواء انهما ذاقا  
تناولا منها تناول من يضع فى فمه الشئ ليطعمه من تلك الشجرة  
فبدت لهما عورتهما فاستقبحا منظرها فأخذا يجمعان من الأوراق  
ويضعان بعضها على بعض مستعينين اما بأيديهما يضعانها على  
الورق حتى لا يسقط او يخرز أعضائها بظفر او اشاكة وحينذاك جاءهما  
النداء من ربّهما بالتأنيب على المخالفة لما وصّاهما به فأجابا بانكسار  
انهما ظلما انفسهما بمخالفتها لأشارة مولاها عليهما وانه تعالى  
ان لم يغفر لهما ويرحمهما ويولهما شيئا من عنايته وعطفه ولطفه يكونا  
من الخاسرين لتوجهاته التى هى ابعد الغايات للعاقل الحساس

فكان من جواب الله تعالى لهما انكما بعد ان تأثرتما بأغواء ابليس ووجدتما من طريقه خسرا وضرا لاشك تعودان اعداء يحمل بعضكم على بعض روحاً متكدرة وخواطر خشنة، وقد بينا معنى الهبوط واحتمالاته فيما اسلفناه من تفسير سورة البقرة، ثم ان الأرض مقركم انتم يا آدم وحواء وابليس ومن يكون منكم وفيها متعتكم الى امد ما وفيها تكون حياتكم وعلى صعيدها تنتهى اعماركم ومنها تخرجون للبعث والحساب .

\* ( يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباساً يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون : يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون : واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ) \*

وبعد ان ابتدأ آدم دوره الجديد فى الحياة وعرف ان مستقره الأرض وان له بقاء ومتعة الى حين غير معلوم فى طوله وقصره وان له عدواً راصداً له ينتهز غفلاته وان الانسان له منافذ يؤتى منها وان العاقل من توجه الى غراته هذه حتى يسلم ويأمن من بوائق الحدثان نودى اعقابه واخلافه عظة ونصيحة كما نودى هو بمثل ذلك بقوله تعالى يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباساً والأنزال معناه التهيئة بأعداد

الطبيعة لاستخدامها بأيدي البشر من طريق هداهم الغريزي واللباس ما يطفى البدن كله او بعضه ويوارى سواتكم يغطى عوراتكم وقد يراد به اعطاء الله العقل للبشر ليستروا من طريقه عيوبهم ويحفظوا نفوسهم وكذا انزلنا عليكم ريشا والريش ما به جمال الانسان ومصونيته كريش الطائر فإنه زينته وغطاؤه وبه يصون وجوده من حر شديد وبـرد قارس وشتات حوادث هذا وما اسلفناه لباس للحياة البشرية من جهة ماديتها لكن لباس التقوى والتورع عن المعاصى واجتناب الرذائل ومقاربة الفضائل والتعاون على الحق واحقاقه خير من كل لباس وهذا الذى اوضحناه وبيناه من آيات الله وحججه وبراهينه وعظائمه ونصائحه انما واترنا به وكررتاه لعلمكم يا جامعة العقلاء تتذكرون .

سيحان الله ما اعز البشر على خالقه فكم الغت منه نظرا وساق له عبرا و وعظه ونصحه و واتر اليه بالتوجيهات القويّة ومن جملة ذلك قوله يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان بتسويلاته فتفشلوا فى هذه الحياة كما اخرج ابويكم من الجنة بفتنته لهما ينزع عنهما لباسهما يحاول بذلك افتضاحهما ليريحهما عيوبهما وما يستقدرانه من انفسهما ان الشيطان يراكم هو وقبيله الذين هم مثله فى ظلمانية الروح وفساد الضمير وتعكر الباطن من حيث لا ترونهم اى لا تقفون على حقائقهم لأنهم يغطون على خبيثهم وسوء نواياهم بالظواهر المعسولة وهكذا كل من يريد فتنة غيره واصطياده وانا جعلنا الشياطين لصيقين لصوت الغلالة بلابسها من كل انسان لا يعير المبادء الصحيحة نظرا صحيحا واذنا فعل هؤلاء المنبوذون من عقولهم فاحشة وقارفوا اثما وعوتبوا على ذلك فلم يجدوا جوابا مقتعا احوالوا الجواب الى ما وجدوا عليه الآباء وعللوا فعل آباءهم بأنه كان عن امر من الله سبحانه فندد بهم رب العزة بأن الله



لا يأمر بالفحشاء بعد ان نهى عنها واستنكر عليهم التقول على الله  
عالمين بكذب النسبة اليه كانوا ام جاهلين فأنه لا تجوز نسبة اى شىء  
يفرض اليه الا بعد التحقق من ذلك .

وختاما جاء فى لغة العرب كلمة شطن بمعنى بعد وعلى ذلك  
فالشيطان انما سمى به لانه يبعد بالانسان عن الجادة بأغوائه لله  
وهذه الآيه تنبيه من الله لعقلاء عباده بأخذهم الحذر من تسويلات  
اولئك الذين يحاولون استغلالهم من ناحية واسقاطهم عن درجة  
الأعتبار من ناحية ثانية وان المسؤولين يدبّون الدبيب الخفى للأصفياء  
من الناس من حيث لا يشعرون بهم لبطاطهم امام اولئك المرموزين  
وانه سبحانه جعل اولئك الشياطين اولياء لغير المؤمنين واما المؤمن  
فانهم لا سلطان لهم عليه بالشرح التالى :

(١) الأيمان كما يقول اهل المعقول اعتقاد بالجنان واطهار  
باللسان وعمل بالاركان والأعتقاد معناه رسوخ المطلب فى نفس الانسان  
بحيث لا تتردد فيه اصلا واذا حصل لها تردد فيه خرج عن كونه  
اعتقادا الى كونه احتمالا واذا امتلأت النفس يقينا بالمطلب اندفعت  
قهرًا وراء تحقيقه فاللسان يدعو له والجوارح تعمل من اجل تحقيقه  
وذلك من الغرائز التى لا تحتاج الى ايضاح واقامة دليل .

(٢) والأعتقاد الجازم لا بد وان يكون متعلقه مكشوفًا واضح الهوية  
والا كان تقليدا والتقليد لا قيمة له لانه سرعان ما ينقلب بالأغواء ومع  
انكشاف متعلق العقيدة لصاحبها يستحيل استغوائه ومن هنا نستبين  
خلوص ايمان المسلمين فى صدر الأسلام اولئك الذين عذبوا عليه فما  
انكفأوا عنه وشرّدوا من ديارهم مهاجرين احتفاظا بأيمانهم الذى لم  
يولهم متعة فى الحياة عندما اعتنقوه بل عاد عليهم عارا وسبة وعذابا

(٣) ومهما ضويق المؤمن على ايمانه فإنه انما يعذر عن التظاهر بالعمل بالأركان واطهارات اللسان واما اطمئنان القلب فلا حكومة لايه طاغية عليه لان حكومة العنف سلطانها على الظاهر فقط ففى مثل هذه الأحوال ترى المؤمن يشمئز لما يخالف عقيدته وينبسط لما يؤيدها قهرا وبدون اختيار ويستحيل عليه ان يخادع نفسه مجاراة للمتفلت .

(٤) وبناء على هذه المقدمات الثلاث اذا حللنا المجتمع البشرى اليوم وجدنا ان الأكثرية الساحقة من المنتسبين للمبادئ سواء كانت دينية سماوية ام انسانية ارضية تكذب فيما تدعى لنفسها لأن المبادئ التى تدعى بها تحكم جميع ماصدرو ويصدر عنها بالكفر بالمبدأ فمن المستحيل على صبغة السماء وبأية سمة تلبست مسيحية ام يهودية ام اسلامية ان تبهر الأعمال الأنحرافية بشيء صورها جنسية كانت ام غيرها اجتماعية كانت ام اقتصادية ام سياسيه ولا يستطيع المنتسب للسماء ان يبهر المداهنة او المخاتلة او التصرف بالمبادئ مراعاة لظاهرة سائدة وان يشتري ميول النافذين بعقيدته كما من المستحيل على غريزة الإنسان ان تتجاهل بنفسها فتحل في زمن ما حرمته فى زمن آخر وكلما نراه من نسخ القوانين الثابتة فأنما هو من السحق على الغريزة الانسانية بلاريب .

(٥) ولاريب مع انكشاف متعلق العقيدة للمؤمن انه اذا خالفه وقاومه وبارزه ثبت انه ياره وسقوطه وتهتكه وامتهانه فكأما نلاحظ فى الجديد فأنما هو اسقاط لكرامات النفس وحيثياتها لا اعلاء لها وتنمية وتزكية و تثقيف كما يقولون .

(٦) واذا كان اقل مراحل الأيمان هو اطمئنان القلب بالعقيدة بحيث تشمئز مما يخالف عقيدتها فما نراه من انشراح اصحاب المبادئ

السماوية والأرضية للاغارة على الناس واستعمارهم والأيقاع بهم وحبّ اشعال الفتن بينهم وخلق القلاقل لهم من اعظم الواضحات لاعلى كذب مزاعم هؤلاء فيما يدعون من مبدأ بل على اعتقادهم بأصالة كلّ دنيئة وردّ يله وكلّ عسف وجور وكلّ تسيّب واهمال .

\* ( قل امر ربّي بالقسط واتيّموا وجوهكم عند كلّ

مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدتكم

تعودون :فريقا هدى وفريقا حقّ عليه الضلالة

انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله

ويحسبون انهم مهتدون ) \*

القسط هو العدل واقامه الوجه هي التوجه امر تعالى ان يقول نبيّ الأسلام لكلّ من يسمع ان الله يأمر بالعدل في كل شيء اذ خلاف العدل ميل والميل مآلم السقوط كما امر ان نقيم وجوهنا عند كل مظنه للقداسه والطهاره ومساجد الله مظانّ ذلك فالأكثر من مرادتها تزكيه للنفس وتطهير للضمير وتذكير بالخير وان نستجده في كافه امورنا مخلصين له في دعواتنا وانه تعالى كما بدأ خلقنا يعيدنا فريقا من الناس هداه الله للخير لأنه كان طالبا له مفتشا عليه محاولا نيله وفريقا حقّ عليه الضلاله لنبوهم عن مظان المعروف وانشمارهم عن طريقه ذلك لانهم اتخذوا الشياطين اربياء لهم من دون الله فجزّ بهم ذلك طريقه ذلك لانهم اتخذوا الشياطين اربياء لهم من دون الله فجزّ بهم ذلك الى الضلال والانحراف والغريب انهم مع ضلالهم يحسبون انهم مهتدون ، .

وبالنتيجة معنى امر الله بالقسط ان الله بنى الحياة الاجتماعية

والفردية على القسط والعدل والتوسط بين الأسراف المهلك والتقدير  
المبيد في كل شيء، واران من الانسان وبأية سمة كان ان لا يعيش  
مفرطاً فيسبب على نفسه وعلى غيره نتائج الافراط والتوسع حتى فيما  
يدعى كرمًا وشجاعة وعبادة واستبلاغ شهوة فان ذلك جماعيا وفرديا  
مهلك فان الاسراف ومهما ضخمت مادة المسرف يتلفها ويلجئه الى  
ارتكاب هنات وسيئات لا تحصى وكذلك الشجاعة اذا بلغت حدود  
النهور فأنهاتهلك صاحبها حيث يستطيع ان يستمتع من شجاعته  
بالمعقول عمرا طويلا ويستفيد فوائد جمّة وكذلك الاستغراق في  
الشهوة فان فيه فضلا عن مزاحمة الأغيار تطويحا بالنفس والكرامة  
وكذلك الألاح الشديد في العبادة فإنه مضيع لحقوق العيال  
والنفس والحياة الاجتماعية وهادم للبنية الطبيعية .

\* ( يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين :قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الد نيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ) \*

من تمام ماوعظ الله به عباده انه اكد عليهم الحضور فى مظهر التذكير والتوجيه والفات النظر بحسن الهيئة فان النفس لتستجلى ذاتها فى مواطن العزة والكرامة والجلال والبهاء ومن هنا واطر الشرع فى وصاياه بالتجمل وحسن المطمع وامر بتقويم بنية البدن من دون اسراف فان الاسراف مهلكة للمال مفسدة للمزاج هادم للبنية شاغل عن كل شغل شريف كما ذم الزهادة الداعية للتحقير والأنقباض بقوله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل يا بنى الاسلام للبشرية عامّة ان تيك الزينة وهاته الطيبات يشترك فيها البر والفاجر فى هذه الحياة ذاك باعتبار انه تناول حقه وتنعم بنعمة ربه وهذا باعتبار ان النعم موضعت بين يديه فلم يأكلها من طريقها الا ان ميز المؤمن عليه ان هاته النعم خالصة له يوم القيامة لا يشاركه فيها الفاجر مضافا الى ان خلوصها له دون من سواه خلوص يتمم معناه وهو انه ينوشها بلا شائبة كدر يزعجه او مزاحم يزاحمه او ضرر يتوجه عليه منه بهذا التفصيل الأنيق نفصل الآيات لقوم يعلمون ماذا نقول لهم ويعملون بما يعلمون .

هذا وباعتبار ان من دواعى تهويل البعيدين عن العقيدة

والدين ما يرونه من تقشف المتزمتين اولئك الذين تعمقوا في الدين من دون معرفة لهم بأسراره حتى اصابهم من جزاء جهلهم به وانغمارهم فيه بمقتضى وحى اوهامهم كثير من البله عقليا ووفير من نحول البنية الطبيعية جسميا - قال المهولون - نحن لانستطيع ان نتلف حياتنا في قبال لاطائل او طائل لانعلم كمه وكيفه كما نراه في هؤلاء المتزمتين فردّ الله عليهم بقوله قل من حرم زينة الله ومعنى ذلك ان الله اراد من المؤمن ان يكون مثالا حيا لعدة امور :

(١) الأول: ان يفهم ان الدين انما تقرّر للدينيا وصورها عن الملوثات الهوادم فان الحياة لاتصان بغير الدين قطعاً وما يتركز عليه الأقوياء بأعمال النفوذ فانه لا يعطى غير الأرهاق للبريئين وتدليس المشعوذين وقد شاهد البشر ذلك في كافة ادواره .

(٢) الثانى: ان يحسن المنطق الوزين والبيان المتين بحيث يحتشمه كل من يستمع اليه .

(٣) الثالث: ان يوقر نفسه بلباسه وحركاته وسكناته بما يبدو عليه اثر الوقار والهيبة .

(٤) (٤) ان يتجمل في بيته ومأكله ومطعمه حتى لا يغالب نفسه ويعاديه او يستهين به من يعول بهم .

(٥) ان يسعى لرزقه بالمعروف وان لا يعيش كلاً على غيره .  
هذا مضافا الى ان دنياه هذه ستعقب له عاقبة حسنة جداً .

\* ( قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن  
والأثم والبغى بغير الحق وان تشركوا باللّٰه  
مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على اللّٰه  
مالا تعلمون : ولكلّ امة اجل فاذا جاء اجلهم  
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) \*

الفواحش هى القبائح الطافحة لكل نظر بحيث يستقبحها كل  
عاقل بلاميز لعرف دون عرف سواء كانت ظاهرة كالفسوق المعلنّة ام  
كامنة كألقاح الفتن من خفاء ، وذكر الاثم والبغى والشرك باللّٰه والتقوّل  
بعد ذاك العام من باب ذكر الخاص بعده لأهميّة فيه والأثم هو  
الجريمة والبغى هو الأستطالة على الغير بغير حق والشرك هو اعتقاد  
ان شيئاً ماسوى اللّٰه يشاركه فى اصالة التأثير والأستقلال بالمنع  
والأعطاء والمثوبة والعقوبة وكل شرك بهذا المعنى لم ينزل به اللّٰه  
سلطانا والتقوّل هو تزوير القول ونسبته الى من لم يقله ، ثم ابان  
سيحانه ان للأمم آجالا كما للأفراد آجال وللأجيال اعمار كما  
للأشخاص اعمار فاذا جاء اجل الأمة فنيت وطلع الكون بظاهرة اخرى  
وبهذه المقاطع والحدود تتجزأ ازمنة العالم ، وشرافه الجيل وسفالته  
تابعة لشرافة مايسوه عليه من ظاهرة عالية او سافلة كما يقال فى دور  
الفضيلة انه كان فى صدر الأسلام وفى الرذيلة أنّها كانت زمن بنى امية  
وقس على ذلك من اشباه ونظائر .

\* ( يا بنى آدم اّمّا يأتينكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتى فمن اتقى واصلح فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون :والذين كذّبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ) \*

ابان سبحانه ان البشرية على طول خطّها مع الحياة هى فى حاجة الى موجّه يأخذ باحاسيسها الى جانبه الواقعى حتى لا تنحرف ولا تضلّ ومن هنا كانت بعثة الرسل واجبة عليه وقبولها لازما على الناس ولذلك قال تعالى يا بنى آدم اّمّا يأتينكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتى اى يحكونها لكم عنّي فمن اتقانى وقبل عنهم بالقبول الحسن واصلح حاله وباله فلا خوف عليهم من الله ولا هم يحزنون عنده والذين كذّبوا باياتنا بعد ان استعرضوها واستكبروا عن قبولها فأولئك هم اصحاب النار وملازموها .

واصولا ان للحياة البشرية رسالتين لا بدّ من اقترانهما على اىّ صعيد يفرض لتكريز نتائجها الصحيحة فى المجال الحيوى العام احداهما خفيفة المؤنة فى التبليغ بحيث لا تحتاج الا الى تسويّل واستهواء واخراهما اشرفهما مغزى واشقّهما قبولا على الروح واسرعهما جفولا عنها .

(١) اّمّا الخفيفة فهى الدعوة الى الشهوة والتركاظ فى اوديئة الضلال كالدعوة الى الألحاد ونزع قيود المبادء والى التعرّى من كل حجاب والطغيان على كل قانون حيوى انسانيّ ومن هنا تجد الناس اذا وجدوا فجوة فى الزمان اّمّا لانهيّار الحاكميات الضابطة لهم اولتأثر الحاكمين بما عليه الخلاعيون يتفلتون على كل شىء بأسرع وقت



حتى ليأخذ الناظر المعتبر العجب من انجراف الناس عموماً طاغين على ما كانوا يدنون به قبل آوان قصيرة حتى لو كان ذلك الدين خفيف الكفة عندهم أنفاً لم يكن من حقه انقشاعه بهذه السرعة السريعة فأن الذى يشاهد ما عليه الأمة المسلمة فى يومها هذا من الألحاد والفسق وما كانت عليه فى امسها القريب من تدين قد يؤدى بصاحبه الى التطرف الزائد يحصل له استغراب مدهش لتحوّل هذا الأنسان وتغيّره بأسرع وأسرع ممّا يمكن من تغيّر المتغيّرات طبيعية كانت ام عادية، اذا فالدعوة الى الشهوة تطارد وتلاحق الدعوة الى انسانية الإنسان .

(٢) وأما الثقيلة فهى الدعوة الى انسانية الإنسان وتركزه فى نصابه بما يجعل من نفسه مجتمعا فاضلا يزن نفسه ويزن قبيله وكما يرى لنفسه حقا يرى لغيره حقا مماثلا ومراعات هذا المطلب تزع الأنسان عن الظلم والتعدّى واستحقار القوى للضعيف والغنى للفقير وتخلق منه موجودا على قوة تصرفه بنفسه وبغيره كأنه لا قوة عنده الا بما يخولّه الحق له فلو وجد حقّ الغير بمفازة احترامه او وجد عرضه فى متناول اليد عفّ عنه ولا شكّ ان هذه الرسالة تقف امام النفس فى داخلها وخارجها ومتى تحققت بين الناس وتشبعت بها الأرواح مات من جرائها الاستعمار والأستبداد والأحتكار ووقف كل انسان فى موقفه ولا شكّ ان هذا هو الذى تهواه الناس بأرواحها وعقولها وان كانت لا تعرفه بشهواتها كما لا شكّ ان هذه الدعوة لا تطارد الشهوة بما هى شهوة وانما تقف امام عرامتها فقط وعلى هذا الأساس يكون المتقى المصلح المؤيد للتقوى والصلاح بعيدا عن الخوف والحزن ويكـون المندفع المفسد المؤازر للأندفاع والفساد بالنتيجة معذبا مبلبل

## الحياة .

\* ( فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب  
 بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى  
 إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ماكنتم  
 تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا  
 على انفسهم انهم كانوا كافرين ) \*

افتراء الكذب تقصده وتعمده مع العلم بكونه كذبا ومن في قوله فمن  
 اظلم استفهام على جهة الاستنكار اى لا يتصور ان يكون الانسان اظلم  
 ممن تعمّد الكذب على الله او كذب ببراهينه وبيّناته وذلك لان الله  
 العالم بالخفايا لا مجال معه لتزوير الواقع عليه وبراهين الله التى  
 يقيمها على تثبيت مقاصده جلية قريبة من الحسّ فالمكذب لها مكابر  
 اولئك ينالهم نصيبهم مما كتب الله على امثالهم من العذاب والعقاب  
 حتى اذا جاءتهم رسلنا الموظفون بأخذ الارواح ليتوفوهم قالوا لهم  
 اين ماكنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا فلم نر لهم اثرا ولم  
 نسمع عنهم خبرا واعترفوا حين تقطعت بهم الأسباب انهم كانوا كافرين  
 بأنعم الله عليهم جاحدين لتوحد الله بهم عادلين عن الحق الذى  
 الباطل من دون ان يجدوا فى ذلك خيرا لعاجلتهم ولا اثرا لآجلتهم  
 واصولا نقول الافتراء هو تعمّد الكذب لأجل تحقيق رغبة نفسية من  
 طمع او عداوة او غير ذلك وفى الأغلب لا تكون تلك الرغبة الا آنية وسافلة  
 والتكذيب هو نسبة الكذب الى المكذب ان كان من العقلاء الناطقين  
 وان كان الى غير ذلك فمعناه انكاره فتكذيب الرسل ان كان يرجع الى  
 ذواتهم بعنوان انهم رسل فهو انكار وبعبارة اخرى اذا قيل كذب به كان

معناه نسبه الى خلاف الواقع وان قيل كذب به فمعناه انكره ، واللّه سبحانه اعتبر كلا الأمرين من الافتراء والتكذيب خصوصا اذا كانا بالنسبة الى المبادئ المقدسة من اظهر مظاهر الظلم للنفس وللغير معا وبيان هذا المطلوب يتلخص فى بيان نكات .

(١) الظلم معناه التعدى عن مركز الحق وانما انكرت العقول كلّها ذلك لان التعدى فيه اذا آن احدهما غضب الحق من مستحقه حتى لو لم تكن له فيه حاجة كغصب قطعة من المال من انسان يملك كثيرا منه ومن هنا قيل لا يحلّ مال امرء مسلم الاّ عن طيب نفسه وذلك لانه حقّه بحقيقة النسبة فسلب النسبة منه بدون رضاه غضب واضح ثانيهم ايجاد عقدة فى النفس تؤثر تأثيرها العميق وقد لا يقلع حزازتها اعظم الأشياء وهذا المعنى هو الذى جعل الظلم عند العقلاء مذموما من دون تأملّ وتسلمه الناس تسلّمًا من غير بحث وان كانوا قد ارتكسوا فيه جميعا حتى انكروا الحياة من جرّاء هذا الأرتكاس .

(٢) وكما عرفت فالافتراء تعمّد الكذب لأجل تحقيق رغبة نفسية وانما كان من اظلم الظلم لأنّ الظلم انواع منه ما لا يرتبط الاّ بخاصة الانسان كالذى يظلم نفسه باقرارها على الجهل وكل جاهل محروم من مزايا الحياة الصحيحة او ينيمها للذلة والهوان او يبخل عليها بما آتاه الله ونظير ذلك ومنه ما يرتبط بفرد دون آخر كالكذب على انسان بخصوصه ومنه ما يرتبط بالأجتماع كلّه .

مثلا اقناع عقول البشرية بأن هناك صنعا صنعها كما صنع كاقّة كائنات الطبيعة بدليل وجود خصائص مهمّة موجودة فيها ممّا يقف امام عرامتها ويدلّل من جماحها ويقلل من ويلاتها ويعين على ادارتها فى الحياة ، لكنّ تكذيب ذلك وانكار ان يكون فى العالم حاكم او حكيم

وانما هي تفاعلات الطبيعة العمياء فهو مما يحكم بحيونة البشريّة  
ويدعها مرسلّة الخناق وهذا الأرسال وذاك الهياج مما شاهدت  
وتشاهد بلواه بشرية اليوم فالفرد الطرقي واعظم زعيم حكمهما من حيث  
الأنهيار على المبادئ المقدسة سواء فكلاهما يتفكّلت وكلاهما ينتقض على  
الحق واصغر عدلية واكبرها من حيث التذبذب لا ميز بينهما كما هو  
مشاهد محسوس فمحكمة هيئه الأمم كمحكمة اصغر البلدان في عدم  
الانتاج للحق وعدم الاكتراث به وهكذا تكذيب الشرائع الصحيحة  
السماوية يكون بأشاعة الفحشاء وفتح ابواب طرق الفساد ولا يعلم الا  
الله ما يأتي عن هذه الهنات من بلايا لا تهضم ورزايا لا تتحمّل ولا شك  
ان مؤلّد هذه الانتكاسات من اظلم الظلم .

(٣) ولا شك ان المفترين من هذا الطراز والمكذبين من هذا  
الجنس ينالهم نصيبهم من العذاب والأرهاق والأعنان في صلب  
الحياة حتى اذا ازمعوا الترحال عنها وجدوا انفسهم قيد سلاسل من  
الجرائم لا تحدّ بجّد وهناك تمتعض النفس حيث لا مفرّ ولا مناص .

\* ( قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجنّ والأنس فى النار كلّما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء اضلّونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون : وقالت اولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ) \*

فبعد ان تتوفاهم رسل الله ويعترفوا على انفسهم بالكفر وتقوم قيامة الناس جميعا يقول الله لهم ادخلوا مع امم خلوا كانوا مثلكم فى الخطة والرؤية فى النار التى اعدت للكافرين فكلما تدخل امة النار تجد امثالها تلعنهم حتى اذا اداركوا اى تجمعوا فى النار بأسرهم قالت المتأخرة زمانا للسابقة عليها ربنا هؤلاء اضلّونا وسولوا لنا فآتهم عذابا مضاعفا لكفرهم فى انفسهم واغوائهم للباقيين فيقول سبحانه لكل منكم ومنهم ضعف لأنهم لم يجبروكم على الكفر وانما حسنوه لكم فعلام اخترتم اتباعهم على اتباع الله وبعد ان يرى القادة فشل الأتباع فى مسألتهم من الله مضاعفة العذاب لقادتهم دون انفسهم ويسمعوا جواب الله لهم بأن لكل ضعفا من العذاب يقولون لهم فما كان لكم علينا من فضل اى من تخفيف عنكم دوننا فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون لأنفسكم من الشرّ والكفر فانكم لم تكونوا ملجأين الى ما صرتم اليه بل كان تمسّام اختياركم ملكا لكم وعلى هذا الميزان تعاقبون كما نعاقب .

\* ( انّ الذین کذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح

لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج

الجمل فی سمّ الخياط وكذ لك نجزي المجرمین :

لهم من جهنم مهّاد ومن فوقهم غواش وكذ لك

نجزي الظالمین ) \*

التكذيب هو انكار ان يكون للشيء واقع والأستكبار معناه اعتقاد واقعية الشيء إلا ان روحية الانسان تتعالى عليه ولا تجده كفوا لها وسمّ الخياط هو ثقب الأبرة والمهاد ما يكون تحت الأنسان والغواشى تكون فوقه .

ومفاد الآية ان الذين يطالعون ويواجهون الآيات التي ندلي بها من محسوسة ومعقولة ثم ينسبونها الى الكذب والتزوير وعدم الواقعية ويتكبرون عليها حاسبين ان خضوعهم لها ذلة عليهم وكسرفى شأنهم لا تفتّح لأرواحهم ابواب السماء اذا ماتوا لأن السماء مجال المقدسين والظاهرين وهؤلاء ليسوا منهم ولا يدخلون الجنة ولا ينوشون نعيمها ولا يحشرون مع اهلها حتى يلج الجمل هذا العظيم الجنة فى ثقب الأبرة وهو من المستحيلات العقلية والعادية ، وكذ لك اى وبهـذا الأزرأ والتحقير نجزي المجرمین بل مآلهم جهنم منها وفيها يمهد لهم ومن لهبها تكون اغطيّتهم وبهذا الجزأ يجزى كل ظالم .

وقد سلف منّا أنفا ان آيات الله هى تشريعاته بوسيلة انبياءه وتشريعاته تعالى على قسمين واجبات ومحرمات تشترك فى تسيير الأنسان على جواد الحياة والواجب هو الزام المكلف بالفعل والحرام هو الزامه بالترك وقد يحسب البدائيون فى افهامهم الثقافية وان تبطنوا

اغوار الصنعة ان الفقه الذى هو كل بضاعة الحاكم الشرعى هو البحث عن احكام البئر وغسل الجنابة والحيض والأستحاضة وعلى هذا الرصيد تراهم يحملون حملاتهم العنيفة بالسخرية والأستهزاء ويقولون ان غاية جدّ الفقهاء بعد مرور سبعين سنة من اعمارهم هو انتاج رسالة عملية تبحث عن الطاهر والنجس فى حال ان الطاهر والنجس حتى لو اعترفنا بهما كيانهما ضئيل لكن القوم اصيبوا باعوجاج عظيم فى فهم مستوى الفضيلة بلاريب فان الفقيه بحق من كان مجمعا لعدة فنون لسانية وعقلية ونقلية فالفقيه الصدق من حيث اجتماعه للفنون دائرة معارف عامّة والفقيه من كان ذافهم وذوق فى عرض المطالب الحيوية والعقلية على المقاييس العلمية واستنباط الواقع بعد مخضها والفقيه من كان على غاية من الورع والتقوى والصفاء والتجانية هذا هو الحاكم الشرعى بلا شرط فيه ان يعرف من الصنعه شيئا وقياسه الى عالم الصنعة المتمحض فى ذلك قياس السائس والمسوس والأستاذ والتلميذ فان الصنعة انما تخدم الشهوة والشهوة فى حد ذاتها عارمة فاذا حصلت لها مسهلات ازدادت طغيانا وذلك ما نراه بأحد اقنا فى عصر الصنائع الذى يزداد فى الخفة والأنهيار كلما علا افق الصنعة .

اما الفقيه فهو الذى يبارز الظلم والظالم والأحتكار والمحتكر والجهل والانحراف والمنحرف ويدأب على حفظ نواميس الناس وحيثياتهم ومادياتهم ومعنوياتهم بطرز فائن تكون الحياة معه حياة بشر فاضل وانسان كامل واما اذا تدهور الفقيه بالمرّة وقبض على ازمة كل شىء الطبيعى والطبيعة فهناك كل الويل للبشرية فلاترى فيها الا ضراوة حادة وتهتك وخلاعة لاحد لأبعادهما وقد شوهد كل ذلك فى اعظم زعيم ونافذ واذا كان النافذون بهذه الدرجة فأحر بالباقيين ان

يتنزلوا الى اسفل سافلين هذا هو موقف الفقيه مع الحياة .  
 واما موقف الواجبات والمحرمات فان الله لم يوجب شيئا الا وفيه  
 خدمة للنفس وللغير معا فاصلاة عن معرفة بها من اعظم روادع النفس  
 ومذكرات الخير والصوم مثلها والزكاة مواساة والحج مؤتمر من اعظم  
 ما يتصور في التقاء الروح بالروح والذوق بالذوق والعقيدة بالعقيدة  
 والجهاد سواء كان للنفس ام للعدو من اعظم ركائز العزة والمنعة وعلو  
 الشخصية الى غير ذلك كما انه تعالى لم يحرم شيئا الا وفيه ابعاد  
 للرد يلة عن الفرد والمجتمع وما لا يمتري فيه ان الزنا واللواط  
 واستعمال المسكرات والمقامرة والمهاترة والسهرات المائعة والرشوة  
 والارتشاء والكذب والخيانة من محطمت الأجتماع ومخرباته ولا يكاد  
 يغنى قصر جميل مع وضع ساقط ولا آليات ممهدة مع ميوعة وتعفن وهذا  
 ما لا يحتاج الى برهان يقام عليه وهذه المعالم والمعالي الشرعية هي  
 التي اصبحت مورد سخرية المتمدنين فيما يزعمون وهو معنى قوله  
 واستكبروا عنها واما انهم لا تفتح لهم ابواب السماء فمعناه انهم  
 لا يبارك لهم في معائشهم والواقع كذلك فان معائشهم وان كانت موفورة  
 الا انهم مؤفة قدرة بما فيها من اعنات ومشاق في الحياة ومعنى  
 لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط انهم لا ينالون  
 السعادة الواقعية والحرية اللازمة الا اذا مارسوا الشرع والتزموه .



\* (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكف نفوسنا  
 الاّ وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها  
 خالدون :ونزنا ما في صدورهم من غلّ تجري  
 من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي  
 هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا  
 الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان  
 تلکم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ) \*

كّر سبحانه في كتابه ان الأعمال الصالحة وبعبارة لغة العصر  
 الخدمات الاجتماعية وان جلت وجمت لا اثر لها من دون الايمان بالمبدء  
 الحق لان دواعيها في الاغلب تكون مرموزة غير طاهرة اذاً فالأيمان  
 رصيد العمل وبدونه لا اثر للعمل الصالح ومهما كان كما قدّنا ، وقوله  
 لا نكف نفوسنا الاّ وسعها اعتراض جيء به لنكتة هي ان الأيمان والعمل  
 الصالح اللذين هما سببان موجبان لنيل كرامة الله ودخول جنته قد  
 يكونان شاقين مشقة لا تتحمل او متعذرين فيكون تعليق دخول الجنة  
 عليهما تعليقا على مستحيل فدفع الله هذا الوهم بقوله لا نكف نفوسنا  
 الاّ بما يسعها وهي قدرة عليه بسهولة لان معنى السعة هو ذلك  
 اذا فالمؤمن عقيدة العامل على ما تتقاضاه هو مستحق الجنة والخلود  
 فيها وحينذاك تنزع من صاحبها رسوبات ما كان عليه الأنسان في عالم  
 دنياه وان لم تناف ايمانه كحسد لا يعمل وعداء لا يمشى ورائه بغير  
 المشروع واشباه ذلك ، ويقول المؤمن عندما يحكم له بالجنة ويشارفها  
 الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله  
 الى ذلك بارشاداته وتعاليمه وتوفيقه ولطفه لقد جاءت رسل ربنا

الذين بلّغونا عنه بالحق الثابت الذي كان سابقا وعدا وصار بالفعل  
عيانا ونودوا من ناحية الله ان تلکم الجنة يمكن ان تكون الاشارة قبل  
الدخول عند المشاركة كما يمكن ان تكون بعد تحقق الدخول وانما  
جىء بها بصيغة البعد تعظيما لها او اشعارا بترامى ابعادها  
اورثتموها اى اعطيتموها بسبب اعمالكم الصالحة .

واصولا فان الأيمان معناه ادعان النفس بالمبادء الصحيحة  
الأنسانية المستوحاة من العلماء المعنويين المثاليين وليس الأيمان  
بأى مبدأ كان يعتبر ايمانا فالمتبني لعقيدة الشيعيين او الملحدين  
ولو لم يكونوا شيعيين او لأية عقيدة اخرى غير ماعليه العلماء المثاليون  
لا يقال له مؤمن بل لاقيمة له لأنه وان اتسم بانه انسان الا انه من  
محطى الأنسانية ومسقطيها عن درجة الاعتبار وحاشريها فى زمرة  
الحيوانات اللاطئة والحشار الساقطة كما يظهر ذلك جليا فى هذه  
الأعصار التى قامت على المغالبة والمخادعة واستغلال القوى للضعيف  
بشتى الصور والأنحاء .

فالمؤمن معناه من يعتقد بأن الإنسان كيان خاص له احكام خاصة  
وذو شرف يعطى شرفه هامة الجوزاء اذا سار على ماتوحيه مشاعره  
الأنسانية لاشهواته الحيوانية فمتى اعتقد بالنزاهة وآمن بالطهارة  
واذعن بالنجابة واصاخ للمواساة ولان امام الضعفاء والبؤساء ودمعت  
عينه لأخيه المبتلى اعتبره الميزان العلمى مؤمنا ولازم ذلك فيه ان  
لا يخون ولا يكذب ولا يشفع لظالم ولا يستحقر ضعيفا ولا يثمن لنفسه اكثر  
من حقّ زحماته وان ينظر الهيئة الاجتماعية بمنزلة عائلة واحدة هو  
احدها ومع هذا فليس المراد بالمؤمن من آمن بهذه النواميس مفهوما  
وانكرها عملا فإنه لا يعود الا ملحداً محضاً .

فقوله تعالى عقيب ( قوله والذين آمنوا ) وعملوا الصالحات بيان لما يتبطنه الايمان لانه اضافة عليه والأعمال الصالحة هي التي يصالح عليها المجتمع من العدل واشاعة الرفاه وسد ابواب الفساد وليس منها تعبيد الطرق امام الحانات والمواخير ودور السينما والتآثر ومحال القمار وسائر وسائل الباطل والفحشاء كما يراه المتمدون .

واشار سبحانه بقوله لانكف نفسا الا وسعها الى ان الأعمال الصالحة فضلا عن كونها مقدورة هي الموافقة لمجاري طبيعة الأنسان فلا مشقة فيها على احد بخلاف عمل الباطل فانه بأسره مشقة وانحراف وانما يمارسه الناس لما يجدون فيه تخفيفا على ميولهم الشهوية المؤقتة واشار سبحانه الى ان الصالحين هم اهل النعيم في كل نشأة تفرض وهو الحق فانه ليس المنظور بالنعيم ظاهر مزركش عند بعض الناس وواضع ممجوجة عند الجميع كما نراه في دنيا المادّة وطبعا اذا تركز الأيمان في قلب احد بعدت عنه الرذائل فلا يكون حسودا ولا حقودا ولا انانيا ولا عنصريا فان في هذه الصفات هنات عظيمة لا تهضم .

\* (ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين: الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون ) \*

يعنى بعد ان دخل اهل الجنة الجنة ودخل اهل النار النار نادى اصحاب الجنة اصحاب النار اتنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا بهذه الجنة على الأيمان والعمل الصالح فهل وجدتم انتم ما وعد ربكم بالنار لمن كفر او فسق قالوا نعم وجدنا ونحن فيه بالفعل فأذن مؤذن اى نادى مناد بين الفريقين اصحاب الجنة واصحاب النار ان لعنة الله على الظالمين الذين كانوا يصدون عن سبيل الله القويمة اما بمنعهم لرائد ها عملا بالوقوف الجاهر فى وجهه واما بالتعمية والتدليس عليه حتى يجهلها من لا يعرفها وهو يبغى التعرف عليها والسبيل تذكر وتؤنث واستعملت هنا على التأنيث وعوجا منصوب على انه بدل من ضمير الغيبة اى عوجها لان الطرق المستقيمة ليست محلا للتدليس اما اذا تلوت واعوجت هان على المدلس ان يتخذ منها زوايا وخبايا لأجل تحقيق مقاصده .

\* ( وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلاً  
 بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم  
 لم يدخلوها وهم يطمعون : واذا صرفت  
 ابصارهم تلقوا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا  
 مع القوم الظالمين ) \*

الأعراف جمع عرف وهو فى الأصل ما ارتفع على عنق الفرس من الشعر واستعمل فيما ناسبه والمنظور بذلك فى الآية ان فى عالم القيامة برزخا مرتفعا يشرف على اهل الجنة وعلى اهل النار عليه فريق من المكلفين واقرب ما قيل فى حقهم الى الذهن انهم اناس لم يعملوا من الحسنات ما يؤهلهم لدخول الجنة ولم يقارفوا من السيئات ما يحكم معه بدخولهم النار ولا غرابة اذا عرف هؤلاء اهل الصلاح بسيماهم والسافلين بسيماهم ايضا فان المحكوم بالسعادة الحاضرة ناضر الوجه مستبشر والمحكوم بالعذاب متجهم عابس كما لا شك فى سلامهم على اهل الجنة فان كل ناجح منتصر يهش حتى الغريب للسلام عليه وكذالك فى تعودهم من اهل النار فان البائس الشقى يهرب منه حتى حميمه ان كان له حميم واما طمعهم فى دخول الجنة فله وجه لأنهم سلموا من المحكومة بالعذاب فحصل لهم الرجاء بلطف الله عليهم فى ادخالهم الجنة ، وضمير التثنية فى قوله وبينهما حجاب راجع لأهل الجنة واهل النار والمراد بالحجاب هو الحد .

\* ( ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم  
 بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون  
 أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة  
 ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ) \*

طبعاً عن حصول النتائج من الانتصار والآنكسار يطغى ما فى  
 الضمير على اللسان فأهل الاعراف الذين سلموا من المؤاخذة وكانوا  
 فى الدنيا بين بين لا يمتنون الصلحاء ولا يزرون بهم ولا يحبون اهل  
 الفسق والآن انحسروا معهم وقد تكون لهم سابقة مؤاداة مع المؤمنين  
 ومعاتبة ومقارعة مع المنحرفين عندما يرون الضعفة فى الدنيا لأنهم  
 كانوا مقيدين بدينهم اعلياء فى الآخرة لانهم استحصلوا نتائـج  
 زحماتهم ويرون المتكبرين فى الدنيا اسافل خاضعين بالقهر فى  
 الآخرة لأنهم وردوا موارد هم اللازمة لهم عندما يرون اولئك وهؤلاء  
 تنبعث خواطرهم المخزونة بما كان يسمعه المتدين من غثيث القول من  
 المنحرف المتكبر وما تراه اعينهم بالفعل من نعيم ذاك وجحيم هذا  
 فلا جرم اذا قالوا للمنحرفين ما اغنى عنكم جمعكم للمال والمنال  
 والجاه والرفاه والزهو والقوة لهذا اليوم شيئاً وقروهم باستقذارهم  
 للمتدينين فى الدنيا حين كانوا يقولون فيهم أهؤلاء هم الذين  
 ينوشون النعمة والرفاه والسيادة والجاه ونحن نحكم بالذلّة  
 والعذاب والاستهزاء والأزراء ويقولون بلسان حال الموقف لأولئك  
 الذين اقسم المنحرفون انهم لا ينالهم الله برحمة منه ادخلوا الجنة  
 لتستوفوا اعاداً زحماتكم فى الدنيا فالآن لا خوف عليكم من احد ولا انتم  
 تحزنون لشيء ممرتكم المانعة وتوفر جميع اسباب الراحة والهناء لكم .

\* (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين: الذين اتخذوا دينهم لها ولعبا وغرّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ) \*

بعد ان يستقر اهل النعيم فى نعيمهم واهل الجحيم فى جحيمهم وبين الحالتين فرق عظيم لا يتصور ويرى اهل الجحيم من موقفهم كل سوء فى عرض ما يعلمون من تنعم اهل النعيم بكل نعمه فحينئذ اك تحلمهم ضرورة الموقف على الاستجداء بل التكدى من اهل الجنة ان يفيضوا عليهم من الماء حتى يطفوا شيئا من اوارهم او متعة اخرى مما رزقهم ليخففوا برحائمهم فلا يواجهون الا منعاً لا بخلا منهم بنعمة الله العريضة ولكن محافظة على الحق الذى ازرى به هؤلاء طيلة ما عاشوا فى الدنيا .

ثم ينقل الله سبحانه ذيل الحديث الذى تكلم به اهل الجنة مع اهل النار الى نفسه فيقول فالיום ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا فى عالم التكليف يجحدون ونتيجة جحودها هى ما يواجهونه فعلا : هذا وكلما جرى من حديث دائر بين اهل الجنة والنار و اهل الأعراف معهما يجوز ان يكون على حقيقته كما يجوز ان يكون تصوير حال و الله اعلم بمقاصد كلامه .

واخيرا تطلق الجنة و النار على امرين ماديين هما المكان الجميل و المادة المشتعلة المحترقة كما تطلقان على امرين معنويين

هما الاستقلال والعزة والأستعمار والذلة ولا ريب ان الأمرين  
 الماديين وزنهما قائم بالأمرين المعنويين فأن المستقل غير الواقع  
 تحت تصرف الغير به والعزیز الذي لا يضيئه احد ولا يتعدى على  
 حقوقه الأتقياء والواجد لما يقوم ببلغته هو صاحب الجنة الذي يغبطه  
 كل احد وينظر اليه بعين الأكبار والأحترام كل انسان أما الذي  
 لا يعيش الا مسخرا ويعبت بكرامته وحقوقه من هيمنوا عليه ولا يملك من  
 نفسه شيئا فهو صاحب النار الذي يحتقره كل احد حتى نفسه اذا  
 توجهت لما احيط بها .

وهذا ملاك الغرب الحاكم والشرق المحكوم ذاك الملازم لاستقلال  
 صاحب الجنة وعزته وهذا الذي لا ينفك عن التسخر للأغيار وهنا تطلع  
 المنتهزة المتحاملة على الدين رؤسها وتصرخ بوسع حنجرتها بأن  
 الغرب لم يترق ولم يتقدم ولم يصبح حاكما الا بانשמارة عن العقيدة  
 واهلها اولئك الذين حدوا الافراد واثقلوا كواهلهم بالطقوس  
 الدينية الفارغة التي تنهب وقت انسان وفكره بلا ان تعطيه اقل شيء  
 وان الشرق لم يتأخر الا لبقائه ملازما للخطط الدينية التي اوأنا الى  
 حبسها لقوى الانسان عن الترسل فيما ينجع وينفع .

لكن هذا غلط من ناحية وصحيح من ثانية أما ناحية كونه غلطا فهو  
 ان الدين الصحيح الذي صدع به انبياء الله وفي طليعتهم نبي  
 الأسلام اعظم طالب للكرامة والأستقلال وباعث على الشهامة والكمال  
 وداع الى العزة وتنمية الحيثية وقل دليل على ذلك قيامه علما وعملا  
 بمهمة الجهاد والأعداد للأعداء وتحريمه للفرار في الحرب وان العزة  
 لله ولرسوله وللمؤمنين وان الأسلام يعلوا ولا يعلى عليه وقد عمل  
 الصدر الأول من المسلمين هذه الأصول فسعدوا وسعادة لم تسعد



التفسير ج ٣ المقارنة بين الشرق الاسلامى والغرب الكافر ٢٩٩

بمثلها امريكا اليوم وانما فقدوا كرامتهم واستقلالهم لعودهم عن حاسبين ان هذا التخلي عنه مما يقدّمهم فى الحياة فارتكسوا ارتكاسا تراه العين كما ترى ارنذل الأشياء واحقرها .

وامّا ناحية كونه صحيحا فان الظاهرة الدينية التى تسود على مسلمى القرون الوسطى وهذه القرون هى ظاهرة انخزال فقد كثرت التصوّف فى المسلمين بعد ان لم يكن منه عين ولا اثر فى صدر الإسلام والتصوق الدارج لازمه الانكماش فى الخبايا والزوايا والتكايا كما كثرت فى مقام مبارزة الظالم والباطل اللجوء الى الأحرار والعود والطلاسم والأدعية فبدل ان يبارز المسلم عدوّه بالقوة اخذ يكيل عليه بالأدعية والأحرار ولو كانت هذه المطالب سلاحا فعّالا لتبناها نبي الإسلام وارتاح من نيران الحروب واطاحتها بالأيدى والرؤس والأرجل كما تكثرت جانب اللاطائلات العلمية مثل الكلام على الفرضيات الجوفاء نعم لاشك ان هذه الجوانب اطاحت بكرامه المسلمين رؤسا واتباعا بما تراه عين كل احد ولذلك ترى هذه الآيه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة . . . الخ من اوضح الألسنة تعبيرا عن المسلمين بالاسم الذين هم اهل نار الذلة والأستعمار والغرب القائم بالشهامة الاسلاميه الذى هو صاحب العزة والاستقلال .

\* ( ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة  
لقوم يؤمنون : هل ينظرون الا تاويله يوم يأتي  
تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل  
ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او  
نردّ فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا  
انفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ) \*

يقول الأناسان متحدثا جئت فلانا بهذا الشيء وهدفه من ذلك  
ايصال ذلك الشيء له من دون ان يكون لمجيئه مدخل فيه الا بعنوانه  
وسيلة للأيصال المذكور فقوله تعالى ولقد جئناهم بكتاب معناها واصلنا  
اليهم كتابا يضم بين دفتيه ما يكفل سعادتهم وارادة الله بهم وكانت  
تفاصيله تستقى من الواقع ذاته حيث لا تكون سائر التفاصيل تحمل هذه  
الشارح لما فيها من جهل كثير بصورة العلم وانما اوصلنا الكتاب  
السماوي الى جامعة المكلفين وفصلنا ما فيه عن علم ثابت ليكون هاديا  
لهم الى طرق السعادة ورحمة لدنياهم واخراهم ولا شك انه انما يكون  
هدى ورحمة لمن يتقبله ويرعاه ويؤمن به واما البعيد عن الشيء فلاصلة  
له به فكيف يكون هاديا له وراحما به .

ثم توجه سبحانه الى اولئك الذين تجاهلوا بالكتاب حتى ادى بهم  
الى الجهل به والأعراض عنه لان كل من يتناسى شيئا يؤدي به الى  
نسيانه حقيقة فقال هل ينظرون بهذا الكتاب الذي زووا انفسهم عنه  
الا ما يؤل اليه لان الكتاب في غضون فصوله كان يتحدث عن مآل البشرية  
كلها صالحها واطالحمها فكان هؤلاء ينظرون الى مواعيد ه نظر مستهزء  
اولا اقل نظر غير معتقد لكن تاريخ مآله سيصل الى نقطة ربطه فيومذاك

يقول الذين نسوه من قبل وطووا على غفلته والتجاهل به كافة أيامهم ولياليهم قد جاءت رسل ربنا بالحق الثابت فلم تقبل منهم واستخفنا بهم وبالحقّ معا فهل لنا اليوم من شفعاء يقفون امام ما نستحق من جزاء او هل لنا كرامة الى عالم التكليف فنعمل على طبق ما يريد منا انفسا وجواب هذا الاستفهام انه لا شفيح كما لا كرامة وهذا هو الخسران الذى لا جبران معه وغاب عنهم فى هذا الموقف الحساس كلما طووا آمالهم عليه وانا طوا مصالحهم به .

وبالنتيجة لا يخفى ان حسن الحسن وقبح القبيح لا يتجلّى الا للمتجرد عنهما الواجد لحاسته السالمة حتى يستطيع ان يقضى بأن هذا حسن وذاك قبيح لذا فالذين يستطيعون ان يدركوا ذلك هم طبقة الضعفاء فى الناس الذين يدركون ان الكذب قبيح لانهم يجدون ضرره فعلا كما يدركون ان الصدق حسن لانهم يجدون نفعه فعلا بخلاف الأقوياء فانهم لقوتهم اما يهابهم الناس فلا يكذبون عليهم وعلى فرض ان يكذبوا عليهم فان كذبهم لا يتجلّى فعلا لبعده عن ساحتهم ولا يدركون حسن الصدق كذلك لانهم لا يواجهون التحقيق رغباتهم وتحقيق الرغبة لأربط له فان الذى يقول للظالم ليس عندى فقد يكون صادقا فى قوله لكن الأعنات به يجعله واجدا لما يريد منه ولو بان يسرقه ويقدمه ومن هذه الناحية انما قامت المبادء والديانات والعقائد وصار لها سوق بالطبقات الضعيفة التى تشكل اكثرية الناس ولكن من المؤسف ان الطبقات الضعيفة يقل فيها احرار النفوس الذين لا ينصرفون مع الأغواء المعسولة ويتدبرون القضايا تدبرا لا ثقا بالعقل وعليه فلما برقت الدنيا فى مطلع القرن العشرين لأهلها فوجدوا فيها تفاعلات تغرى النفس والعين وسائر الحواس اخذوا يعرضون عن

الدين وبرامجه بالتدريج زاعمين ان الدين لم يفدهم شيئاً وان هذه الفوائد المقبلة من اناس ملحدين اذا فالحياة مع الألحاد وقد عمّ هذا الأعراض فى هذه الأزمنة كل احد فلم يبق من منتسبى الدين الا صبايات لا تغنى ولا تسمن وعاشت معرضة للأخطار ولما انقلبت هذه الأوضاع الى فوضى عارمة فى عامة الطبقات اخذت نتائج هذه الفوضى تسحق فى طريقها كل شىء لعاملين قويين (احدهما) اتكأ اهم القوى النافذة على ما تختزن من مدّرات قهارة سريعة البطش بعيدة العمق فى افسادها بما لا تجبر بأسعافات (ثانيهما) عدم الأيمان بأى مبدأ والانسلاخ من كل عقيدة وفقدان الأحساس بأية مسؤولية سوى تأمين رغبات النفس بأى لون اصطبغت لكن لما كان القوى مغرورا بقوته مؤمناً لأرادته تعدت به نفسه عن تحرّى مخلص من هذه الموبقات التى يرتكبها اذ لا وازع له من لبه يؤثر عليه وينحى عليه باللائمة وأمّا المغلوبون على امرهم وهم الكثرة الساحقة فى جميع جنبات العالم لما تبيّنوا ما هم فيه من الانهيار وان نزلّهم الى الاقوياء لا يفيدهم اى شىء وانما ينهبهم فى كل اشياءهم توجهوا الى ان المؤمن الوحيد لهم هو تدرعهم بالأيمان الذى يزرع فيهم روح الشجاعة والقناعة والمناعة والحرية الواقعية والاستقلال وتأكّدوا ان الدين خير حافظ لسيّر البشرية ونظامها وانّ تولّيتهم عنه هو الذى اكسبهم هذا الانهيار المترامى الأطراف وعلى مثل هذا التطلب الروحى للأمم والأقوام جاء قوله تعالى ولقد جنّناهم بكتاب تضطّم دفتاه على تفاصيل قائمة على علم نافع وعقل ناجع وهدى واسع ورحمة من رؤف بالموجودات بشرط ان يكون لها ايمان بمن رأف بها ولا تحسبه مصانعة ومخاتلة ومجاملة مسيئة للظن بمن يريد بها الخير لكنهم لما وجهوا بهذا الكتاب وظنّوه

سفاهة وتفاهة وعرجوا على المغريات و المغويات واتهموه بأنه لا ينفع  
 فى دور شعتّ فيه كمالات الدنيا وانما ينجع فى اولئك الذين افلسوا  
 منها بتخذير اعصابهم بأنهم سوف يعاوضون عمّا فاتهم بنشأه ثانية فيها  
 ماتشتهيه الانفس وتلدّ به الأعين وزعموا ان محتويات هذا الكتاب  
 لا تفسير لها يقبله شعورهم ولذلك تناسوه واعرضوا عنه قائلين ان هذا  
 الكتاب لو كان حقا لأبرز نفسه ولم يتوجهوا الى ابرازه لنفسه الاّ بعد  
 ان تلاطمت بهم امواج الفتن فأركستهم الى ابعد قعر وهناك قالوا هل لنا  
 من شفعاء فيشفعوا لنا ويأخذوا بأيدينا او نردّ الى ساحل النجاة  
 فنعمل غير الذى كنّا نعمل قد خسروا انفسهم وفاتهم ماكانوا يفترونه  
 مقابلين به كلام الله فهم الآن فى مهواة لا يخرجون منها — ان خرجوا—  
 الاّ بعد ملاكمات عنيفة للأدوار التى احتضنتهم .

\* ( ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى سنة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا و الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ) \*

ان ربكم الله - قال سبحانه ذلك لكل من اشرك معه آية قدرة تفرض وائى موجود غيره وكل منكر للمبدأ بأن هذه الأجواء غير المحدودة على كثير وعظيم ما فيها من اجرام واجسام وهذه الكرة الأرضية التى عليها تعيشون وفيها من كل شىء مصنوعات لا محالة وصانعها هو الذى تلقى عليه اسم الله وأما الستة الأيام فالذى نطق بها اعرف بخصوصية ذكرها والّا فالقادر غير المتناهى القدرة والمبدع الذى لا يحتاج فيما يخلق الى سبق مادة وتقدّم طرح فى غنى عن الأيام ستة كانت ام غيرها وحاكمة مثل هذا القادر لا تحتاج الى عرش ولا الى استواء واستيلاء عليه ولا الى وجود سماء او ارض ونفس تبنى ذاته لصفاته هى الحاكمة التى لا تدرك حدودها ولا ابعادها ، يغشى الليل النهار معناه يلبس بياض النهار بسواد الليل ، يطلبه حثيثا يعنى ان هذا التسابق بين الظلمة والنور حثيث ومستمر ، وان ربكم الذى خلق الشمس والقمر والنجوم كلّها ثابتها ومتحركها مرئيتها بالفعل لنا وغير مرئيتها حال كونها مسخرة له غير عصية عليه - الا - تنبيه عام لهذا الربّ كل خلق يكون فى عوالم التكوين وله الأمر والنهى والحاكمة المطلقة تبارك الله محض الخير ومريد له لكل احد رب العوالم والوجود وما فيه .

\* ( ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين :

ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعوه

خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين ) \*

التضرع هو الأستجداء بتذلل و الخفية الخفاء و التستر و الأعتداء هو التجاوز عن الحد ، امر سبحانه عباده ان يدعوه اى يتوجهوا اليه بالمسألة وان كان يعلم بخطر النفس ولكن يريد منهم اظهار العبودية باللسان دعاء وبالجوارح عبادة لا لأن يعتز بظواهر عبوديتهم بل لأجل ان يعلمهم وظيفتهم امام المحسنين اليهم واما الخفية فى الدعاء فأنها اجلب للخشوع واقرب الى الأخلص وابعد عن الرياء واستر عن الأفتضاح فيما لو كان المدعو به شيئا لا يخلو من حزازة ، انه لا يحب المعتدين ، اى الذين يتجاوزون فى مادة دعائهم عما يليق بحالهم او عما يزيد عن رفع الحاجة بأن يطلب الفقير من ربه كنزا وهو فى حاجة الى القرص وعلى هذا المنوال ، ولا شك ان صنعة الله سالمة صحيحة فى اول ابداعها ونوع صنعة الصانعين كذلك اذ لا يتوخى عاقل اخراج الفاسد وصنعتة فالأرض وكل الاشياء ابدعت صحيحة وسالمة وقابلة لأن تستفاد منها الفوائد الجمّة ولكن الأفساد يطرأ عليها من طريق مستعملها اولئك الذين تميل بهم المنويات الباطلة الى سوء الاستفادة ، وادعوه خوفا اى فى حالة خوفكم وطمعا اى فى حالة طمعكم او وادعوه بالتوجه اليه و الأقبال عليه خوفا من قطع لطفه عنكم بجفائكم له و طمعا اى و تزلفا اليه فأن المحسن يحب ان يرى اثر احسانه فيمن احسن اليه ، ان رحمة الله قريبة ممن يحسن الى نفسه بالأقبال على مولاه و التحب اليه و انما ذكر لفظ قريب مع انه

خبر لرحمة وهى مؤنثة مراعاة للمعنى فان المنظور بالرحمة هو اللطف وحسن التوجه من المولى لعبده وهو مذكر او لأن تأنيث رحمة مجازى لا حقيقى فيجوز فى خبره الوجهان او لأن المضاف شبه الزائد وان المعنى فى الأصل ان الله قريب من المحسنين .

\* ( وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميّت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون : والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه و الذى خبت لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ) \*

قوله وهو الذى يرسل اشعار بصانعيته للكون وما فيه وادلال على انه محلّ الدعاء لاغيره وارسال الرياح اجراؤها وتسييرها للبشارة قبل انزال رحمته وهو المطر حتى اذا جمعت هذه الرياح تشتت السحاب وصيرته قطعة واحدة وساقته وهذا هو معنى اقلالها للسحاب وحملها له و وصفها بالثقال بمعنى انها تتبطن ماء غزيرا وانما نسب السوق لنفسه دون الرياح لانه الفاعل الحقيقى لذلك .

و البلد الميّت هو الفاقد للنبات بالفعل وان كان واجدا لاستعداده بالذات لما اودعه الله فيه من اعداد لذلك ، فأنزلنا به اى بالبلد الميّت الماء فأخرجنا بسببه من كل الثمرات اى من جميع انواعها وبعد ان نشر سبحانه هذه الحالة للأ نسان وفتقها بين عينيه وانّ البلد الميّت قابل للأحياء عطف عليه حالة النشور بعد الموت



للأنسان والوحش وانه بمثابة البلد الميت واحياؤه يكون بسوق الماء اليه بأرادة من الله وكما لا اغلاق فى تصور الأحياء بعد الموت فى النبات كذلك لا ينبغى ان يكون اغلاق فى احياء الموتى للنشأة الثانية بعد فنائهم فى هذه النشأة فأن ملاك الجميع واحد فتوجهوا الى هذه النكات لعلكم تتذكرون اى تستحضرون معنى ما وعدكم به من النشر والحشر بعد الموت والفناء فتأخذون له عدته من العمل الصالح .

والبلد الطيب ذو التربة الصالحة يخرج نباته ويخضر ويتعالى ويثمر بأذن الله وأما البلد الذى خبت فكثرفيه السبخ فلا يخرج نباته الا مستردلا لا يستفاد منه لقيام العلل العديدة فى بنيته الطبيعية وهذا مثل ضربه الله للصالحين والطالحين من عباده بأن الصالح كالبلد الطيب يثمر وينتج ويستفاد من ثمره وانتاجه وأن الطالح كالبلد الخبيث لا تأتى نتائجه الا منكودة متجهممة الظاهر عقيمة الباطن عن الخير لكن فرق واسع بين طيب البلد وصلاح الأنسان وبين خبت البلد وصلاح الأنسان فان صلاح التربة وصلاحها ليس من فعلها أما الأنسان فصلاحه وصلاحه باختياره لشعوره بما يزاوول وتمييزه لما يأتيه ويذره ولذلك لا يجوز ان تحمد الأرض الطيبة وتذم الأرض الخبيثة اصالة ولذا انها لان الامور التكوينية لا تحمل حسنا ولا قبحا من نفسها والقسر لا حمد فيه ولا ذم بخلاف الموجود العاقل المختار فإنه يحمد على الحسن يكون منه ويذم على السيء يصدر عنه لأنه غير مسخر فى ذلك بل مختارا اتى بما يحمد عليه او يذم وعلى حساب هذه المقارنة من حيث الصورة بين البلد الطيب والأنسان الطيب وبين البلد الخبيث والأنسان الخبيث قال سبحانه كذلك نصرف الآيات وننوعها فى وجوهها ونسوقها لقوم يحاولون شكر الله لطاعته فيما يأمر ويريد

وبالأنتهاء عمّا يعقت ولا يحبّ .

واخيرا فان خلقه الطبيعة بما فيها من كرات وقوى مندجة فى كوامنها وعناصر فوق حدود الأحصاء متغيّبة فى بطونها رصيد لخلقته الإنسان بحيث لولا خلقته لما كان لوجودها معنى اصلا نظير وجود قصر مشيد مجهز من جميع نواحيه بأنواع التجهيزات ولكنه بلا اهل ولا سكن وهذا ممّا يستدل به على عظمة الإنسان فى اصل خلقته لانفما تنزل اليه اكثر افراده عندما جاء الى الوجود شحاذا مفتنا مفسدا راشيا مرتشيا محقا للباطل مبطلا للحق مخربا للعامر مزهقا للارواح فقد جاءت الأحصاء آت ان دول العالم فى القرن العشرين تصرف للتجهيزات العسكرية مليونى مليار دولار فى حال انها لا تصرف للمعارف والصحة معشار ذلك ولو كانت خلقه العالم لأجل حصول هذه النتائج لكان الخالق من اجنى الجناة واخبت الموجودات تعالى عن ذلك .

اذا فالعالم انما خلق للمثاليين الأفاضل الذين يربون الفطرة تربية صادقة تحيل اهلها الى اشباه انبياء ليينوا فى كل مكان مدينة فاضلة فيكون الإنسان اينما ذهب وحيثما حل لا يرى الا ما يروق العين ويمتع السمع ويجلب اليه كافة الحواس ومن هنا نفهم معنى ما جاء فى الحديث لولاك لما خلقت الأفلاك فأن الحياة من دون مثالية وعصمة فى التروك والأفعال من اعظم الموبقات وانما يزداد الحاد الناس يوما فيوما نتيجة لانحطاطهم يوما فيوما فى حال ان ذلك لا ربط له بالخلقة ولا بما اريد بها كما هو واضح مكشوف .

والقرآن ضرب مثلا لهذه المقدمة بقوله وهو الذى خلق الرياح لغايات مهمة منها انه يبعثها لتجمع الأبخرة المتصاعدة بعضا لبعض

وتبرّد ها وتسوقها للأماكن المحتاج اليها في تنميتها فتنزّل عليها ماءً فتخرج به من كل الثمرات ممّا يعجز اللسان عن سردها فضلا عن وصفها ولما كانت بذور الثمرات منبثّة في بطون الارض بنحو الذوبان الكامل تراها تتطلع شيئا فشيئا بما يكسو وجه الارض كله انتهز سبحانه هذه الظاهرة التي يشهد ها الأنسان في النبات الطيّب لأنه خُدم والنبات الخبيث لأنّه أهمل وضربها مثلا للأنسان الصالح والطالح بأن الصالح كالجنينة المخدومة والطالح كالمزرعة المهملة وكما باستطاعة الطالح ان يصير صالحا لانه من مقتضى فطرته والطلاح انحراف طارئ كذ لك النبات لاعيب في بذره وانّما العيب في محيطه فاذا صلح المحيط بالخدمة صلح افراده ونباته ، كما ان هذه الظاهرة دليل على جواز بعث الموتى من بعد موتهم وانه ليس بأصعب من نموّ البذور وتطلّعها حتى لو كانت البذور ذائبة في بطون الأرض وحتى لو انقطع عنها الماء سنين طوالا .

\* ( لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم : قال الملاء من قومه انا لنراك فى ضلال مبين : قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين : ابلاغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون : اوعجبتم ان جائكم ذكر من ربكم على رجل منك — لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون : فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين ) \*

يذكر اهل التاريخ ان نوحا يتصل بواسطتين بأدريس النبى عليه السلام ويذكرون تفاصيل لعمره لسنا بصددها ونوح كما عرفه القرآن من شيوخ الأنبياء العظام الذين تزعموا النبوات العامة وتعبوا فى تركيزها بين الناس وهو من رجال العالم المعروفين اسما وسمة فجزاه الله عن البشرية الصالحة خير الجزاء قال تعالى ، لقد ارسلنا نوحا الى قومه ، قد لا تنسى ما مر عليك فى تفسير سورة البقرة من ان الله سبحانه قرن اول مجتمع بشرى من آدم وزوجه بأول نبوة فكان آدم نبيا وزوجه مؤتممة به اذ لافرق فى لزوم هداية البشرية وتعريفها بالحق لتتبعه وبالباطل لتجتنبه بين تعدد مصاديقها وانتشارها وبين ان تنحصر فى فرد واحد فان حاجة الفرد الى الهداية ومؤتمتها على الهادى كحاجة المجتمع الى ذلك بلا ادنى تفاوت الا فى قلة تعب الهادى وكثرته فنوح فى عصره كلف بتحمل اعباء الرسالة فتحملها على شدايد هـ

برحابة صدر وقال يا قوم اعبدوا الله اى توجهوا اليه دون ما سواه لأنّ ما سواه ناقص ودليل نقصانه نقصانكم فان الأمام المتّبع تعرف صحّة امامته من سقمها بآثاره فى اتباعه وارباب هؤلاء الاقوام لم ير لها اثر فى التابعين الاّ تسفلهم وتنزلهم واستشراء العامية التى هى اخت الوحشية فى افرادهم ، مالكم من اله غيره ، لان كل ما سواه سلب محض بالنسبة اليه فان تكوّنت العالم وتموجاته لا يعقل ارتباطها بالأصنام والأوثان اذ هى فى انفسها من المتغيرات المتكونات واحقر من كثير من الكائنات فالذى تليق به العبادة هو من صنع العالم بما فيه ويكفى فى ايمان المؤمن العامى ان يرمى بنيته فى عبادته الى هذا العنوان وان جهل تفاصيله ، انّى اخاف عليكم ، فى تجافيك عن خالقكم وانتباذكم عنه ، عذاب يوم عظيم ، هو يوم قيامة الناس لرب العالمين ، قال الملائكة وهم امّا الأكثرية الساحقة كما يقال فعل مأا الناس ذلك او الأسياد والأشراف ومن لهم نباهة وظهور اسم وتشخص فيهم ، انّا لنسرك ، اى لنحسبك ، فى ضلال مبين ، اذ تدعونا الى ما لانرى بأبصارنا ولا نتعقله ببصائرنا فان البشر الطبيعى غير الموجّه فى حكم الحيوانة الهاملّة المتوحشة التى لا تتعقل اكثر من مغالبتها لما فى محيطها احرازاً لبقائها بحسب ما تشعر به وانما تستطيع تعقل الامور الراقية الأفق بعد اصاحتها للتعلم وروض المعلم لتفهمها وهؤلاء كانوا يتشردون عن تحصيل المعرفة وطبعاً لو كان نوح يدعوهم الى ما يعقلون كتجبيهم للسرقة وقطع الطرق ومغالبة القوى للضعيف لأطاعوه فوق ما هم عليه من العمل لذلك ، فقال نوح فى جوابهم — لا — لست كما تزعمون اننى قائد ضالّ عن الطريق بل انا الذى امشى عليه دونكم لو توجهتم لى ولم تتسرعوا فى الأنكار علىّ ، ولكنى رسول اليكم من ربّ العالمين الذى

الذى صنعها واتقن صنعها وملاها بالقوى المدركة والفعالة واذ اعترتم ما ذكرت لكم نظرا اد ركموه كما اد ركمه انا فأنى وآياكم سيات فى الخلقة واستوائها ولا ميز لى عليكم الا بتوجهى الى مالاتتوجهون له جئتم وانا منكم لأبلغكم رسالات ربى بما يسعدكم ويبعد بكم عن موجبات الشقاء الذى انتم فيه ولأنصح لكم وابين وجه الخطأ عن الصواب وانى اعلم من حقيقة الله الذى ادعوك الى عبادته مالاتعلمون منه ولذ لك تستغربون منه بل وتتوحشون من ذكره وما يقعد بكم عن الأصاحة لحد يشى أهو استغرابكم لأن يدعى واحد منكم فى النوع انه يحمل علما عن مصدر خارج عن الطبيعة التى تمارسون لينذركم به عن فعل السيئات - لا - ليس ذلك محلا للاستغراب فان فيكم بالفعل من هو خير من اخيه الآخر معرفة وثقافة وعمل خير وانا من اعلا افرادكم بدليل ما املك من معنويات وثقافات لو اصختم الى التعرف عليها والتميز لها ، والأنسان المتشرد لا يربطه الى طرفه حتى الطوق الحديدى يوضع فى عنقه فقالوا له انت كاذب فيما تقول وكاثروه بالقوة وهو لا يملك من القوة ما يقابلهم به الا الصبر على الشدائد فانجاه الله منها وانجى من معه فى السفينة التى يأتى القول عليها فى سورة هود ان شاء الله واغرق الذين كذبوه بالطوفان الشهير انهم كانوا قوما عميا فى بصائرهم وان كانت ابصارهم مفتحة الأحداق .

\* ( والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله  
 مالكم من اله غيره افلا تتقون : قال المـالـأ  
 الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة  
 وانا لنظنك من الكاذبين : قال يا قوم ليس  
 بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين :  
 ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين :  
 او عجبتم ان جائكم ذكر من ربكم على رجل  
 منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من  
 بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة فاذكروا  
 الآء الله لعلكم تفلحون : قالوا اجئنا لنعبد  
 الله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا فأتنا بما  
 تعدنا ان كنت من الصادقين : قال قد وقع  
 عليكم من ربكم رجس وغضب اتجاد لوننى فى  
 اسماء سميتوها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها  
 من سلطان فانظروا انى معكم من المنتظرين :  
 فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر  
 الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ) \*

يقال ان عادا وهوابوقبيله يتصل بنوح بثلاث وسائط وان هودا  
 من نسل سام بن نوح ومن القبيلة العادية ولذلك عبر سبحانه بأنه  
 اخوهم وعظفا على ما سبق وربطاً لحلقات السلسلة ذكر النبى المتزعم  
 بعد نوح الا انه تعالى خص نبوته بقومه لانه قال والى عاد اخاهم  
 هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، ومنطق الأنبياء بالنسبة

الى كليات المطالب الدينية واحد لأنهم بأسرهم دعاة الى الله والى توحيد ه واعتناق دينه وان دين الله لواحد كما ان واقع الحقائق ازلا وابدأ واحد ، افلا تتقون ، وتخافون الله فى ايقاعه بكم لتمردكم وانتم الضعفاء عليه وهو القوى وانتم المربوبون وهو الرب ، قال الملاء ، قد عرفت انهم اما الأكثرية من هذه القبيلة او انهم اشرافها ومن لهم العنوان فيها ، الذين كفروا ، بالله بمعنى انهم جحدوه ، من قومه انا لنراك ، اى نحسبك ، فى سفاهة ، وقلة عقل وتدبير ، وانا لنظنك من الكاذبين ، هذا ترق من دان الى ما فوجه فان السفية ضعيف الشعور ونسبة القول الى السفاهة نسبة الى الركة والضعف وعدم التدبير بخلاف نسبه الى الكذب فان معناها ان قائله متعمد له يريد ان يستطرق منه الى مقصده ، الذى يحاول تشبيته وخلصته انه انسان مرموز يحذر منه بخلاف السفية فانه يرثى له لبساطته وصفائه حتى انه ليستولى عليه كل فطن .

قال يا قوم ليس بى سفاهة ، كما تحسبون ولست من الكاذبين كما تظنون ، ولكنى رسول صادق ارسلت اليكم ، من رب العالمين ، صانع الملك والملكوت وما جئتمكم لأستنقد ما فى اكياسكم او لأركب على اكتافكم انما جئتمكم ، ابلغكم رسالات ربي ، من اوامره ونواهيته وتعاليمه العاليفة التى تصونكم من الموبقات وتنشمر بكم عن السيئات والهفات ، وانا لكم ناصح ، امين ، لا اريد ان اخونكم بما اقول لكم ، او عجبتم ، اى استغربتم ان جائكم ذكر ، جميل فيه عظة وارشاد ، من ربكم ، الرؤف بكم لانه خالقكم على رجل منكم ، فى النوع واللحمة وما جئكم بهذا الذكر الا ، لينذركم من قبيح ما تأتونوه والحسن الذى تذرونه ، واذكروا ، احدى نعم الله عليكم ، ان جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، استخلفكم فى الأرض ومكنكم



فيها بعد ان أهلك اسلافكم بذنوبهم وفي ذلك له في اعناقكم منتان  
انه لم يهلككم كما اهلكهم وتمعكم بنعيم الحياة ولم يحرمه عليكم والخلفاء  
جمع خليفة وهو من يقوم مقام سلفه ، وزادكم في الخلق بصطة ، ذكرت في  
هذه الآية بالصاد وفي غيرها بالسين والبسطة هي السعة ففى  
الأبدان بعد اقطارها وفي العلم كثرة مادته ، فاذكروا آلاء الله ، ونعمه  
عليكم بعدم افنائكم والأمتان بأبقائكم وبسطة ابدانكم التي تستعينون  
بها على مكروهات الدهر وتستجلبون بها بركات الأرض ، لعلكم تفلحون  
اذا ذكرت ذلك فشكرتموه ، قالوا ، فى جوابه ، اجئتنا لنعبد الله وحده ،  
بعد ان لم نكن نفعل ذلك ، ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، من الأوثان  
والأصنام نحن لانطيعك الى ماتريد وكنت تتهددنا بانكــــم اذا  
استعصيتم على الله واصررتم على المعاصى يأتىكم الله بعذاب ماحق ،  
فأتنا بما تعدنا ، من العذاب ، ان كنت من الصادقين ، فيما وعدت  
وتهددت ، قال قد وقع ، اى تحقق وان لم يقع بالفعل ، عليكم من ربكم  
رجس ، اى رجز وكلاهما بمعنى العذاب والمكروه ، وغضب اتجاد لوننى  
فى اسماء ، هى اصنامهم التي يعبدونها ، سميتوها ، اربابا ، انتم  
وأباؤكم من قبلكم ، ما نزل الله بها من سلطان ، بمعنى انها لم تقم عليها  
حجة وكيف تقوم بها الحجة والعقول تأباها ، فأنتظروا ، نزول العذاب  
الذى وعدتكم به ، انى معكم من المنتظرين ، لذلك ، فأنجيناه ، بعد ما  
اوقعنا بهم ، والذين معه ، انجيناهم ايضا ، برحمة منا ، يستحقونها  
بالطاعة ، وقطعنا ، اى استأصلنا ، دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا  
مؤمنين ، على تجليه لهم .

\* ( والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم : واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنتحون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين : قال الملائكة الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربّه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون : قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون : فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين : فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين : فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربّى ونصحت لكم ولكن لا تحبّون الناصحين ) \*

ثمود ابو قبيلة يتصل بسام بن نوح بواسطتين وصالح من هذه القبيلة ، وارسلنا الى قبيلة ثمود اخاهم صالحا كما ارسلنا الى عاد اخاهم هودا على الطريقة المألوفة لله فى عباده من خفارتهم بالرسول واتمام الحجة عليهم فقال لهم فى طليعة ما قال يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به سواه فما لكم من اله غيره فكأنهم تقاضوا منه بينة على مدّعاة

وان كانت بيانات الانبياء تدل من نفسها على نفسها بالصديق والواقعية فأجابهم الله الى طلبتهم توسط هذا الرسول فقال قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية انتصب لفظ آية على الحال لانه بمعنى معجزة ونسبت الناقة لله لانه هو الذى ابدعها من غير فحل ولا لقاح ولا انثى حملت بها وانما انصد عنها الجبل ناقة عشراء جوفاء وبراء عظيمة الجثة هائلة المنظر وجاءت بفصيل مثلها فى العظم وكان لها شرب يوم معلوم وللناس شرب يوم مثله وتعطيهم من اللبن ما يكفيهم وترتع فى ارض الله بلا مؤنة فيها على احد ، فذروها تأكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم ، والمنظور انها لا تكلفكم علفا منكم ولا ماء تمتحونه لها حتى تتأقلوا من طعامها وشرابها بل مأكلا ومشربها من مال الله الذى اباحه للأنس والوحش ومع ذلك فان انتاجها لكم ومنافعها تعود اليكم وانتم طلبتموها من صالح لتكون دليل صدق على مدعاه فمتى مستتموها بسوء سبب ذلك لكم نزول عذاب اليم عليكم ، واذكروا نعمة الله التى اسبغها عليكم بأن جعلكم خلفاء الأرض من بعد ما اهلك عادا ومكنكم فى ارضه تتخذون من سطوحها السمحة قصورا تبنونها لنزهتكم وتنحتون من جبالها بيوتا تكنم فاذكروا هذه الآلاء العديدة لله سبحانه بالأصلاح لها والأبقاء عليها ولا تعثوا فى الارض مفسدين لأنفسكم ولها وللأغيار .

فكان من جواب قومه المستكبرين للمؤمنين المستضعفين منهم اتراكم حين اتبعتم صالحا تعلمون من اعماق انفسكم انه مرسل من ربه وانه نبي حق فقالوا لهم نعم انا بما ارسل صالح به لمؤمنون فقال الذين استكبروا عنادا ولجاجة انا بالذى آمنتم به كافرون وحملهم هذا العتو على عقر الناقة واهلاكها وفرار فصيلها فى شعاب الجبال وتقاؤوا

من صالح حيث قال لهم سابقا ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب اليم ان  
يأتيهم بما وعدهم من العذاب بعد ما ارتكبوا من الناقة ما ارتكبوا  
فأخذتهم الرجفة وهو الزلزال فاصبحوا في دارهم جاثمين اي ساقطين  
بلا حراك على وجه الأرض جثوم الحجارة عليها وكان صالح على موعد  
من نزول العذاب عليهم فتولّى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربّي  
التي كلفني بأصالها لكم ونشرها نبيما بينكم ونصحت لكم عن ايمن  
ولكنكم اناس قد استولى عليكم فساد الباطن فلا تحبّون الناصحين  
ولا شك ان مغبة السوء سيئة مثله فذوقوا المر الذي جنيتموه بأيديكم .

\* ( و لوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم

بها من احد من العالمين : انكم لتأتون

الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم

مصرفون : وما كان جواب قومه الا ان قالوا

اخرجوهم من قريبتكم انهم اناس يتطهرون :

فأنجيناه واهله الا امرئته كانت من الغابرين :

وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة

المجرمين ) \*

قد اختلف في لوط هل انه هو ابن اخ ابراهيم او انه ابن خالته  
وانتصب لوط على انه مفعول اما لتقدير قولنا وارسلنا لوطا واما لتقدير  
واذكر لوطا اذ قال لقومه بعد ان رأهم قد لابسوا فاحشة قدره جدا  
وهي اتيان الرجال ولا شك ان هذا الفعل ناب عن المجارى الطبيعية  
بعيد عن مستوى الخلقة البشرية ، اتأتون الفاحشة ، وهي فعل اللواط  
ما سبقكم بها من احد من العالمين ، اما بالمرّة الواحدة فيكونون هم

المبتكرين لها او كانت تفعل بصور متقطعة وفي التستر ايضا بحيث لا تجلب النظر بخلاف ما كان هؤلاء عليه وباعتبار انه ذكر الفاحشة مهملة من قيد موضح شرحها بقوله ، انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء النساء ، ثم انه ترقى في ذمهم فقال ، بل انتم قوم مسرفون ، قد تجاوزتم حتى حدود الطبيعة فضلا عن الشريعة ، وما كان جواب قومه الا كجواب كل جاهل مهتوك السر والعلانية ، اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون ، فهم مع اعتزازهم بعملهم معترفون انه فعل قذروا ان الذي يترفع عنه انسان متطهر وحينذاك حق عليهم العذاب فأمطروا بحجارة قضت عليهم وأنجي لوط واهله الا امرته فقد كانت من الهالكين مثلهم لأنها كانت تعينهم على منكرهم وتجس على بعلمها وضيوفه فانظر كيف كان عاقبة المجرمين البست هي الدمار والبوار .

\* ( والى مدین اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جائكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين : ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن بها وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين : وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ) \*

قيل ان مدین هو ابن ابراهيم وانسل حتى كثر افراده وشعيب من ذرية مدین اى وكما واترنا برسلنا على الأقسام بحسب تسلسل الأجيال فقد ارسلنا الى مدین اخاهم شعيبا فقال فى دعوته لهم يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره وهذه الدعوة تصدّر بها كل نبى لان الأعتراف بها نقطة الأطلاق لكل فضيلة ، قد جائكم ، على ما اقول ، بينة ، اى معجزة مؤيدة مصدّقة لما ادعيته مثبتة لما اتيت به وكانت الخاصة البارزة لقوم شعيب هى تطفيف المكاييل والموازين و لذلك كان امره بالمعروف ونهيه عن المنكر دائرا حوالى هذا المحور وفى الطليعة من عظاته وارشاداته ، فأوفوا الكيل ، اى املئوا الكيلة بقدر نصابها ، والميزان ، بمقدار عياره ، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ، اى تعطونهم انقص من حقهم الذى لهم ، ولا تفسدوا فى الأرض بعد

اصلاحها ، نهى عام عن كل مفسد بما يدخل فيه تطفيف المكاييل  
 والموازين وغيره من السيئات واصحار بأن الأرض بعد ما خلقها خالقها  
 سواها واصلاحها من كل نقص ولكن العباثين افسدوها مـكان ان  
 يصلحوها اكثر بفعاليتهم ويزينوها بحسناتهم ، ذلكم ، الذى ارشد تكم  
 اليه ، خير لكم فى دينكم ودنياكم ، ان كنتم مؤمنين ، بالواقع ، ولا تقعدوا ،  
 للناس الذين يحاولون الأستهداء بالسؤال من نبي مرسل او عالم  
 متفقه ، توعد ونهم بالمكروه توقعونه بهم وبالسخريه والأستهزاء تعاملونهم  
 بها ، وتصدون عن سبيل الله من آمن بالله وتبغون السبيل عوجا  
 حارفين لمن استقام ، واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم قليلين فكثركم  
 فلا تطوحوا بأنفسكم الى الهلاك وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من  
 قوم نوح وهود وصالح ، وان كان فيكم من آمن بى وآخرون لم يؤمنوا  
 فليصبر كل من المؤمن وغير المؤمن حتى يحكم الله بينهم بنجاه المؤمن  
 وجزائه الجميل وهلاك الكافر وعقابه الوبيل وهو خير الحاكمين حيث  
 لا يحابى ولا ينقص من ذى حق شيئا من حقه .

\* ( قال المأذون استكبروا من قومہ لنخرجنک  
 یاشعيب والذین آمنوا معک من قریتنا او  
 لتعودن فی ملتنا قال او لوکننا کارهین : قد  
 افترینا علی اللہ کذبا ان عدنا فی ملتکم بعد  
 اذ نجانا اللہ منها وما یكون لنا ان نعود  
 فیها الا ان یشاء ربنا وسع ربنا کل شیء علما  
 علی اللہ توکلنا ربنا افتح بیننا و بین قومنا  
 بالحق وانت خیر الفاتحین ) \*

لما توعّد شعيب قومہ بقوله فاصبروا حتى یحکم اللہ بیننا لم یُرق  
 ذلک فی اعینهم واهابت بهم غطرستهم المکذوبه فقالوا لنخرجنک  
 یاشعيب انت ومن معک من المؤمنین بک وان كانوا فی النسب منّا  
 ونُجلیک عن قریتنا فأننا لا نتفق معک فی المشرب فلا نتفق معک فی  
 المسکن او لتعودن فی ملتنا والعود هنا بمعنی الصیورۃ كما قال  
 ذاک الشاعر :

هذی المکارم لا قعبان من لبین

شیبا بماء فعادا بعد ابوالا

ای صار ابوالا فقال لهم أنصیر الیکم ولو بالکره والأرغام فأنه  
 لادین مع الأکراه کیف نصیر الیکم بعد ان فتح اللہ اعیننا علی الحق  
 فشاهدناه ونجاتنا من الباطل فاذا عدنا الیکم نكون قد افترینا علی  
 اللہ کذبا لأننا بهذا القریب کنّا ندعو الی اللہ ونقول عن لسانه تعالی  
 بالنسبة الی اربابکم ان هی الا اسماء سمیتموها انتم وآباؤکم ما انزل  
 اللہ بها من سلطان فمن المستحیل علینا ان نعود الیکم وندخل فی



ملتكم الا ان يشاء الله ذلك لنا وهو تعليق على محال كما هو واضح  
وسع ربنا كل شيء علما اي هو اعرف بما نكته ونمضى عليه جميعا ، على  
الله توكلنا في مسيرنا والى اين ينتهى بنا الدرب ، ربنا افتح بيننا  
وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين اي عين مصير كل واحد من  
الفريقين حتى ينتهى هذا التخاصم الى حد فاصل .

\* ( و قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم  
شعيبا انكم اذا لخاسرون : فأخذتهم الرجفة  
فأصبحوا فى دارهم جاثمين : الذين كذبوا  
شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا  
شعيبا كانوا هم الخاسرين : فتولّى عنهم وقال  
يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم  
فكيف آسى على قوم كافرين ) \*

اي وقال اشراف القوم الكافرين بشعيب وبدعوته بعضا لبعض  
وللسائرين وتواصوا وتعاقدا على الكفر والمعاندة لئن اتبعتم ياناس  
شعيبا انكم اذا لخاسرون ولكنهم لم يبنوا جهة خسرانهم فلما اتم الله  
عليهم حجته وأكّد نُدْره سلط عليهم زلزالا ارجف بهم الأرض التى  
تقلّم فما طلعت عليهم الشمس الا وهم جثم جثوم الحجارة على وجه  
الأرض لا حسييس ولا حراك وفعل بهم الزلزال فعلا اذا مرّ المارّ  
بأرضهم يقول هذه ارض بائدة قد فعلت بها الحوادث ماشوه منظرتها  
ولا يظن فيها انها كانت مساكن اقوام تراوحوا على مناكبها متغطرسين  
متكبرين عاتين عابثين ، الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فى هذه  
الدار ، الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين لا الذين آمنوا به وهذا  
تعريض بقول الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا

لخاسرون فلماً تحقق شعيب من نزول العذاب بالكافرين من قومه  
 سار عنهم وتخلّى منهم بعد ان ودّعهم بهذه الكلمات يا قوم الى ساعتى  
 هذه لم آل جهدا فى الأندار اليكم وابلغكم رسالات ربّى والنصح لكم  
 فكيف احزن اذا سمعت بما ينزل بكم او رأيت مصارعكم طبعاً لا تحركنى  
 اية عاطفة الى ذلك .

\* ( وما ارسلنا فى قرية من نبيّ الاّ اخذنا اهلها  
 بالبأساء والضرّاء لعلّهم يضرّعون : ثم بدلنا  
 مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مسّ  
 آباءنا الضّراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم  
 لا يشعرون ) \*

تفيد هاتان الآيتان ما ملّخصه انّ الله سبحانه بنى الدنيا على  
 الأختبار والأمتحان لتظهر روحية الإنسان لنفسه فيتيقن من ذاته انه  
 انسان طاهر الضمير او خبيثه ومهما احسن الظنّ بنفسه فان الخبث  
 الظاهر لا يخفى وحتى على صاحبه ، وما ارسلنا فى قرية ، والمراد بالقرية  
 معناها الأعم وهو مجتمع الأفراد سواء كان مصغراً ام مكبراً ، من نبيّ ،  
 عام الدعوة ام خاصها ، الاّ اخذنا اهلها بالبأساء والضرّاء ، بمعناهما  
 العام فقراً وغنى صحة ومرضاً غمّاً وارتياحاً نفعل ذلك بهم حتى يعرفوا  
 ان فى الكون مصرفاً ومغيّراً ، لعلّهم يضرّعون ، اى حتى ينكسروا فلا  
 يتنزى بهم الغرور فيعيثوا العيث الكثير ، ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة  
 اى نجعل مكان العقوبة العفو بعد التوبة ، حتى ، اذا ، عفوا ، اى زادوا  
 فى اموالهم وجاههم ونشاطهم فأنساهم ذلك ذكر المغيّر والمصرف وهو  
 الله تعالى وقالوا تارات الدنيا كانت ولم تنزل فليست هى اثر انتقام او

احسان و معنى ذلك انه ليس هناك ما يقال له الله و مقلب القلوب  
والأحوال فعند ذلك نأخذهم على غرة من غرورهم وهم لا يشعرون .

\* ( ولو انَّ اهل القرى آمنوا واتَّقوا لفتحنا عليهم

بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا

فأخذناهم بما كانوا يكسبون : فأمن اهل

القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون : أو

أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم

يلعبون : أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله

الآ القوم الخاسرون ) \*

ثم ابان سبحانه أنه لا هدف له مع مخلوقه الا سعادتهم و راحتهم  
ورخاء العيش لهم فلو ان الناس آمنوا بمولاهم الله و ركنوا اليه و خافوا  
مواقع غضبه لتفتحت امامهم بركات السماء من فوقهم و خيرات الأرض من  
تحتهم ولكنهم لووا جانبا عن الله ما بين منكر له و منحرف عنه ولا شك  
ان نتائج كفران النعمة هي الأطاحة بالجاحد ، كيف يتجاهل الناس  
بربهم فيأمنوا ان يأتيهم بأسه ليلا وهم غارقون فى غفواتهم ام كيف  
يتناسون ايقاعه فيأمنوه ضحى وهم سادرون فى لعبهم وهو عبارة عن  
انغماسهم فى الشهوات أفأمنوا مكر الله اى اخذ له لهم من حيث  
لا يعلمون فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون لعقولهم اما بأنكاره  
او بحسابه وجوده اعزل لا يضر ولا ينفع وكلتا العقيدتين كفر و جهود  
لمقام الربوبية .

ويفاد بالآية نكات شريفة وهى ان الأيمان معناه سكون النفس

واطمئنانها الى المبادئ الفاضلة التى تؤيد مفاهيمها العقول السليمة

علما وعملا أما علما فان سياحة العقول فى المفاهيم وتفكيك بعضها عن بعض تعطيتها اليقين بان الصدق حق لانه عين الواقع والكذب باطل لانه تدليس للواقع والرفق حق لانه من مقولة العدل والتشدد والأعنات باطلان لأنهما من مقولة الظلم والتعفف حق لانه يشرف الإنسان وهبوط النظر وتذبذب النفس باطلان لأنهما يحطآن من مقام الإنسان والعفة حق والفساد باطل والأحسان بما يسع الإنسان حق والخسة واللؤم باطلان والأباء حق والخنوع والذلة باطلان والوفاء حق والغدر باطل وأما عملا فكل عاقل يحس ان المجتمع صغيرا كان ام كبيرا انما يقر مع الفضيلة ويتموج مع الرذيلة وليس القرار منوطا بتحسّن الاقتصاد العام كما يقول الشيوعيون وغيرهم اولئك الذين انكروا كل فضيلة الا بالمفهوم الفارغ واذا دار الأمر مع فقدان الأيمان الصحيح بين الفقر والغنى فالفقر خير للجامع بالمائة مائة فان فاقد الوسيلة لا يستطيع حراكا بخلاف واجدها ولما فقدت مجامعنا الحاضرة الأيمان بالمبدأ من ناحية ووجدت الوسائل من ناحية ثانية طلعت الدنيا باهلها طلعة كالحية كثيرة الويلات متوفرة الهنات بعيدة عن السعادة قريبة من الشقاء وهذا المطلب قرّره الفلاسفة العالية واقرب به كل فيلسوف سواء كان ملحدا ام قائلا بمبدأ غيبى فان الفلاسفة قسموا الفلسفة فى بادء بادء الى قسمين فلسفة عملية وفلسفة علمية أما العلمية فهى التى تناقش المفاهيم فتصحح هذا وتبطل ذاك وأما العملية فهى التى تطبّق المفاهيم على الخارج وتلزم السياسات بالسير عليها حتى تستطيع ان تفلح فى مجاريها بحيث لا تشن فيها الحروب ولا تستعمل فيها القوى للأطاحة بالمنتقدين فحسن السياسة وهو البحث فيها عما يصلح واقعا وما يفسد واقعا من اعظم العلوم العقلية وقد عزّزها

القرآن الكريم بمثل قوله ولو ان اهل القرى نفضوا ما فى اد مغتهم من  
حيات باطلة لأجل التوصل منها الى مقاصد هم المادية ومن جملتها  
التلصص والخديعة والتزوير والاحتكار والانتهاز وآمنوا بالمبـادء  
العالية وجعلوها صراطا لأعمالهم الحيوية واتقوا الباطل ونبذوه  
لتفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وليس معنى ذلك ان السماء  
تهطل عليهم بالدنانير والأرض تنبع عليهم بالدرهم ولكن معناه ان  
الدينار والدرهم اللذين يستفيدونهما من طريق مشروع لا يكون معه  
خلاف ولا تحايل بخلاف درهم السرقة والغيلة فان وراءه مرافعات  
وخصومات بلا فرق بين قديم الناس فى ذلك حيث اقتتلوا فى حرب  
البسوس ٤٥ سنة على حساب ناقة وجد يده حيث تتقاتل الدول على  
اشبار من الأرض او على معدن محدود الفائدة بما ينجر فى اكثره الى  
ويلات عظيمه جدا وما هذا التحارب فى ممالك اليوم الا على مثل هذه  
الحسابات الباطلة ولو تركز هؤلاء على الحق لسعدوا وسعادة مطلقة  
ولكن كذبوا بالحقيقة علما وعملا فأخذوا بما كسبوا .

\* ( اولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد  
 اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع  
 على قلوبهم فهم لا يسمعون : تلك القرى نقص  
 عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم  
 بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل  
 كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين :  
 وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدناهم  
 لفاسقين ) \*

الهداية في الآيه بمعنى الأرشاد والدلالة أي ان الأجيال التي  
 تأتي خلفا لمن سبق عليها في الوجود فانطبع في حينه على الضلالة  
 باختياره لها واستمرّ غاويا فأدى به ذلك الى الهلاك ألا يكون ما وقع  
 غيرها كافيا في ردعها عن اتخاذ ما كان السلف يتخذه فان مشيئتنا  
 اذا تعلقت بذلك اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فيكون هذا  
 الطابع حاجزا بينها وبين المعرفة فهم لا يسمعون مفاد ما يدلى اليهم  
 به من الأدلة ، تلك القرى نقص عليك من انبائها ، وما جرى منها وعليها  
 ليكون ذلك لك ولقومك معتبرا أما اعتبارك انت فصبرك على ما تواجه من  
 تلوى قومك عليك واثارتهم الغيرة في وجهك وأما اعتبار قومك فأنهم  
 ليسوا بأعزّ على الله من اولئك الأقوام الذين نكلّ بهم من سبب  
 عصيانهم بل هم نظراء اولئك في عالم التكليف وما يستتبعه ، ولقد  
 جاءتهم ، أي الأمم السالفة ، رسلهم بالبينات ، والحجج الدوامغ فما حرك  
 ذلك من عاطفتهم ولا غير من طريقتهم فقد استمروا على العناد الذي  
 كانوا عليه من قبل ان يأتيهم هؤلاء الرسل ، كذلك يطبع الله على قلوب

الكافرين ، اى كالطبع الذى اوقعه على قلوب هؤلاء الغواة المقيمين على  
غيهم يطبع على قلوب الكافرين المصرين على كفرهم والملازمة له ، وما  
وجدنا لأكثرهم من عهد ، بمعنى انهم عاهدونا فلم يفوا بعهودهم ،  
ومعاهدتهم لله تتصور فى وجوه (منها) العهد المأخوذ منهم فى عالم  
الذرى (ومنها) ابلاغهم بالتكاليف واقامة الحجّة على صدق من جائهم  
بها سواء كانوا هم الطالبين من الله لأقامة نظامهم وتعديل صفوف  
جماعاتهم فى الحياة ام كان المبتدئ بذلك هو الله تعالى لأجل  
اسعادهم وارشادهم حتى لا يبقوا هملا ومنها عهودهم المتشتمة التى  
يقومون بها فى مضايقات الزمان لهم فاذا تبدلت شدتهم بالفرج نسوا  
ذلك ، وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ، ان هنا هى المخففة من المثقلة  
المكسورة الهمزة يؤتى بها للتأكيد ووجود اللام فيها بعدها (لفاسقين)  
للأشعار بأنها ليست بنافية يعنى اننا وجدنا اكثرهم منحرفين عن  
العهود والألتزامات التى تكون منهم وذلك دليل اغراقهم فى الباطل  
حيث لا يؤثر فيهم اى شىء يذكر .

\* ( ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون  
وملأه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة  
المفسدين :وقال موسى يا فرعون انى رسول  
من رب العالمين :حقيق على ان لا اقول على  
الله الا الحق قد جئتم بيينة من ربكم فأرسل  
معى بنى اسرائيل :قال ان كنت جئت بآية  
فأت بها ان كنت من الصادقين :فألقي عصاه  
فاذا هى ثعبان مبين :ونزع يده فاذا هى  
بيضاء للناظرين ) \*

ضمير الجمع الغائب فى من بعدهم يرجع لمن تقدم ذكره من نوح  
وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى من شيوخ الأنبياء الذين دّخوا  
التاريخ بمجاريمهم التربوية وتحملوا فى طريق ذلك من المتاعب الشىء  
الكثير وآيات موسى كثيرة يأتى التعرض لها وملأ فرعون اما جميع شعوبه  
المصيخة لحكمه واما اكارهم وساستهم الذين يؤثرون عليهم بأقبالهم  
على الشىء وبأد بارهم عنه فظلم هؤلاء بتلك الآيات معناه انهم لم  
يؤدوا لها حقها واداء حقها الأخذ بها والأحترام لها والأصاخة لما  
احتوت عليه ولما اريد بها فانظر ايها الناظر المعبر كيف كانت عاقبة  
هؤلاء المفسدين فى الأرض كانت عاقبتهم الأغرأق فلما بعثنا موسى  
بآياتنا الى فرعون وملأه قام موسى بأعباء تلك الرسالة فجاء بادء كل  
ذى بدء الى فرعون فقال له انى رسول من رب العالمين اليك لتؤمن  
انت وقومك به وتلتزم بمقرراته التى يريد ها من عامّة المكلفين من عباده  
واذا كان قول الحق فريضة على كل مكلف فبالأحرى ان يكون قول الحق



فريضة على الأنبياء لانهم الداعون الى فعل الفضائل والناهون عن  
مقاربة الرذائل وقد جئتك انت يا فرعون وملأك ببينة من ربك تدل على  
صدق ما اقول وأدعى فأرسل معى بنى اسرائيل وارفع يدك عنهم  
وتسخيرك لهم واستعمارك اياهم وحررهم من عبوديتك حتى اعود بهم  
الى اوطانهم الأصلية فقال فرعون لموسى ان كنت جئت بأية كما تدعى  
فأت بها حتى نقف عليها ونعرف مصيرنا منها ان كنت صادقا فيما تزعم  
فكان أول ما فعل ان القى عصاه التى كانت معه منذ كان عند شعيب  
فاذا هذه العصا ثعبان وهو ذكر الحيات الكبار مبين اى واضح عليه  
ذلك لانه سحر لا حقيقة له ونزع يده من جيبه اى اخرجها منه فاذا  
هى تتشقق شعاعا ونورا يبهر الأبصار ويأخذ بالأعين فهاتان آيتان  
عظيمنتان جاء بهما موسى لفرعون دليلا على مدعاه وانه رسول سماوى  
يريد تحقيق منشود ربانى .

\* ( قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر  
 عليم : يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا  
 تأمرون : قالوا ارجه واخاه وارسل فى  
 المدائن حاشرين : يأتوك بكل ساحر عليم ) \*

فعندما شاهد ملأ فرعون ما خلع قلوبهم من عصا موسى ويده  
 البيضاء قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل صاحب العصا واليد  
 لساحر عليم بفنون السحر وهو الذى جرأه على مغالبة فرعون والآن فما  
 اكثر السحرة فى مناطقنا ولم تكن انفسهم تحدتهم بهذا الأمر الجسيم  
 لما يرون من عجزها امام قهارية سطوة فرعون وجبروتيته ان هذا  
 الإنسان الذى تحدى جمعكم بما يملك من قوة ليس من هدفه  
 استخلاص بنى اسرائيل من ايدينا بل هدفه بعد استخلاصهم ان  
 يتخذهم عدة وقوة ينقلب بها علينا ويخرجنا من ارضنا ويمتلك المكان  
 مكاننا ويخلفنا فى كل اشياءنا فماذا ترون اننا يجب علينا ان نتخذ  
 خطة الحازم فى مقابل هذا الإنسان حتى لا نفتضح بين الأمم فبعد ما  
 تشاوروا فيما بينهم قالوا لفرعون تأخر عن جوابه تسليماً له او تنكيلاً به  
 وارسل فى مدتك وبلادك من يحشرك السحرة حتى تتحداه بهم ونرى  
 بعد ذلك ماذا يكون من امرنا وامره والأصل ارجئه من الأرجاء وهو  
 التأخير والمدائن جمع مدينة والحاشر هو الجامع .

\* ( وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين : قال نعم وانكم لمن المقربين : قالوا يا موسى انا ان تلقى واما ان نكون نحن الملقيين : قال القوافلما ألقوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ) \*

نزولا على ما اشار به الملاء ارسل فرعون وزعته الى اطراف بلاد ه ليجمعوا له اكابر السحرة وشياطينهم ليتحدى بهم هذا الساحر العليم بنظره وهو موسى فجاءه بعد ديهتم له حتى يهزموا طرفهم بكثرة الدوى الذى يقومون به واجتمع السحرة عند فرعون ليشارطوه على متاعبهم التى يقومون بها فقالوا ان لنا لأجرا على زجهاتنا ومناورتننا لطرفنا اذا غلبناه وحصل لك من متاعبنا النصر الذى تحاوله على خصمك قال نعم ان لكم لأجرا كما تهوون وستكونون مع ذلك من المقربين عندى واهل المقامات العالية لدى ، ومن هنا يستفاد بوضوح ان موقف موسى امام فرعون كان هائلا له جدا ولذلك لما جاء السحرة فى ضمن كلامهم بكلمة الغلبة نفست عليه كثيرا لأنه استشم من كلامهم انه من واثقون من انفسهم وبعد ان تم عقد القرار بين السحرة وبين فرعون جاؤا الى ميدان المسابقة فقالوا يا موسى انا ان تلقى ما عندك فى هذا الميدان ونحن نتأخر فى القاءنا عنك واما ان نكون نحن الملقيين فقال لهم القوا انتم وانما قدّمهم لتلقف عصاه ما يافكون فلما القوا ما زوروه من حيلة وابرزوا ما عندهم من معميات سحروا اعين الناس اى جعلوها عالقة بسحرتهم مستعظمة لما جاؤا به واسترهبوهم اى ادخلوا الرهبة فى قلوبهم والخوف فى انفسهم وجاءوا بفنون من السحر مهممة .

\* ( و اوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى  
 تلقف ما يأفكون : فوق الحق وبطل ما كانوا  
 يعملون : فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين :  
 والقى السحرة ساجدين : قالوا آمنا برب  
 العالمين : رب موسى وهارون ) \*

وبعد ما جاء السحرة بسحرهم العظيم واستنفدوا جميع قواهم فى ذلك وانتهوا الى نهاية ما يعلمون او حيننا الى موسى من طريق الألهام الذى يستفيد منه هو دون غيره اذ الألهام مخصوص بالملهم لا يتجاوزه الى من سواه ان الق عصاك هنا كما القيتها امام فرعون عند جئته هو وملأه فألقاها موسى فى ميدان المباراة ففضحت حبالهم وعصيهم وابانت للناس ان ما يظهر على الحبال والعصى من صور الحيات فمزور مكذوب والحبل حبل كما اريكموه والعصا عصا كما هى فى واقعها الصحيح والتعبير بالأفك عن السحر دليل على ان السحر لا واقعية له وانما هو تمويه فقط فالذى يفضح الساحر من باستطاعته ان يزيل التمويه منه ويبقى المموه على حقيقته الواقعية ومعنى تلقف تستولى وتهيمن وتسيطر وتستقوى وليس معنى ذلك ان جميع حبالهم وعصيهم تدخل فى جوفها وتعود بعد ذلك هى العصا الأولى فأن ذلك لا يخلو من حزاة عقلية فان حبالهم وعصيهم قد تكون من الكثرة ماضاعف شعبان موسى مرات واطراف الجسم الكبير مع حفظ كبره فى الصغير مع صغره مستحيل والمستحيل خارج عن قدرة كل قادر وهناك هنات ينبه عليها فيما بعد .

ومذ لقت عصا موسى ما افك السحرة بان الحق للموقف وبطل

التمويه الذى كانوا عملوه فغلب فرعون وملاه لَمَّا غلب سحرته وانقلب الجميع صاغرين امام موسى ومعجزته والسحرة لَمَّا شاهدوا من حقيقة الموقف ما معرفتهم به اكثر واكثر من معرفة فرعون وملاه وادركوا بوضوح ان ماجاء به موسى ليس من السحر بالمرّة وانما هو اعجاز قهار القوا بانفسهم الى الأرض ساجدين خضوعاً لله الذى يدعو موسى وهارون اليه وقالوا آمنا برب العالمين وازاحة للشبهة اردفوا ذلك بقولهم رب موسى وهارون حتى لا يتوهم انه فرعون فإنه كان يسمّى نفسه رباً وكذلك كان اتباعه يسمونه .

\* ( قال فرعون آمنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا

لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها

فسوف تعلمون : لأقطعنّ ايديكم وارجلكم من

خلاف ثم لأصلبنكم اجمعين : قالوا انا الى

ربنا منقلبون : وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات

ربنا لَمَّا جاءتنا ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا

مسلمين ) \*

فلما رأى فرعون ان السحرة اظهروا خضوعهم لموسى واعترفوا له بما جاء يدعو اليه واستجلى بوضوح ان ذلك مما يشوش عليه امر الناس ويلفت انظارهم الى جهة موسى ودعوته اخذ يرهيبهم ليقف الخوف امامهم وأمام غيرهم عن انهيّار الوضع به فقال لهم آمنتم به قبل ان اذن لكم بالآيمان به او عدمه واحسب ان هذا كان منكم عن توطئة سابقة ومعارضة مكذوبة ومكرد برتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها الشرعيين و تحلّوا مكانهم وتحتلوا مكانهم فسوف تعلمون غبّ ما د برتم

وعاقبه ما فكرتم انى لأصنعن بكم صنعا موحشا فلأبدأن بأيدكم وارجلكم فأقطعها من خلاف والقطع المخالف هو قطع يد من شق ورجل من شق آخر فاذا قطعت اليد من اليمين قطعت الرجل من الشمال ثم من بعد ان اوقع بكم ذلك واذ يقم حرارته ومرارته اشدكم الى جدوع النخل او غيرها فأصلبكم عليها بلا رحمة على احد فقال السحرة له بعد ما استوعبوا تهديد يده لاضير علينا ان فعلت بنا ذلك فأنا سوف ننقلب الى ربنا الذى ينشئنا نشأة ثانية ينعمنا فيها بأقصى ما نستطيع ان نعم ، وما عبت علينا ورأيته ذنبا من عندنا الا اننا آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا وفى ذلك فضل لنا لاعارعلينا ثم توجهوا الى ربهم فقالوا ربنا اكثر علينا من الصبر فأنا فى حاجة اليه وامتنا مسلمين لننال حسن العاقبه ونجبر به سوء البادئة .

\* ( وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه  
ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال  
سنقتل ابنائهم ونستحي نساءهم وأنا فوقهم  
قاهرون : قال موسى لقومه استعينوا باللّٰه  
واصبروا انّ الأرض لله يورثها من يشاء من  
عباده والعاقبة للمتقين : قالوا اودينا من قبل  
ان تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم  
ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر  
كيف تعملون ) \*

وبعد ان قضى فرعون على السحرة الذين آمنوا بموسى وعادت  
اليه والى اتباعه نفوسهم شيئا ما توجه الملأ من قوم فرعون اليه وقالوا قد  
فرغت خواطرنا من السحرة لكن نفوسنا تنازعنا بالنسبة الى موسى  
وتتقاضانا الخلاص منه لتعود الينا راحتنا المسلوبة ويزول من عندنا  
تذذب الافكار بنا اما فرعون في جوابهم فلم يتعرض لموسى لانه ادرك فيه  
خطورة ورأى منه ما يعجز لكنه ابدى نظره بالنسبة الى قوم موسى فقال سنقتل  
ابنائهم حتى يقل عددهم وتستولى عليهم الهومم والأحزان فلا  
يستطيعون حراكا واما نساءهم فنستحييها لتعيننا على خدمة انفسنا  
وانا فوق الجميع من موسى وقومه قاهرون لهم لانذرهم يأمنون بمعيشة  
او يحدثون انفسهم بانقلاب وطبعا هذه الأشاعة المسخطة شاعت بين  
بنى اسرائيل وكدرت خواطرهم فصبرهم موسى على ذلك وامرهم ان  
يستعينوا باللّٰه وان يصبروا لقضائه وان الأرض ليست ملكا لأحد سواه  
بل هي له وحده يورثها من يشاء من عباده والعاقبة في النشأة الثانية

للمتقين فقالوا له على برج وترح اودينا يا موسى على حسابك من قبل ان تأتينا لان فرعون لما تحقق من المتنبأين انه سيولد لبني اسرائيل من يكون ذهاب ملكك على يده اخذ يجزر الذكور ويبقى الاناث زمانا والآن من بعد ماجئتنا يريد بنا عين الخطة التي لعبها آنا فسكنهم ورجاهم بأنه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم مكانهم فى الأرض ويرى حينذاك كيف تعملون اتخذون نفس الخطة التي يتبناها كل جبار ام تتذكرون حياتكم مع الجبابة وانقهاركم لهم ليكون ماتعملونه حجة عليكم والّا فالله تعالى لا يغيب عليه المستقبل فإنه يعلم قبل ان يتحكم بنوا اسرائيل ماذا يكون عنهم من خير وشر ولكنه لا يجازى بعلمه بل انما يجازى المكلفين بأعمالهم .



\* ( و لقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون : فاذا جائتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ) \*

اي وعلى اثر تمرد وتعنت فرعون وملاؤه وجدنا لزاما ان نؤد بهم وننبههم حتى نلفت انظارهم اكثر واذا استمروا معاندين اوقعنا بهم الأيقاع الأخير فأخذنا آل فرعون والمنظور بهم متابعوه على طريقته بالسنين اي بالجذب لأنهم يقولون اسنت هذا البلد اذا اصابه قحط ونقص من الثمرات وقلة في العوائد لعل ذلك يثير من تذكركم وان ما وقع بهم منشؤه كفرهم بالله وجفائهم له واعراضهم عنه لكن ذلك اطلع منهم عكس عقيدة فاذا جائتهم الحسنة اي الخصب والرخاء قالوا لنا هذه نستحقها باتعابنا وجوده اراضينا وان تصبهم سيئة اي جذب وشدة يتشائموا بموسى ومن آمن به وان وجودهم بين ظهرائهم هو الذي سبب لهم ارتباك الأمور وضغط الوقت بهم والتطير هو التشاؤم ومنشؤه الوهم والخيال وهو تراث الأمم البائدة المتوحشة الا ان طائرهم الذي يتفائلون به او يتشائمون عند الله بمعنى انه تعالى هو الذي يقدر عليهم الخصب والجذب ولا ربط لذلك بشيء وراء ما يقدره الله على عباده حسبما يعرفه من المصلحة وان جهلوا بها ، ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم قضاء مقدر عليهم .

\* ( و قالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين : فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ) \*

وهذا من تنمة ذاك الذى اسلفناه من ان الله وأترع عليهم عذابه ليتذكروا ان الفاعل له ولغيره من التكاوين هو الله فما زادهم ذلك الا عكس عقيدة حتى صارحوا موسى بان كل ما تظهره لنا وتدعى انه معجزة فأنا هو سحر وتمويه ونحن لانؤمن بالسحر على انه عقيدة واقعية فأرسلنا عليهم الطوفان وهو الغيضان فأغرق اراضيهم واطاح بمبانيهم والجراد فاكتسح زروعهم واكل عوائدهم والقمل على اختلاف الآراء هل انه الدبا والقراد او القمل المعروف فلا بسهم ملابسة ازعجهم من طريقها والضفادع حتى انها كانت تزاحمهم على موائدهم من كثرتها واستقذروا وضعهم معها ايما استقذار والدم حيث كان القبطى يشرب الماء فيستحيل فى فمه الى دم حال كون ما ذكرناه آيات من عندنا مفصلات اى ظاهرة الدلالة على انها لم تكن تحصل لهم بعفو الصدفة وانما ذلك بخارق العادة من قاصد بهم هذا الأيقاع وهو الله سبحانه اذ لا قدرة لغيره على مثل ذلك ومع ذلك استكبروا عن الخضوع لله سبحانه واستمروا على اجرامهم .

\* ( ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك ولنرسلنَّ معك بنى اسرائيل : فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون : فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليمم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا غافلين ) \*

الرجز هنا نوع من العذاب غير ما سلف ذكره ف قيل انه تعالى انزل بهم الطاعون فمات الكثير منهم وجزعوا لما اصابهم فتعلقوا بموسى ان يدعو الله فى كشف ذلك عنهم والباء فى قوله بما عهد عندك يجوز ان تكون للقسم اى بحق ما عهد عندك من النبوة ويجوز ان تكون للتسبيب اى بسبب ما عهد عندك انك اذا دعوت اجبت فاذا دعوت واستجيبت دعوتك وكشفت عنا هذا الرجز الذى يهدنا بالفناء العام لنؤمننَّ لك باتباع دينك ولنطلقنَّ لك بنى اسرائيل تسير بهم انى شئت فلما استجاب لهم موسى فدعانا فأجبناه وكشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه واجلهم هو الأغرق فى اليمم اذا هم ينكثون ما عاهدوا عليه من الايمان واطلاق بنى اسرائيل لموسى فلما جاء اجلهم الذى بلغوه انتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليمم وهو البحر بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم المتعادية عنها .

\* ( و اورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق  
الأرض ومغاريبها التي باركنا فيها وتمت كلمة  
ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا  
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا  
يعرشون ) \*

وبعد ان قطع الله دابر الفراعنة واتباعهم جعل ورثتهم فى الملك  
اولئك الذين قضاوا اشواطاً بعيدة فى الزمان مستعبدين اذلاء  
صاغرين مأخوذاً عليهم كل شىء والمنظور بمشارق الأرض ومغاريبها  
الكنائية بسعة الرقعة والملك وهى البلدان التى حكمها الاسرائيليون  
فى احسن ازمانهم كزمن داود وسليمان وتمت بمعنى تحققت كلمة ربك  
التى ذكرها تعالى بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى  
الأرض ونجعلهم ائمةً ونجعلهم الوارثين وقوله على بنى اسرائيل  
متعلق بقوله تمت والباء فى قوله بما صبروا للتسبيح اى بسبب صبرهم  
على الحوادث وكما دمرنا فرعون واتباعه ارواحاً دمرناهم آثاراً فلم يبق  
لهم عرش ولا كرسى ولا اى اثر آخر .

\* ( و جاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم

يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل

لنا الالهة كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون :

ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا

يعملون : قال اغير الله ابغىكم الالهة وهو

فضلكم على العالمين ) \*

المجاوزه هي العبور من الشيء الى غيره يعنى اننا شققنا لكم البحر طرقا يابسة كأنكم تمشون فى جواد معبّدة اسباغا للنعمة عليكم واعزازا لكم فى انظار بنى آدم فلما عبر بنو اسرائيل البحر بالصورة المذكورة فى طريقهم الى موطن آبائهم مروا على قوم يعكفون على اصنام لهم فحرّك ذلك من ذهنياتهم الى ما عاشوا عليه دهرًا طويلًا أمّا عابدين للصنم كأسياذهم الأقباط او مانوسين به لتغلغلهم فى اطباق اناس ملاحدة وهم الاقباط الذين اشرفنا اليهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الالهة كما لهم الهة فقال لهم موسى انكم قوم تجهلون من عبدة نواحى (منها) انكم اولاد انبياء فما انتم وعبادة الأصنام (ومنها) انكم رأيتم ما حلّ بالأقباط من جهة الحادهم بالله او شركهم به (ومنها) انا نبيكم وقد رأيتم ما اظهر الله على يدى من المعجزات العظيمة وهما هودا عبوركم فى البحر الذى هو آية من اعظم الآيات سالمين وقضاء الله بمثل هذا العبور على الأقباط بحيث لم يبق منهم ديارا فما اعظم جهلكم وانتم فى مثل هذه الحالات تطلبون منى وانا نبي ادعو الى الله وحده ان اجعل لكم صنما تتعون له ساجدين ان هؤلاء الأقوام الذين ترونهم يعبدون الأصنام متبر ما هم فيه اى هالك زائل وباطل

ما كانوا يعملون وهلاك ذلك يجوز ان يكون فى عالم الدنيا كما اهلك  
 الأتوام السابقين عليكم والمعاصرين لكم ويجوز ان يكون عند الله فى  
 الآخرة وقال موسى مكررا عليهم بتفنيده واستنكاره اغير الله اطلب لكم  
 الاها فهذا جزاء شكركم له ان فضلكم على المعاصرين لكم حيث  
 ابادهم للأبقاء عليكم فتعسا لكم من اناس لا يقيمون للنعمة وزنا ولا  
 للمعروف اثرا .

\* ( واذا انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء  
 العذاب يقتلون ابناؤكم ويستحيون نساءكم  
 وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ) \*

سقت هذه الآية كمدگر على شىء من نعم الله على بنى اسرائيل  
 ليتدبروا ان سؤالهم من موسى ان يجعل لهم الاها كما لهمؤلاء  
 المشركين الذين مروا عليهم آلهة سؤال خاطىء وجهة من خطاه انه  
 كفران لنعمة الله عليهم فقد كان الاقباط يسخرورنهم فى حوائجهم  
 تسخير العبيد ولم يكتفوا منهم بذلك حتى ابادوا مواليدهم الذكور  
 قتلا وابقوا الأناث للخدمة ولىشقين فى الحياة اكثر من كل شقىء وفى  
 ذلكم ، اى فى تسليط الاقباط عليهم اختبار عظيم لهم ليظهر لهم من  
 انفسهم ما ينطوون عليه من جزع اللئام او صبر الكرام وليس المنظور  
 بجزع اللئيم هو تأوّهه وشكواه بل استنامته الى الذلّة لكل من يريد ها  
 به كالمأيس من نفسه كما انه ليس المراد بصبر الكريم هو سكوتـه  
 ورضوخه بدون ان يبدى حراكا من نفسه وهو يقدر عليه وبنوا اسرائيل  
 قد يعذرون فى تصرف الاقباط بهم ان لم يكن بأماكنهم حتى الجلاء  
 فردا فردا وعائلة عائلة عن ارض مصر الى غيرها من بلاد الله العريضة

\* ( وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتمناها بعشر  
فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لأخيه  
هارون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتببع  
سبيل المفسدين ) \*

بعد ان افلت الله بنى اسرائيل من تحكّم الاقباط فيهم ذلك  
التحكّم الذى قرأته واهلك الفراغة واعوانهم وصفى الجوّ تماما لبنى  
اسرائيل حيث لا يخافون انتكاث الامور بهم جاء دور التشريعات التى  
تقيم النظام وتحفظ من الانهيار فطلب الاسرائيليون من موسى كتابا  
سماويا ليستضيئوا بنوره ومع ذلك اتهموه ان يمضى الى ربه وحده حين  
اعتاد مناجاة ربه على الطور من سيناء وهذا المعنى فيهم حتى لو كان  
مع غير نبيّ لكان من اقبح القبائح بعد ان جربوا من اخلاصه الشىء  
العظيم بل اوفدوا معه سبعين رجلا الى ميقات ربه ، واما الثلاثون  
ليلة وانتظارها هناك فقد تكون الحكمة فيها التفرغ للعبادة حتى  
يتلقى الجمع هدية الله لهم وهم على انزه وضع واطهره واقربه للألتقاء  
بفيض الله ، واما تمدد ذلك الى عشر بعدها فهو لا اختيار بنى  
اسرائيل ليرى ما يكون منهم بعد تأخر موسى والسبعين المنتخبين عنهم  
فهل ينهار بهم الوضع او يبقون على حسن الظنّ برّبهم ونبيّهم ومن  
اوفد وهم معه وقال موسى بعد ان عزم على الذهاب الى الميقات لأخيه  
هارون كن على هؤلاء القوم بعدى كأننى انا موجود بين ظهرانيهم فقد  
كان موسى يتخوف من جماعته الشىء الكثير لما عرفهم به من التغيّر  
السريع واصلح امورهم بأن تسدّ كل ثغرة تجدّها شاغرة بما يصلح  
لسدّها وهلمّ دوايك ولا تتبع سبيل المفسدين اذا اتوك بأسلوب

مغرى وهذه الكلمات لا مانع من سوقها حتى الى الأنبياء فأن الوصية بالتقوى ليس معناها ان تظنّ بالطرف الظنون ولكنها تقال للتثبيت والتأييد والتأكيد .

\* ( ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربّ

ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر

الى الجبل فأن استقرّ مكانه فسوف ترانى فلما

تجلّى ربه للجبل جعله دكّا وخرّ موسى صعقا

فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول

المؤمنين ) \*

وبعد ان انفصل موسى والوفد الذى معه لميقات الله طلب منه جماعته ان يريهم ربهم وكأنهم لم يكتفوا فى الأيمان به بما اظهر لهم من المعجزات الجسيمة حتى يروه كما يرى بعضهم بعضا ويتوسم فيه وبنوا اسرائيل من اللجاجة بمكان فعبر موسى عن شعورهم بلفظ نفسه فقال ربّى ارنى انظر اليك اى ارنى ذاتك كما اسمعتنى كلامك من اغصان الشجرة التى تفرغ عن مقاصدك فأجيب بلن ترانى ولن حرف نفى بلا شبهة وتأبيد فى نوع استعمالها الفصيحة ومعنى ذلك اننى لست محلاً للرؤية لان الوجود المجرد عن المادة ولوازمها يستحيل فيه ان يحسّ باحدى الحواس الظاهرة ولكن اذا احبّ القوم ان يلمسوا طرفا من قدرة الله الباهرة التى رأوها فى اشدّ الحالات واشقّها فلينظروا الى هذا الطور الذى هم فى حوزته فان تجليا من تجلياتى واعمال نوع من قدرتى سأظهره عليه فان استقرّ الجبل فى مكانه فمعنى ذلك ان تجلياتى عقيمة واننى وجود كسائر الموجودات التى لا يهتم لها



لها ذاك الأهتمام البالغ كالمملوك اولى البطش والقوة ولكنهم لى  
التحقيق لا اهمية لهم لانصهارهم بكثير من الحوادث فانا اكون فى  
محدودية قدرتي مثلهم وفى امكان رؤيتى بالحاسة نظيرا لهم وان  
ساخ الجبل ودك فلان ذلك ان ذاتى فوق ما يتصور هؤلاء فلما تجلى  
ربه للجبل جعله دكا اى فرشه على الأرض وصيره كأن لم يكن وصعق  
موسى ومن معه من عظم المفاجئة فلما افاق موسى من صعقته قال  
سبحانك اى انزهك من كل ما لا يجوز نسبه اليك تبت اليك مما تجرأت به  
عليك وان كنت لم ابدأ بما استدعيت به من نفسى وانا اول المؤمنين  
بك فى انك اجل ما يمكن تصويره من الجلال والجمال والكمال والعظمة .

\* ( قال ياموسى انى اصطفتك على الناس  
برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من  
الشاكرين : وكتبنا له فى الألواح من كل شىء  
موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر  
قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ) \*

ويعد ان تنصل موسى من كل لوث المّ به قال له ربّه انى اصطفتك  
اى اخترتك وانتخبتك من بين الناس كلهم برسالاتى الى عبّادى  
وبكلامى معك من دون وساطة ملك بل بخلقى الكلام فى اى عنصر  
انتخبته من شجرة وغيرها فخذ ما آتيتك من تشريعات التوراة وكن من  
الشاكرين لهذه الأنعم التى خصصت بها وكنت انت الوسيط دون غيرك  
وكتبنا لموسى فى الواح التوراة من كل شىء يمّس بالحياة الفاضلة  
تلويحا او تصريحاً وتفصيلاً لكل شىء يتصل بالحياة ما بين العبد  
والمعبود فخذها ياموسى بقوة نشاط فى علم وعمل وأمر قومك يأخذوا  
الزما بأحسنها فان الواجب احسن من المستحب ومباحها حسن ايضا  
الآ انه لا الزام فيه وانى سألفت انظاركم الى محالّ العبر من اقوام  
تلاشوا وامم ابيدوا وناس احيط بهم فلم تبق منهم الا آثارهم التى  
تنطق عنهم بلسان حالها ليكون ذلك باعثاً على ملازمة الكتاب والعمل  
بما فيه .

\* ( سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض  
 بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان  
 يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وان يروا  
 سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا  
 بآياتنا وكانوا عنها غافلين :والذين كذبوا  
 بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل  
 يجزون الا ما كانوا يعملون ) \*

آيات الله معاجزه التي يظهرها على ايدى انبيائه تعزيرالموقفهم  
 وكذلك هي حججه الدامغة وبراهينه البالغة ومعنى سأصرف عن آياتي  
 الذين يتكبرون اننى لا ادع للمتكبرين الطاغين منفذاً يتسربون من الى  
 ابطال آياتي والواقع كذلك فان الطاغية وان اجبر الناس على خلاف  
 الحق الا انه لا يستطيع ان يقلبه عن محله من الصدق ومطابقة الواقع  
 وموافقة الأدلة الصائبة له ، ثم ان كل متكبر متجاوز وكل تكبر باطل لأن  
 التكبر معناه اظهار عظمة لا واقع لها وانما هو نفخ لصدور جوفاء ، وان  
 هؤلاء المتكبرين في الأرض بغير الحق لا تروق في اعينهم آية آية  
 لزعمهم انهم فوقها ولا يؤمنون بها لا دعائم انهم اكبر منها وان يروا  
 سبيل الرشداً والهداية لا يتخذوه سبيلاً تغطرسا عليه وان يروا سبيل  
 الغي والأنحراف يسلكوه لا لاعتقاد لهم به ولكن تأييداً له حتى يحطوا  
 من كيان الحق وجلالة مقامه ، انما يفعلون ذلك لأنهم ناوئوا المعجزات  
 وكذبوا الأنبياء وكانوا عنهم وعنهم بمنزلة الغافل فان الغافل عن الشيء  
 لغفلة لا يجله اذا كان اهلاً للأجلال وكذلك هؤلاء العاتون لا يجلبون  
 الحق الا ان الغافل معذور دون المتغافل فانه مؤاخذ مشبور والذين

كذبوا بآياتنا تكبراً وانكروا المعاد تعنتاً يحبط كل عمل صالح لهم ان  
كان عندهم من ذلك شىء ويجزون فى الآخرة بما تستحقه اعمالهم  
القائمة على انحراف عقائدهم وخبث ضمائرهم وفساد منوياتهم .  
\* ( واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً  
جسداً له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم  
ولا يهدى بهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين :  
ولما سقط فى ايدى يهم وراوا انهم قد ضلوا  
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من  
الخاصرين ) \*

كان موسى عندما ذهب الى ميقات ربه مع السبعين الذين اوفدوا  
معه واعد قومه انه يعود اليهم بعد ثلاثين ليلة فلما مدد سبحانه  
الأمم الى اربعين ليلة ارجف به الخونة من جماعته فقالوا انه مات  
فلنعد يا قوموا الى عبادة الأصنام فصنع السامرى لهم عجلاً من حلى  
كان عندهم امانة للاقباط فلما غرق الاقباط فى عبور البحر بقى هذا  
الذهب لدى يهم فجمعه السامرى منهم وصاغه عجلاً له جسد العجل أما  
حقيقة بأن انقلب لحماً وعظماً ودماً وأما بصورة العجل والخوار وهو  
صوت العجل لا يحتاج الى توجيه اذا كان عجل السامرى عجلاً  
بالحقيقة وأما اذا كان بصورة العجل فقد يكون صنع فيه صنعا ووضع  
فيه آله تصوت صوت العجل فعبده الكثير من بنى اسرائيل فندد الله  
تعالى بهم بقوله ألم يروا انه لا يكلمهم وهنا يأتى الاشكال بأن كل  
عجل لا يتكلم ولكن هذا الاشكال لا مقليل له لأن هدف الله من ذلك ان  
هذا العجل اذا كان رباً وجب ان يكون متكلماً أما ناهياً واعظاً مرشداً

هاديا وهذا العجل المعبود لا يتكلم ولا يهدى السبيل فهو اذاً  
ليس برّب كما انهم كانوا ظالمين لأنفسهم بعبادتهم له لانهم كانوا  
خييراً منه واشرف .

ولما عاد موسى والوفد من الميقات ووجدهم فعلوا من بعده  
هذه الفعلة الشنعاء انبهم وابطل كلّ شبهة كانت معهم ولاّمهم اشدّ  
اللوم فسقط في ايديهم يعنى ندموا اشدّ الندامة وتوجهوا الى  
خطأهم توجهها قويا يقال سقط في يده بالبناء للمجهول على معنى  
وقع عليه الشقاء والبلاء ورأوا انهم قد ضلّوا عن طريق الهداية وسلّكوا  
سبيل الغواية وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا خطيئتنا لنكونن من  
الخاسرين فى الدنيا والآخرة .

\* ( ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال  
 بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم امر ربكم  
 والقى الألواح واخذ برأس اخيه يجره اليه  
 قال ابن أمّ ان القوم استضعفونى وكأدوا  
 يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى  
 مع القوم الظالمين : قال رب اغفر لى ولأخى  
 وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين ) \*

لما رجع موسى من ميقات ربه هو ومن كان معه وبيده الألواح  
 ووجدهم قد صنعوا العجل وعبدوه غضب غضبا شديدا لما وجد فيهم  
 من التناقض البعيد الشقة واسف على زحماته فيهم قال لهم بئس  
 الذى خلفتمونى به ارسلتمونى على ان أتى لكم بكتاب ربكم تقيمون به  
 اودكم واذا بكم تصنعون العجل لتعبدوه فما ابعد ما بين الحاليتين ،  
 وان قلت انك ابطأت علينا فما الأبطاء فى هذا المجال ولو طال يبرر  
 لكم الانقلاب عن الخالق الذى شاهدتم آثاره فى اخرج المواقف على  
 انه لم يطل فلم يزد على الثلاثين ليلة الا عشر ليال وهو من شدة غضبه  
 لله ولموج قومه بصورة منشرة عن العقل القى الواح التوراة من يده  
 واخذ برأس هارون اخيه يجره اليه متبرما منه فقال له هارون يا ابن أمّ  
 وهذه النسبة ابلغ فى استعطاف الأخ لاخيه انى وعظت القوم ونصحت  
 لهم وعنفتم فلم يقبلوا منى واستضعفونى من بعدك بل كادوا يقتلوننى  
 فلا تشمت بى الأعداء حين تجر برأسى ولا تحشرنى مع هؤلاء القوم  
 الظالمين لانفسهم بعبادتهم غير ربهم فقال موسى بعد ان اخذت

هذه الكلمات منه مأخذاً من الرقة والأنكسار ربّ اغفر لي ان كنت تجرأت على اخي واغفر لأخي مالعله لم يقم بالواجب المحتم كما يراد منه وادخلنا انا وآياه في رحمتك واغمرنا بلطفك وانت ارحم الراحمين فتوقع الرحمة منك في مكانه ومحلّه .

\* ( انّ الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين : والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم : و لما سكت عن موسى الغضب اخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ) \*

ان الذين اتخذوا العجل رباً وعبدوه بعدما شاهدوا من عظمة الله وآثاره التي لا يقوم بها اقوى الاقوياء سيتصل بهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا بوقوعهم مأمورين بقتل انفسهم حتى تصح التوبة في حقهم والمأمورية بقتل النفس من اقصى آثار عدم الرضا من المولى وفي الحكم بذلك هو أنّ على المكلف بأن جريمته بلغت مبلغاً لا يمحوا اثره الاّ السيف ويمثل هذا الجزاء نجزي كل من يفترى على الله امثال هذه الافتراءات الأحادية التي تعتبر تحدّياً لله عزوجلّ ثم انه سبحانه اعطى كلية من نفسه فقال وكلّ مكلف يعمل السوء ثم يتوب بشرائط التوبة من عمله ويعاود ايمانه الذي كان عليه او اريد منه فان الله من بعد توبته لغفور لذنوبه التي نزع يده منها رحيم به عطوف عليه ولما سكن الغضب في موسى وانكسرت حدّته وعادت نفسه الى طمأنينتها اخذ

الألواح من الأرض بعدما القاها غضبا وفي نسخة الألواح هداية لمن يهتدى بها ورحمة دنيوية واخروية للذين يرهبون الله ويخافون مؤاخذته فى اليوم وغدا .

\* ( واختر موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لوشئت اهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ) \*

قومه منصوب بنزع الخافض اى من قومه وهذا الاختيار للسبعين رجلا هل هو لميقات انزال التوراة او انه كان من بعد عبادة العجل فذهب هذا الوفد للأعتذار والتنصل وعلى المبنيين يختلف المعنى فعلى مبنى الميقات الأول ان الرجفة اخذت القوم لما سمعوا كلام الله لموسى فتخطوا الى ما هو اعظم وهو سؤال رؤيته تعالى فصعقوا فقال أتهلكنا اى أنا ومن لم يسأل الرؤية بما فعل السفهاء منا وعلى مبنى الميقات الثانى ان الرجفة اخذت القوم لكونهم من طليعة بنى اسرائيل فلم يكونوا يعاونون موسى على جهليات قومهم ولا يساندونه المساندة اللازمة فى ابلاغ رسالته وتشبيتها فاعتبرهم الله سبحانه شركاء جرم ولذلك ارجف بهم فقال حينذاك ياربنا اننا انا وهؤلاء لا تماس لنا مع العجل اتواخذنا بما فعل السفهاء من عبادته ، والفتنة هى الاختبار والأمتحان اى كلما جرى من امر العجل ونظائره فانما هو بتوسعة لميدان الاختبار منك لترى ماذا تبلغ روحيات القوم من التلوى على



الحق او الأستقامة عليه ورؤيتك لذلك معناها ايقافك لهم على علمك بهم ، تضل بالفتنة من تشاء وهو من تراه سريع الانحراف الى الباطل بطيء الاقبال على الحق وتهدى بها من تشاء وهو المقبل على الحق دائما المرید له الهادف اليه ، انت ولينا القائم على امورنا فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وانت خير الغافرين للذنوب والخطايا .

\* ( واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة  
 انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من  
 اشاء ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها  
 للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم  
 بآياتنا يؤمنون ) \*

مفاد هذه الآية من تتمة دعاء موسى واكتب اى قرر وقد ر لنا فى هذه الدنيا حسنة تطلق الحسنة على النعمة وعلى ما يوجب الرحمة وفى الآخرة اى حسنة بمعنى اننا نكون فى الآخرة كذلك منعمين مرحومين انا هدنا اليك اى رجعنا اليك عن كل احد سواك فأجاب الله على دعاء نبيه موسى بأنه يصيب بعذابه من يشاء لاجزافاً وبطرا بل عن حساب مضبوط وهو ان يكون المكلف عاصيا مصراً على المعصية غير تائب من ذنبه ولا راجع الى ربه ورحمتى وسعت كل مخلوقاتى فلها ان تطمع بها بشرط اتقاء الشرك وكنائر الذنوب وايتاء الزكوة وانما خصها بالذكر لصعوبة اخراج المال على الانسان والأيمان بآيات الله ومعجزاته التى اذا قامت على شىء اثبتته وايدته .

\* ( الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي

يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والأنجيل  
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ  
لهم الطيبات ويحرمّ عليهم الخبائث ويضع  
عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم  
فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور  
الذي انزل معه أولئك هم المفلحون ) \*

الوصف بالذين يتبعون من تنمة قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون  
والأتباع هو اقتفاء الأثر كما يقتفى الطفل اثر أمّه في المراعى والطرق  
واظهر المعانى في الأميّ كونه لا يقرأ ولا يكتب كما هو المتبادر عند  
اهل اللسان ووصفه ( ص ) بالأمية من محاسته وان كل ما عنده من لدن  
ربّه وانه تعالى اوعده به منذ نبوة موسى في توراته وعلى عهد عيسى في  
انجيله وانما انحرف عن ذلك اليهود والنصارى تعنتاً وتعصبا واعتقاداً  
من زعمائهم انه يسدّ عليهم طرق منافعهم وهذا النبيّ الموعود به  
كسلفه الصالح يأمر جيله وكل من تبليغه دعوته بالمعروف وهو الفعل  
الحسن الذي يحفظ الانسان من الأنهيّار وينهاهم عن المنكر حتى  
لا يتشتت بهم الباطل الى مراكزه الفاتكة ويحلّ لهم الطيبات التي  
خلقها الله لتنعم عباده ويحرمّ عليهم الخبائث والمستفترات ويضع عنهم  
كلما يثقلهم من عادات اتخذوها لأنفسهم عقيدة منهم ان ذلك لازم  
عليهم او بمعنى يضع عنهم مشاق التكاليف والأغلال التي كانت عليهم  
من ذهاب دولتهم ووقوعهم تحت نير الأغيار واستبداد الوضع بهم فهو  
يحرّره ويعلّي شأنهم متى انسجموا معه في جملة المؤمنين به فالذين

آمنوا بهذا النبي الأميّ وعزّروه اى منعوا اعدائه عنه وقدّموا دعوته فى الناس ونصروه وانتهجوا منهاج القرآن الذى هو نور يهتدى به اولئك هم المفلحون فى النشأتين السعداء فى الدارين .

\* ( قل يا ايّها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الأميّ الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ) \*

ثم امر سبحانه نبيّه ان يوجّه دعوته الى الناس كافةً وانه رسول الله اليهم ذلك الله الذى له جميع ما فى الكون فكلّ موجود هو ملكه لا يشركه احد فى قليل ذلك او كثيره فآمنوا ايّها الناس بالله اولاّ فأن كلّ عمل من دون الأيمان بالله لا قيمة له ولا وزن ثم اردفوا ذلك بالأيمان برسوله المنبأ عنه الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحى يوحى الأميّ الذى لا يملك معرفة الاّ من تعريف ربّه فمعرفة من اصحّ المعرفة ذلك النبيّ الذى آمن بما دعا اليه قبل ان يدعو اليه فاتّبعوه لعلكم تركبون الصراط السويّ الذى يوفى بكم الى السعادة .

\* ( ومن قوم موسى أمة يهدون بالحقّ وبه  
يعدّون : وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا  
أما وواحينا الى موسى ان استسقاء قومه ان  
اضرب بعصاك الحجر فانجست منه اثنتى  
عشرة عينا قد علم كلّ اناس مشربهم وظللنا  
عليهم الغمام وانزلنا عليهم المنّ والسلوى  
كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن  
كانوا انفسهم يظلمون ) \*

ومن قوم موسى من فيه للتبعيض بمعنى انه يوجد فى أمة موسى  
المتلوية على انبيائها الكثيرة التموج فى الحياة من هو معتدل صحيح  
العمل نزيه الضمير يهدى الى الحق بيان حقّ ويعدّل فى قوله  
وفعله وطبعا كان فى زمن موسى وازمان غيره من انبياء بنى اسرائيل  
وفى زمن نبيّ الأسلام من هو معتدل حسن الدين مرضى السيرة لله  
والتقطيع هو التوزيع اى اننا وزعناهم الى اثنتى عشر أسرة وقبيلة باعتبار  
توزع الآباء وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر وجعلنا لكل أسرة عينا وجيها  
ليكون نقيبا عليهم فيخفّ بهذا النظام عبء الادارة السياسية على موسى  
والاسباط هم الأولاد وهم آباء القبائل الاثنتى عشر الذين تتوزع  
وترجع اليهم أمة موسى فى العناصر والشائج والأمم وصف للأسباط اى  
الأسباط الذين صاروا أمما لكثرتهم وواحينا الى موسى فى زمن التيه  
حين استسقاء قومه وهم القبائل المومأ اليها ان اضرب بعصاك الحجر  
وقد تقدم الكلام عليه فى سورة البقرة فضربه فانجست منه اثنتى عشرة  
عينا قد علم كلّ اناس اى فريق من الفرقان مشربهم اى العين التى

يشربون منها وهى مختصة بهم وظللنا عليهم الغمام فى التيه ايضا اذ لم يكن عند هم مكنّ ولا مكان يأوون اليه وانزلنا عليهم فى التيه المنّ والسلوى طعاما لأنّهم كانوا طيلة اربعين سنة تائهين سائرين غير متوطنين كلوا من طيبات ما رزقناكم من المنّ والسلوى وما ظلمونا اذ تمردوا علينا وعصونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ونتيجة ظلمهم لأنفسهم هى ما يعانونه من التيه وغيره .

\* ( واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطّة وادخلوا الباب سجّدا نغفر لكم خطيئآتكم سنزيد المحسنين :فبدّل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ) \*

تقدّم مضمون هاتين الآيتين فى سورة البقرة وأنّما اعيد هـذا المضمون هنا اطراداً لسياق تاريخ موسى مع قومه والأدوار التى تعاورت ذلك الجيل فان فى هذه السياقات بسطا وتعرضا لنكات لم يكونا من قبل واعادة بعض المضامين فى استطراد بين ممتازين لاغضاضة فيها مضافا الى ما فيه من تثبيت وتقرير للمطلب المعاد ، وقال الله للأُمم التائهة من بنى اسرائيل بعد ما انقضت محكوميتهم اسكنوا ارض فلسطين ارض الآباء وكلوا منها اى شىء اردتم واقيموا فى اى مكان شئتم وقولوا عند دخولكم القرية اللهم حطّ عنا ذنوبنا واجعلنا نستقبل حياة افضل واسجدوا لله شكرا عند دخولكم الباب فأنكم اذا فعلتم ذلك نغفر لكم ذنوبكم ويزاد المحسن منكم فوق ما يغفر له فبدّل الذين

ظلموا انفسهم ولا يزالون يظلمونها ماداموا احياء قولا غير الذى قيل لهم فقالوا بدل حطة حنطة اى اننا من ارهاق التيه لنا انما يهمننا اكل الحنطة ولا يهمننا الذنب حطّ عنا ام بقى على اكتافنا فأرسلنا عليهم لاستخفافهم بالوظيفة رجزا من السماء بسبب ما كانوا يظلمون .

\* ( وسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ

يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم

سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك

نبلوهم بما كانوا يفسقون : واذ قالت امه منهم

لم تعظون قوما لله مهلكهم او معدّ بهم عذابا

شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلّهم

يتقون ) \*

الخطاب لنبىّ الأسلام والمسؤلون هم المعاصرون من بنى اسرائيل

وليس الهدف من هذا السؤال هو الاستفسار ليحصل علم بعد جهل

وانما هو سؤال يفيد التعيير والتوبيخ لليهود المعاصرين لنبىّ الأسلام

المنحرفين عنه اللّاجين معه ، عن القرية التى كانت حاضرة البحر اى

على ساحله من مواطن بنى اسرائيل وهى ايلة وقيل غيرها اذ يعدو

فريق من اليهود فى السبت الذى كان محرّما عليهم صيد السمك فيه

حينما كانت الحيتان تأتي فى هذا اليوم لأمنها فيه شارة برؤسها

كثيرة فى عددها وفى يوم غير السبت تغوص فى اوساط الماء لما اعتادت

عليه من ملابسة الخطر لها يوم السبت وعد وانهم كان بهذا الترتيب

انهم ينصبون شباكهم يوم السبت فتدخل الاسماك فيه ويخرجونها يوم

الأحد او يحفرون لها حياضا فى الأرض ويصلونها بالبحر فتمت

الحَيَاض سمكا لا يمسونه يوم السبت فاذا انسلخ اخذوه فباعوه او اكلوه  
او انهم مباشرة يأخذونه يوم السبت غير متخرجين كذالك اى بتحريم يوم  
السبت عليهم وكثرة وجود السمك الظاهر فيه وتحليل الصيد فى غيره  
من الأيام وقلة الفائدة عنده نختبرهم ومنتحنهم بسبب ماكان منهم من  
فسق وانحراف سابق وروحية جاهزة لذلك حتى نشدد عليهم ليتأدبوا .  
وكان الاسرائيليون بالنسبة الى تحريم يوم السبت والصيد فيه  
ثلاث طوائف طائفة متمردة على التحريم واخرى واعظة زاجرة عن ملاسته  
وثالثة منحازة عن الطرفين فقالت الطائفة المنحازة للواعظة لم تعظون  
قوما لا يتخرجون عن الأجرام والمآثم حتى سيؤدى بهم ذلك الى اهلاك  
الله لهم او تعذيبه اياهم ذلك التعذيب الشديد قالوا انما نعظهم  
لنعذر فيهم الى الله فنكون من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر  
ولعلمهم بسبب التذكير يتذكرون فيسحبوا ايديهم من عملهم هذا .

\* ( فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون  
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب  
بئيس بما كانوا يفسقون : فلما عتوا عن ما نهوا  
عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ) \*

هذه الآية من تنمات سابقتها فان في الآية السابقة - قالوا  
معذرة الى ربكم ولعلمهم يتقون ، وفي هذه الآية ان وعظ الوعظة ما كان  
يقر في اذهانهم لأعراضهم عنه فهم دائما في نسيان لما يذكرون به  
ولذلك انجينا من بينهم الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر واخذنا  
الذين ظلموا انفسهم بعذاب بئيس فعيل من البؤس وهو يكون من  
صيغ المبالغة كسميع وعليم بسبب ما كانوا يفسقون عن امر ربهم فلما عتوا  
اي طغوا ولم يحسبوا لأى امر او نهى اى حساب مسخناهم قردة  
مبعد بين مطرودين ذكر بعض المفسرين عن الحسن البصرى انهم بعد  
مسخهم توالدوا في قبال من قال انهم عاشوا اياما وماتوا فقال هذا  
المفسر وليس قول الحسن بالوجه لان من المعلوم ان القردة ليست من  
اولاد آدم كما ان الكلاب ليست منهم لكن ما ذكره من التعليل عليل  
فان الحسن لا يقول ان القرود من ذرية آدم بالأصالة وانما يقول انهم  
لما مسخوا بقوا على صورتهم المسوخة وتوالدوا عليها فمن يقل ان القرد  
كان انسانا ثم حوّله الله الى القردية لم يقل جنفا .



\* ( واذ تأذن ربك ليبعثنّ عليهم الى يوم القيامة  
من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع  
العقاب وانه لغفور رحيم :وقطّعناهم فى  
الأرض امما منهم الصّالحون ومنهم دون ذلك  
وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم  
يرجعون ) \*

تأذن واذن متحدان فى المفاد وهو الأعلام كأذان المـؤذن  
بالصلاة يعنى اعلامه بها والمراد انّ الله سبحانه اعلم انبيائه وهم  
اعلموا امهم بأن بنى اسرائيل لا تتعقد لهم جامعة عزيزة قويّة يحفظون  
بها كيانهم وحاكميتهم وسيطرتهم الى يوم القيامة وهو كذلك حتى فى  
يهود اسرائيل الذين تبوّوا فلسطين مملكة رسمية قد اعتزت بها اغلب  
دول العالم فأنها لاتزال فى مناوأة ومبارزة وتشنج وان استعدادا شيئا  
من كيانهم المفقود قبل ربع قرن من هذا التاريخ فذلك لأنهم اصبحوا  
نواة استعمار فى الشرق الأوسط ولولا قيام امريكا بافرادها واجنادها  
وزادها لأطيح حتى بشتات افرادها الذين كانوا فيها قبل ربع قرن  
بصورة عادية فلم تتركز اسرائيل فى هذه البقعة الا بتركيز من امريكا  
نفسها وبمساعدة قوية من المستعمرين الآخرين الذين آزرّوها بكل  
قواهم فلا كذب فى قوله تعالى الى يوم القيامة ولا اعتراض لمعترض  
بالحالة الفعلية على القرآن حيث اعلم بان الله ليبعثنّ عليهم الى يوم  
القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب اذا شاء وانه  
لغفور رحيم لمن يتوب ويتصل ،وقطّعناهم اى وزعنا اليهود فى قطع  
الأرض كلها فلا تخلو منهم بقعة وقد كان منهم صالحون ازمان انبيائهم

وحتى زمن نبيّ الأسلام ومنهم دون الصالح وفوق الخبيث المتمرد ونحن اختبرناهم على طول شقق التاريخ بالحسنات والنعم نسوقها اليهم وبالسيئات والنقم نوقعها بهم لعلهم من بين اطباق هذه التموجات يرجعون الى النصاب الذي عينه الله لهم ووظفهم به .

\* ( فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون

عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان

يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم

ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق

ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذي

يتقون افلا تعقلون: والذين يمسكون بالكتاب

واقاموا الصلاة انا لانضيع اجر المصلحين ) \*

الضمير في قوله من بعدهم يرجع للصالحين في قوله في الآية

السابقة منهم الصالحون والخلف والسلف لفظان متقابلان فالسالف

السابق والخلف اللاحق الذي يشغل حيزه في الزمان ومعنى ورثوا

الكتاب ان التوراة في زمانهم صارت ارثا لهم كما كانت ارثا لأسلافهم

فهم في دورهم مسؤولون بها كما كان اسلافهم مسؤولين بها والعرض في

قبال الجوهر هو الأمر القابل للزوال ببطء او بسرعة والمراد بالأدنى

هى الحياة الفعلية في الدنيا في مقابل الآخرة يريد سبحانه ان

الفريق الصالح من بنى اسرائيل خلف من بعدهم جيل تناولوا التوراة

كما كانت في ايدى اسلافهم وكان من لازم تناولها العمل بها لكنهم لم

يعملوا فكانوا يقدمون عرض هذه الدنيا العاجلة من اى طريق حصل

لهم برشوة وتلصص وغش وتدليس على ما زوى لهم في الآخرة ويمنون

انفسهم بأنهم يموتون مغفورا لهم وانهم ان عصوا مرة فلا يعصون الى الأبد لكنهم فى هذه الحالة ان جائهم عرض مّا يوجب فسقا وانحرافا اخذوه ايضا كما اخذوه سابقا ولا يحقّقون ندمهم فى الخارج على ما يفعلون من سوء طرفة عين فأن كان هؤلاء يد ينون بالكتاب الذى ورثوه فان فى الكتاب موثيق مهمّة وعهودا قويّة اخذت منهم على الآ ينسبوا الى الله غير الحقّ الذى قاله الله ودرسوا مافيه اى وكان تلقّيتهم للكتاب تلقّى دراسة مكررة فان الدارس لمطلب انما يتحقق منه حيث يكرره وهؤلاء درسوا مافى الكتاب واصروا على خلافه هذا والدار الآخرة خير للذين يتقون المعاصى افلا تعقلون، والذين يمسكون والتمسك بالشىء هو القبض عليه بقوة، بالكتاب فيعتبرونه المصدر الوحيد لبرامج حياتهم واقاموا الصلاة المطلوبة منهم فأننا لانضيع اجرهم لأنهم مصلحون كالعامل المتقن لعمله فانه قد يستفيد وراء اجرته احسانا زائداً على المقرّر .

\* ( واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّة وظنّوا أنّه  
 واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه  
 لعلكم تتقون ) \*

هذه الآية تتعرض لطلب بنى اسرائيل من موسى نزول كتاب  
 عليهم ليكون برنامج حياتهم فلما انزلت الألواح وقرأ ما فيها عليهم  
 تراجعوا الى الوراء من قبولها فأمر الله ان يقتلع الجبل وهو الطور  
 الذى كانت مناجاة موسى عليه ويرفع فوق رؤس السبعين الذين كانوا  
 معه كالظلّة اى الظلّ يستظلّ بها الأنسان من الشمس والمطر حتى  
 ظنّوا انهم موقوع بهم فقبلوه عن خوف ونودوا خذوا ما آتيناكم بقوة علم  
 وعمل وتذكروا ما جاء فيه من حكم لعلكم تتقون فعل المعاصى وقد تقدم  
 هذا المضمون فى سورة البقرة .

\* ( واخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين : او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون : وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون ) \*

سياق الآية بما هو مدلول فقراتها الظاهرة ان الله انجز الى عالم الظهور ذرية بنى آدم من ظهور آبائهم وهى كناية عن الأصلاب والتعبير عن نتاج اللقاح بالذرية لأن الذى ينعقد فى رحم الأم من المواد المنوية المختلطة شىء قليل اشبه ما يكون بذرة الهباء والزائد على ذلك يسترسل من داخل الرحم الى خارجه فلما اخرجهم وترعرعوا ونما كل شىء فيهم حتى بلغوا الأشد افهاما وعقولا وجال بأفهامهم وعقولهم من طريق الأنفس التى يقلونها والآفاق التى يواجهونها حتى ادركوا بضرورة عقولهم ان هذه الآثار الكونية لا بد لها من مكوّن ويستحيل ان تكون جزافا فهناك اشهدهم بلسان التدبر فى الأنفس والآفاق على انفسهم الست بربكم قالوا بلا شهدنا بربوبيتك ياعلّة العلل ومصدر نواة الكون والكائنات وانما حصل منا هذا التوجيه من طريق مرائى هذا الكون الزخار بعجائبه المفعم بغرائبه ليكون حجة عليكم مخافة ان تقولوا يوم القيامة وعندما تحاسبون انا كنا عن هذا غافلين ياربنا والغافل حال غفلته ليس بمكلف فليس لك علينا حجة ومخافة ان تقولوا ايضا انما اشرك بك آباؤنا من قبل وجودنا فلما جننا

الى الوجود وكنا صغارا لان عقل درجنا على درجة الآباء تقليدا اعمى  
 اذ لا وسيلة لنا تفقهننا ان ما عليه الآباء باطل غير حق وفساد غير  
 صحيح أفتهلكنا بما فعل المبطلون وهم آباؤنا فيقال لهم انكم مادتم  
 ذرية صغارا فانكم غير مكلفين ولا مؤخذين بما فعل ويفعل آباؤكم لكنكم  
 لما بلغتكم وكبرت عقولكم وتصرفت افكاركم بدليل ما تأخذون  
 وتذرون في الحياة لصالحكم في ائتميشة الزمتكم عقولكم وحكمتمكم مشاعركم  
 بالاستفسار عن هذا الكون من اين جاء والى اين يذهب ولا شك ان  
 قواكم الشعورية ومهما ضعفت تحكم بالاجمال انه لا بد من علة موجودة  
 لهذا العالم المدهش وليست تلك العلة هذا الصنم المصنوع من  
 نحاس مثلا او الشمس والقمر او المدر او الحجر لان آثار الصنعة  
 والمقهورية بعامل غيرها يلوح عليها فاذا نحن مدينون لخالق الكل  
 تكويننا فلنبحث عن تكليفنا امامه والبحاث عن التكليف ان اعوز الرسول  
 الظاهر فهو في قرارة الرسول الباطن، وهو العقل، موجود فأنى يصرف  
 بكم يا هؤلاء، كهذا التفصيل نفصل الآيات لعلمهم يرجعون من متهتهم  
 الى رشد هم ومن الباطل الذي هم عليه الى الحق الذي هو اقرب  
 اليهم منه .

وهناك عنوان معروف بين المتشرعة يسمونه عالم الذر ويسوقون له  
 آثارا مفادها ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر  
 فعرضهم على آدم وقال انى آخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدونى  
 لا يشركون بى شيئا وانه تعالى جعلهم عقلاء يسمعون خطابه ويعقلونه  
 واستشهد هم على انفسهم بقوله الست بربكم فقالوا بلى ثم رد هم الى  
 صلب آدم ولا شك ان هذه الآثار ارادت ان تصور مفاد الآية القرآنية  
 بالصورة التي قرأتها عنها وهى صورة قاصرة عن اراءة شيخ الآية من

ظاهاها فان الذى فى الآيۃ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم بصيغۃ الجمع فى بنى وظهور والمضاف اليه فى ذريتهم فيعلم ان ذلك لم يكن مع آدم نفسه مضافا الى ان كل انسان من المكلفين لو انصرف الى ذاكرته وانزوى عن جميع ما فى الكون ليتذكر ما اخذ منه من عهد وميثاق لم يأت الى ذاكرته شىء من ذلك فكيف يكون ما لا وجود له فى البال ولا العقل بعد طويل التأمل وكثير التفكير حجة على المكلف يؤخذ من طريقها ، هذا كله ، لو أمكنا تصور وجود عامة المكلفين الى يوم القيامة وجودا فعليا ولو بمنزلة الذر فى صلب آدم واخراجهم منه واعادتهم اليه ، وكل ذلك منشمر عن الدرک العقلانى انشمارا بعيدا والحق فى المقام هو ما افادته الآيۃ بسياقها الظاهر او القريب من الظهور حيث لا يحتاج الى مؤنة حذف وتقدير .

وبالخلاصة ابان الله بهذه الآيۃ لنبيّه جواب ما قد يواجه به من الملاحظة الذين استندوا فى الحادهم الى انه لو كان هناك خالق حكيم للزم ان تكون البشرية على غير هذا اللون من التمجج السعالم القائم بين الظالمين والمظلومين الموجب للغم الكثير والحزن العميق وقد كان اجدر بهذا الانسان الا يخلق حتى لا يواجه هذه المؤلمات فلما رأينا الاجتماع البشرى بهذه الصورة المحزنة منذ اول الخلق الى اليوم والى ماشاء ان يكون له بقاء تحقق لدينا انه ليس مخلوقا لخالق حكيم ولا يدرى كيف وجد و من اوجده وهذا اشكال طالما تفهق به قاصرو النظر فعمّ الله نبيّه جواب ذلك بان الخلق خلقه حكيم وارىد بهذه الخلقۃ ايضا سعادة عظيمة لو سلك بها صاحبها طريق السداد ، اما كون الخلقۃ خلقه حكيم فيكفى فى التدليل عليها مشاهدة الآفاق والأنفس وحتى عدم البصر لا يعدم النظر الى النفس ان عزّبه النظر

الى الآفاق فلا يعقل ان يوجد هذا الانسان ولا غيره من دون موجد  
وأمّا سعادته التي اريدت له فهو باستطاعته ان يعلو بنفسه ويعيش  
مرفها احسن ما يكون ولكنه انحرف عن الجادة واغدّ في ظلمانية المادة  
فأنقده ذلك سعادته، كان باستطاعته ان يصير عالما حتى يتهدب وكل  
انسان باستطاعته ان يكّد ليعيش وان يتعلّم حتى لا تلتبس عليه موارد  
المعيشة وان يكتفى بالحق ولو كان منزورا ويذر الباطل ولو كان كثيرا  
لان الباطل لا يأتي عفوا بل يحتاج الى اجتهاد قوى وبذل مال  
لأحرازه، فمفاد الآية اعلم يا محمد ان ربك اخذ من ظهور بنى آدم،  
لأن ماء الرجال يتدفق من الصلب ذريتهم اى ما ينشأ من نطفهم ومعنى  
اخذه ان الانسان اذا رشد عقله وجب عليه ان يتوجه الى نفسه والى  
المحيط الذي يحيط به وينظره نظرة تأمل ومتى تأمل انفتح له باب العلم من غير  
معلّم خارجي بل معلمه عقله الناشئ معه فعرف ان هناك خالقا حكيمًا  
جدّا خلق عالما مهّمًا واراد به خيرا كثيرا بدليل ما يلوح عليه من  
امارات العظمة فتكلم معه هذا الخالق من طريق لسان الكائنات التي  
هو واحد منها بان هناك خالقا لهذا الخلق ياترى فأجاب نعم وكيف  
لا يكون خالق عالم قادر حكيم وقال له ايضا هل ترى معك معلّمًا مدرسا  
لا يبارحك ليل نهار قال نعم هو عقلى فقال له متى انحرفت كنت عاقبا  
لمعلّمك ولخالقك ولنفسك وقد تغفل يا هذا الانسان عن معلمك  
الداخلى بانشارك لشهواتك الباطلة فشفعنا رسول الباطن برسول  
الظاهر وهم الانبياء والعلماء العاملون القائمون مقامهم الذين اخذوا  
بمجامع الفضيلة وطردوا عن انفسهم كل رذيلة وكل ما يمت اليها طردوا  
لاعودة لها معه .



\* ( وَاَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ :  
 ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض  
 واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه  
 يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين  
 كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون : من  
 يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك  
 هم الخاسرون ) \*

مفاد ذلك قصص على الناس يانبي الأسلام خبر الذي تكشفت له  
 وجوه حججنا وبراهيننا على المعبود بالحق وهو الله وانه هو الميثب  
 والمعاقب والمحي والمميت ومن كل شىء فى قبضته فتمت عليه من طريق  
 ذلك الحجّة ثم ارتد عنها وانسلخ منها كما تنسلخ الذبيحة من اهابها  
 فطمع فيه الشيطان فأتبعه ليزيده غوايته ويبعد به عن طريق الهداية  
 فكان فى صفوف الغواه ولو شئنا واردنا رفعه الى ابعد اوج من طريق  
 ماتجلى له من الحجج والبراهين لرفعناه بها ولكن صدنا عن ذلك  
 ارتداده عنا وبعده منا فأخلد الى الأرض وتمعها والى الحياة الدنيا  
 وزخرفتها واتبع هواه دون هدايه فكان سوق الأدلة له فى عدم التأثير  
 فيه كالمسكوت عنه فى ذلك فمثله كمثل الكلب تراه يلهث فى الحرّ والبرد  
 وفى الظل والحرور وفى التعب والراحة دالعا لسانه يخيل اليك انه  
 مجهد ولا جهد فيه فلهثه لاعتداع يتعقل هذا الذى صورناه مثل  
 القوم الذين ادركوا آياتنا وكذبوا بها تعنتا لاعتداع يعقل فيقبل  
 فاقصص على قومك هذا النوع من القصص لعلهم يتفكرون فى الحق

والباطل فيتبعوا الحقّ لان البرهان يرشد اليه ويتعدوا عن الباطل لان الدليل يدلّ عليه ، ساء مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا عتوا واستكبارا وانفسهم كانوا يظلمون بهذا التكذيب ولا يضرّون الله بشيء من يهد الله الى الحقّ لأقباله على الحقّ وطلبه من الله ان يكون محقّا فهو المهتدي الثابت على هداه ومن يضل عن الحق لانه لا يعير الحق طرف عناية فأولئك هم الخاسرون في دنياهم للفضائل وفي اخراهم لدرجات الأمثال .

\* ( ولقد ذرأنا لجهنّم كثيرا من الجن والأنس

لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون

بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك

كالأنعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون :

ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها وذروا

الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا

يعملون : وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه

يعدلون ) \*

مفاد ذلك ان في بعض من خلقنا من الجن والأنس من يكون

مآله بسوء اختياره لنفسه الى جهنّم لانقصان في حواسه او جوارحه

ولا لتحميل مآ عليه بل لأننا اعطيناه قلبا حافظا يتميز به الحق من

الباطل فنبتذره وراء ظهره ومن يفعل مثل ذلك لا يعود يفقه شيئا لأنه

اذا اعطى من يده اداة تعقله صار كالبهيمة المتوحشة واعطيناه عيوننا

باصرة ليدرك الوهدة من النجدة والعدو من الصديق فترك النجدة

والصديق وعمد الى الوهدة والعدو ، والوهاد هي دنيا الأمور

وسوافلها والعدو هي نفسه الأمانة بالسوء واعطيناه آذاناً واعية لتفهم كلمة الحق من كلمة الباطل فلم يرق له الحق لأنه شريف وحلى لسه الباطل لانه سخيف والسخيف كما يقال حر لا يقيد شياً أما الشريف فله من شرفه قيد واثق فمثل هؤلاء الذين يميلون عن الحق إلى الباطل ومن الشرف إلى السخف ومن الصديق إلى العدو كالانعام الفاقدة للعقول بل هم اضل منها لان الأنعام تهتدي الى اى مقصد يراد بها بعد الدلالة عليه والأرشاد اليه ولو تلكأت أول مرة وثانى مرة ولكنها تخضع وتطيع وتركب الجادة التي أركبتّها من دون ملجأ وقاسر بخلاف الانسان المصرّ على حماقاته وضلالاته فأنه كلما ازداد عليه الانذار ازداد بعدا وحمقا اولئك هم الغافلون المستمرون فى غفلتهم حتى يطويهم الفناء، ولله كل اسم حسن لأنه لمنفذ للشر فيه بل هو محض الخير ويريد الخير لكل احد اذا طوعه على ما يريد به فادعوه بتلك الأسماء فقولوا يارحيم ارحمنا ويارازق ارزقنا وياجميل استرنا بسترك الجميل وابتعدوا عن الذين يلحدون فى اسمائه أما بأن ينكروه رأسا فينكروا اسمائه بالتبع وأما يسمون باسمائه من ليس اهلا لأن يسمى بها من حيوان وانسان ونبات وجماد كما قال ابن هانى الاندلسى مثلاً فى حق المعزّ الفاطمى :

ما شئت لا ماشاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار

للطمع فى ماله ، سيجزون هؤلاء ما كانوا يعملون من باطل ، وكما يوجد من تحدثنا عنه من المخلوقات الضالة المنحرفة عمداً وقصداً يوجد فيمن خلقنا أمة يهدون الى الحق بالمنطق الحق ، وبالحكم الحقّ يعدلون فى كل ما يقولون ويفعلون .

\* ( والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون : واملئ لهم ان كيدى متين : او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين : اولم ينظروا فى ملكوت السموات الارض وما خلق الله من شىء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون : من يضل الله فلا هادى له ويذرهم فـيـ طغيانهم يعمهون ) \*

يريد سبحانه ان الذين اتخذوا التكذيب بآيات السماء شارة لهم يعرفون بها بين الأقسام كالمحدد بين الواضحى الألحاد والمشركيين المعروفين فى شركهم والمنافقين الذين تجلّى نفاقهم لكل احد سنا مشيهم مشى المتدرج من مراقبة الى مراقبة وهم لا يعلمون بمماشاتنا لهم لأنهم ينكروننا ويجهلون أننا نساير المخلوق حتى آخر نفس من انفسه لنحاسبه على طبق الحق والعلم لا التخرص والتخمين ونمد لهم فى الأغضاء عنهم فى هذه الدار لأنها دار اختبار ، ان كيدنا والكيد هو اخذ الطرف على غرة منه لعدم توجهه الى ما يحيط به متين اى قوى ايقاعه ، اولم يتفكر هؤلاء الجهال الذين يسمون دعاة الحق بانهم مجانيين فى دؤبهم على شىء لاثمة لهم به ولا يؤخذ عنهم ان الدعاة من ابرز عقلاء العالم واشدهم رحمة بالناس لأنهم يحدّرونهم من مهالك اذا استمروا فى غيهم وصلوا اليها واتصلوا بها ولات حين مناص يومذاك ، اولم ينظر هؤلاء الجهلة فى ملكوت السموات والارض وما فيها من عجائب وغرائب فى شتى مجالات النظر والتدبر ويعاينوا

ما خلق الله من شيء لا يعد ولا يحصى بساعات شتى وخصائص لا تستقصى افليس في ذلك عبرة للمعتبر ولا يجوز ان تغرهم ظاهرة السلامة من المرض وطراوة الشباب فقد يقرب اجل السالم ويتأخر موت المريض ويختزل الشاب ويمهل الهرم فبأى حد يث بعد حد يث القرآن المتنوع الجنبات يؤمنون ، من يضل الله لأجل تماديه فى الغى فلا هادى له من اى انسان يفرض ، ويذره الله بالأملء لهم فـ طغيانهم يعمهون اى يسيرون سير الأعمى فقد يطوى ساعات طوالاً من الزمان يمشى ولكنه لما لم يكن على الدرب لا يصل الى المقصود .

\* ( يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما

علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت

فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة

يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند

الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) \*

المنظور بالساعة هنا اما فناء العالم او قيام القيامة وهما متلازمان تقريبا ، ايان مرساها بمعنى متى تكون وتثبت ، لا يجليها ، لا يعينها ويظهرها ، حفى عنها ، بمعنى مستقص للسؤال عنها حتى انك من تكرر سؤالك عنها قد احطت بها خبرا ، ومفاد الآية ان الناس لما تكرر على اسماعهم فناء العالم فى آونة وقيام الناس الى ربهم فى آونة اخرى احبوا ان يقفوا على ذلك حتى يأخذوا لكل شيء عدته فأجيبهم يا محمد ان علم ذلك مختص بالله سبحانه فلا يظهرها فى وقتها الا هو ، ثقلت هذه الساعة فى اهل السموات واهل الأرض ان لا يعرفون مصيرهم منها قل لهم لا تأتيكم الا بغتة لتكونوا دائما على حذر منها ان كنتم عقلاء

يسألونك يا نبيّ الاسلام عنها دائماً كأنك عالم بها لما يظنون من كثرة  
استقصائك فأجبتهم مكرراً أنّما علمها عند الله وليس لي من العلم بها  
شيء ولكن أكثر الناس لا يعلمون انك لا تعلم بها .

\* ( قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضراً الاّ ما شاء

الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير

وما مسّني سوء ان انا الاّ نذير وبشير لقوم

يؤمنون ) \*

وهذه الآية من تتمه سابقتها فقل للناس يا نبيّ الاسلام انّني  
فضلاً عن كوني لا اعلم الساعة لا املك لنفسي نفعا لو اردت ان انفعها  
ولا ضراً اوقعه بها كالموت حتف الانف مثلاً الاّ ما شاء الله ذلك لي  
فاذا شاء لي النفع ومضيت ورائه استحصلته واذا حاولت الضرّ قدرت  
عليه ولست فقط اجهل الساعة بل لا اعلم الغيب على اطلاقه الاّ ما شاءه  
الله لي ولو كان علم ما غاب عني متوفراً لديّ كعلم ما حضر عندي  
لاستكثرت من الخير لنفسي من هذا المنفذ ولما مسّني سوء في الدهر  
لتحدّثي منه فابتعد عنه ان انا باعتباري وسيطا بين الله وعباده الاّ  
نذير للخلق عموماً وبشير لهم كافة عندما يكلفني الله بأن انذر من سوء  
العاقبة وابشّر بحسن المنقلب او انني انذر وابشّر من يؤمن بقولي حتى  
يكون لتحذيري وتبشيرى اثر فان الذي لا يؤمن بي لا يعتبر كلامي الاّ كما  
يعتبر الجراف واذا كان كذلك فلا فائدة .

\* ( هو الذى خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكوننّ من الشاكرين : فلمّا آتاها صالحا جعل له شركاء فيما آتاها فتعالى الله عما يشركون : ايشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون : ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون : وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتوهم ام انتـ صامتون ) \*

مفاد هذه الآيات انّ الله الذى اختص بعلم الساعة و بالغيب على اطلاقه و بمالكية النفع و الضرر هو الذى خلق كلّ واحد منكم - كما فى قوله و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم اى اجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة من نفس واحدة هى نفس ابيه الذى تنزل من صلبه و جعل لها من نوعها زوجها ليسكن هذا الزوج اليها اذ لو فرض ان الزوجين لم يكونا متجانسين بل كان كلّ منهما من نوع خاص لما سكن احدهما الى الآخر ولا ستوحش منه اكثر من وحشة افراده بنفسه و يُظهر ذلك قوله تعالى و من آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فان حوّاء ان تكن خلقت من آدم فليست بقية الأزواج كذلك قطعاً كما يصحّ ان يقال هذا القول فى حوّاء نفسها بأنها خلقت من نوع آدم لا من قصيراه كما يؤثر ذلك و امّا خلقها من فاضل طينته كما جاء فى بعض الآثار فهو دليل على ان كلمة - منها -

بمعنى من جنسها او من نوعها او من سنخها - ماشئت فعبر - فلما  
تغشى الزوج المذكر الزوج المؤنث بمعنى انه قاربها مقاربة لقاح حملت حملا  
خفيفا لان النطفة لا تحسّ بها المرءة اصلا فمرت المرءة الحامل بحملها  
على مد رجة الزمان و بهذا المرور كبر الحمل حتى اثقلها دعوا بصيغرة  
التثنية الله ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا من العيوب الخلقية و الخلقية  
لنكوننّ من الشاكرين لك لأن في سلامته ترفيها عليهما فلما آتاها ولدا  
صالحا جعل له تعالى شركاء فلم يفيأ بعهد هما معه انهما يكونان له  
من الشاكرين ولا كلية في هذه القضية و انما ساقها سبحانه لضرب  
المثل في ان الاحسان قد يعطى عكس النتيجة اللازمة : فتعالى الله  
عمّا يشركون به ، أيشرك المشركون مع صانع العالم و خالق الكون والكائنات  
مالا يستطيع ان يخلق شيئا وهو في نفسه مخلوق لغيره ، و ضمير هم  
يرجع الى العابدين و المعبودين و انما عبر بضمير العاقل عن الجميع  
تغليبا لجانب العقلاء على غيرهم ولا يستطيع هو الا الشركاء للمشركين  
نصرا ولا لأنفسهم نفعا سواء كانوا من الجنس العاقل ام غيره ، وان تدعوا  
الاصنام ايها العقلاء الى الهدى لا يتبعوكم لأنهم ليسوا من صلاحية  
ذلك سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون لأن الصنم و ما هو بمنزلته  
تستوى فيه الدعوة و عدمها و عدم الانتصار للغير و لنفسه كل ذلك ناتج  
عن عدم صلاحيته لهذه العناوين ذاتا و اذا كان المتخذ شريكا بهذا  
الوصف فكيف جاز للعاقل ان يتخذ شريكا لعله الوجود في عليته له  
و صانع الكون في صانعيته له و هل ضمّ ذاك لهذا الا كضمّ الحجر الى  
جنب الانسان ليكون نظيرا و عديلا به .



\* ( انّ الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين :  
 لهم ارجل يمشون بها ام لهم ايدى يبطشون  
 بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان  
 يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا  
 تنظرون ) \*

جرّ سبحانه القول عن المشركين و شركائهم فقال ان الذين تدعون من دون الله عباد اى مخلوقون مسخرون فى خلقتهم لله فان صانع الصنم انما يلقى عليه الصنعة و الصياغة و الاّ فالمادة مخلوقة لغيره و ذلك الغير هو الله الذى صنع الطبيعة كلّها كما انكم انتم المشركون مخلوقون لله مادة و صورة و مسخرون فى خلقتكم له كما ان العبد مسخر لمولاه ، و العاقل انما يتخذ ربّاً ليدعوه فى مقام الحاجة حتى يستجيب له هذا الربّ اذاً فادعوا انتم هوّءلاء الأرباب فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين فى نسبتكم لها القدرة و حلّ المشكلات و اجابة الطلبات ، ان اربابكم هوّءلاء يفقدون الارجل يمشون بها حتى يسعوا الى تنفيذ حوائجكم و يفقدون الأيدى يبطشون بها حتى يعملوا قوتها فى قضاء أشغالكم و يفقدون الأعين يبصرون بها حتى يميزوا لكم النافع من الضار و يفقدون الآذان يسمعون بها حتى يسمعوا نداءكم و على فرض انهم يجدون تلك الأجهزة فليس كل واحد لها منتفعا بها فى المقاصد التى يحاول تحقيقها ان قد تكون الدروب مسدودة عليه من نواحى اخرى غير فقدان الرجل و وجدانها ، فان قيل هذا الأشكال الذى اشكل به الله تعالى على هوّءلاء الشركاء موجود فيه نفسه فانه لا يملك رجلا ولا يدا

ولا عينا ولا اذنا قلنا صحيح ذلك فان الله يفقد هذه الجهيزات من وجهة مادية لكنه لا يفقد ها من وجهة معنوية فيد الله ورجله قدرته النافذة بمجرد ارادته و بصره و سمعه علمه بما يبصر و يسمع و اما اولئك الشركاء فهم فاقدون لتلك الأجهزة مادة و معنى و على فرض وجدانها مادة فانها مفقودة فيهم معنى فأن العضو المسدود فى وجهه الدرب كالعضو الأشل لافائدة فى وجوده قل يانبي الاسلام للمشركين ادعوا شركائكم لتستمدوا منهم المعونة على مبارزتى ثم اعملوا كيدكم فى حقى ولا تمهلونى و نتيجة هذا الكيد و عدم الأمهال تأتى فى الآيات اللاحقة .

\* ( ان ولىّ الله الذى نزل الكتاب وهو يتولّى

الصالحين : و الذين تدعون من دونه لا

يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون : و ان

تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا و تراهم ينظرون

اليك وهم لا يبصرون ) \*

و انما لا يؤثر كيدكم فى ولا عدم امهالكم لى يضربى لان ناصرى و ولى هو الله الذى بيده قبضة كل شىء فهو الذى يدفع عنى طوارق الحدّثان ذلك الله الذى نزل القرآن و تحدّى به البشرية كلّها فلم يقدروا على أن يأتوا بسورة من مثله وهو الله الذى يتولى امورا الصالحين من عباده بالعناية الخاصة و اما الشركاء الذين تدعون من دونه فانهم من اعجز العجزة ليس بهم قدرة على نصر انفسهم فضلا عن نصركم انتم و ها انتم ايها المريبون لهذه الأصنام لو دعوتهم اربابكم الى الهدى لا يسمعون لان المادة الهامدة لا تسمع اذا فانتم العابدون خير ممّا

التفسير ج ٣ العفو وفعل المعروف والأمر به من احسن الأخلاق ٣٨١  
تعبدون لأنكم تنطقون و تسمعون و اولئك جماد صم بكم عمى ، و ترى  
يا نبيّ الاسلام هولاء المشركين ينظرون اليك فى محاورتك معهم  
بأحداق مفتحة و لكنهم لا يبصرون مواقع اخطائهم ولا يدركون عمق  
المطالب من انظارهم .

\* ( خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين

: و اما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله

انه سميع عليم ) \*

علم سبحانه فى هذه الآيه نبيّه ان يلزم هذه الخلال الفاضلة  
فانها حسنة من كل احد و منه احسن لانه يريد ان يقود الأجيال بحنكة  
و من الحنكة ان لا يكون الانسان قاسيا شديد المؤاخذة بل لا بد له  
ان يتدبر بالعفو فى اهمّ مجالاته فقد ورد فى الأثر ان النبيّ لما انزلت  
عليه هذه الآيه قال لجبرائيل ما معنى خذ العفو قال لا ادرى حتى  
اسأل العالم يعنى الله سبحانه ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك  
ان تعفو عن ظلمك و تعطى من حرمك و تصل من قطعك ، و العرف هو  
المعروف وهو كل فعل او قول حسن فى الشرع او العقل والأمر بالمعروف  
من اهمّ الركائز الاجتماعية وقد تقدم القول عن ذلك بكثرة فى غضون  
الكتاب ، و اعرض عن الجاهلين اى لا يقف اعتراضهم فى وجهك عن  
الاستمرار فى دعوتك فاسحب عليهم اذ يال الأهمال لهم حتى لا يتعكر  
عليك طريق تبليغك ، و النزغ هو الأزعاج ثم قال سبحانه له فى هذه الآيه  
انت بشر فقد تعتريك من حالات البشرية كالغضب و قلة النشاط و اما  
ينزغك اى يزعجك من الشيطان وهى النفس الحيوانية و دواعيها نزغ  
اى ازعاج فهيمن على ذلك الازعاج و الهيجان النفسى بالاستعاذة

التفسير ج ٣ العفو وفعل المعروف والأمر به من احسن الاخلاق ٣٨٢  
بالله و التذكر لكلمات الله فان الله يسمع كلامك و يعلم مرامك فيساعدك  
حينذاك و يسعفك وفي خلاصة هذه الآية نكات اربعة :

(١) الدعوة الى الحلم وسعة الصدر سواء في ذلك داخل شؤنه  
و خارجها و الذى يحقق هذا الحسن مطلبان الأول ان الانسان اذا  
واجه السيئة الموجهة اليه بالغیظ و الغضب و تجسيم السيئة فقد أعان  
على اذية نفسه و متى اثر فيه غضبه أخذ يدعو الى نصرته كل من يهّمه  
امره من والد و ولد و رحم و قس على ذلك فيتسع الخرق بينه و بين قبيله  
حتى قد يؤل ذلك الى خسائر جسيمة فى الأموال و الأنفس و غيرهما  
بخلاف ما لو تلقى البادرة من غيره بصورة عادّية فإنه ان يغضب فبصورة  
بسيطة جداً و سرعان ما تنتشع هذه الصورة فيعود الى ما كان عليه من  
الهدوء هذا فضلا عن توليد الراحة فى رحمه واقربائه و ذويه و فى  
طرفه و ذوى طرفه ولا شك ان ذلك عاجلا و آجلا يكون مدعاة الى حمد  
الناس له و حتى من كان عدّوا و يكبر مقامه فى انظارهم - الثانى - من  
المطلبين ان الفرق بين الضيق الصدر و واسع الحوصلة ان ضيق الصدر  
تقطعه البوارر المعترضة له عن مواصلة اعماله بالأشغال فى هذه  
البوارر اما الحلیم فبانصرافه عن البوارر يضى توّا الى مواصلة اعماله  
الايجابية و فى ذلك من الآثار المهمة الشىء الذى لا يحصى .

(٢) الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من اعظم الدروس المثمرة  
فى عرصة الكون والكائنات فان الإنسان اذا التزم على نفسه مناصرة الحق  
ولوبالأعراض القلبي عن فاعل السيئة اثر ذلك اثره المحسوس فى  
المجتمع فكيف اذا استطاع الانسان ان يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر  
بلسانه و بيانه و بيده و سنانه اما اذا انزوى الانسان عن القيام بهذا  
الواجب لما يجرى فى خياله انه من خلاف المصلحة وقع كل واحد من

التفسير ج ٣ العفو وفعل المعروف والأمر به من احسن الاخلاق ٣٨٣  
بنى ذلك المحيط فى مشكلة شعواء تهلكه و تأتى عليه و يكفى فى الفرق  
بين الحالين المناطق المقيدة بدورها و المفلقة منه فان راحة المتدين  
المنصور بد بين اخيه اكثر بكثير من راحة غيره .

(٣) الأعراض عن الجاهل ولو كان متعنتا فانه اذا أحسّ بعدم  
اكتراث الناس به و عدم اعتنائهم منه تطامن و التفت الى نفسه و تنبه من  
غفلته اما اذا وجد لتكبره مشتريا و لجهله سوفا ازداد فى غيّه و تعاصى  
فى تمرده .

(٤) كل نزعة تهيب بالنفس وهى مادّية فأنها المعبر عنها  
بالشيطان المارد و هذه لا يدكها الا الهيمنة عليها بالنشاط والتصميم  
الجدى فمن وظيفة الحرّ ان يبارز شهواته بما يقابلها حتى ينتصر على  
مرامه و يفتح معركته التى يرد فيها .

\* ( انّ الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان  
تذكروا فأذا هم مبصرون : و اخوانهم يمدّونهم  
فى الغىّ ثم لا يقصرون : و اذا لم تأتهم بأية  
قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الىّ  
من ربّى هذا بصائر من ربكم و هدى و رحمة  
لقوم يؤمنون ) \*

تهدف الآية الى انّ المتقين وهم الذين تميّزوا الحقّ من الباطل  
فاتقوا الحقّ من اتباع الباطل او مسهم طائف من الشيطان اى خطرت  
لهم خطرات نفسية من غضب و حسد و تمنيات باطلة تذكروا ربهم و انّه  
حرّم عليهم ذلك و نهى عنه فاذا هم مبصرون طريق الرشد بعد أن زاغت  
ابصارهم عنه ، أمّا الشياطين الذين هم اخوان المشركين فانهم يمدّونهم  
فى الغىّ اى يستمرون بهم فيه لانهم لا يعرفون الله ولا يزنون تعاليمه  
بميزان عادل ثم لا يقصرون فى امدادهم بالغواية ، ثم هوءلاء المشركون  
انفسهم لما يتبطنونه من ارواح مظلمة و نفوس متنزية اذا جائتهم آية من  
الله اعرضوا عنها ولم يكونوا بصددها و اذا لم يكن مقتضى لايتاءهم آية  
قالوا نحن نتمنى هكذا آية لولا اجتبيتها يا محمد بمعنى هلاّ اتيت بها  
لان الاجتباء مأخوذ من الجباية وهى اخذ المال من احد و ايتاءه  
لآخر فاذا قالوا لك يا محمد ذلك فقل لهم انا لا املك من امر السماء  
شيئا انما ذلك مربوط بالله سبحانه انما اتبع ما يوحى الىّ من ربّى ، هذا  
الذى نسوقه لكم ايها المكلفون من النصائح و العبر و ضرب الامثال  
بصائر من ربكم لتعتبروا بها و هدى منه لكم الى طريق النجاة و رحمة  
و لطف لاولئك الذين لهم ايمان بالمبادئ الصحيحة .

و هذه الآية تفيد كما هو الحق ان الناس على ثلاثة اقسام :

(١) قسم لا يهمل نفسه من التعرف على حقيقة البشر من ناحية وما هو لازمها فى السير الحيوى من سنة و نظام من ناحية ثانية و اخذ عمره يتصاعد يوما فيوما فى الفضل و المعرفة و التوثق من نفسه و عمله من ناحية ثالثة و مثل هذا القسم قليل فى البشرية و مهما تسفل الناس يأخذ فى القلة اكثر فاكثر .

(٢) و قسم كذلك لم يهمل نفسه ولم يتعد عن فطرته و تشوف الى المعارف و ارتاض بها لكنه لم يتمحض صفاؤه فتبد منه البسواد و اذا عاود رشده و استيقظ من اغفائه تدمر مما صدر عنه وركب الطريقة من جديد و هكذا تعتور عليه الحالات فمرة ينتصر و اخرى ينكسر .

(٣) و القسم الثالث هو الذى ينخذل عن نفسه منذ يتميز ويغدد ارعن اهو و يسبق الزمان فى التسفل و الترهل حتى يؤل به وضعه الى الافتضاح و هذا هو القسم الأوفر فى البشرية و كلما تنزل الزمان زاد افراده .

ولا شك ان الانسان اذا كان من الردى الثالث اهلك غيره و أفسد الزمان و المكان و حتى لو حكمه اعظم الحكام و انفذهم لا يعود يؤثر عليه بشيء اصلا فان القدرة على فرض توفرها لصاحبها اذا كان لها مشايعون واقعيون يرصدون لنقطة الضعف اينما تكون فيكونها دغا يهرب كل احد امكن فى حقها ان تؤثر متى شفعتها منطق صحيح و علم ناضج و الا فالقدرة مع الجهل بالفضيلة تدمر تدميرا علميا عمليا و كل امة يتولاها الجهل من ناحية و اسناده من ناحية ثانية تضمحل اضمحلالا لا يتصور له مدى كما تراه البشرية فى عصورها الحاضرة قولا يعود ينجع شارع معبد و لا توفر الكماليات و هما محفوفان بكل خطر ، نحن لو

قايصنا من يقال لهم الكمل في بشر اليوم و يراد بهم اولئك الذين  
يكثر من الصنعة و بين كمل ما قبل خمسين سنة لوجدنا بين الفريقين  
بونا بعيدا فان كامل اليوم مادى لا منفذ فيه للانسانية بالمرّة و يدعى  
انه يريد ان يحوط الانسان و يحفظه و لذلك فشل من هذه الناحية  
فشلا برهنت عليه تعثراته في الكوانين التى انشأها لصيانة النوع من  
هيئة الأمم و جامعة الملل و عدلية لاهاى و منشور حقوق البشر وما هو  
من هذا الطراز الذى اصبح وصمة واضحة في جبين بشرية اليوم و كامل  
امس على املاقه فيه حسنات الانصاف و الرحمة و اللطف و التأثر  
للضعيف و الانكار للمنكر و التغيظ النفسى لكل مالا يلائم و لذلك عاش  
البشر فى امسه على تعثره ماديا متحرر الروح معنويا ، كان اذا قال  
ووقف بأزاء قوله احترمه النافذون اما اليوم فانه يتخذ مهزلة و يصفع  
اذا قاوم و يبتز منه كل شىء بمجرد قيام الرغبة فى نفس النافذ .  
و اما الردى الثانى وهو الذى يكبو مرّة و يطرد مرّة فهو و ان  
كان اهون من الردى الثالث الا انه لا يستطيع ان يكون من المصلحين  
للجوامع لتخبطه و اما الردى الأوّل فهو معيار تقدّم البشرية و  
تشعشعها و لكنه ويا للأسف مفقود فى الجوامع و انما يلوكة لسان  
الناطق كما يلوكة الأمنيات نظير ، فياليت الشباب يعود يوما ، و الردى  
الأوّل هو المقصود من الآية .



\* ( و اذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم  
 ترحمون : و اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة  
 و دون الجهر من القول بالغدو والآصال  
 ولا تكن من الغافلين : ان الذين عند ربك  
 لا يستكبرون عن عبادته و يسبحونه ولله  
 يسجدون ) \*

المتحقق من وجوب الأستماع و الانصات للقرآن هو ما يكون منه في  
 الصلاة الجهرية اذا اقيمت جماعة و فيما سوى ذلك فهو مستحب و طبع  
 ليس المنظور من الألزام بالا ستماع و الانصات الأتفهم مطالب القرآن  
 و تدبرها لعل التفاتة ناجعة تسوق العبد الى مافيه صلاح نفسه  
 و مجتمعه ، و اذكر يانبي الله ( وغيرك مثلك بالأحرى ) ربك في نفسك  
 بمعنى احضره في بالك و انت في حالة تضرع اليه لأنك في حاجته ابد  
 و دائما وفي حالة خوف من سطواته و مؤاخذاته للمنحرفين فاذا احببت  
 ان تذكر ربك بالقول يجرى على لسانك فيما دون الجهر لتحتفظ  
 بالأخلاق له من السمعة و الرياء تفعل ذلك آوان ارتياحك لنفسك  
 كالغدو وهو اول الصبح و الآصال قبل انتهاء العصر و التلبس  
 بالغروب فان هذين الوقتين ليسا من اوقات الكسب و التشاغل ولا تكثر  
 من الغافلين عن ربك فانك اذا نسيت ربك ينسأك و اذا اعرضت عن  
 جفاك و اذا جفاك تعطلت بك الأسباب ، ثم ذكره بان الأنسأار  
 المطيع لربه يكون قريبا منه منسوبا اليه فلا تفلت من يدك هذه الصلأ  
 الوثيقة كما ان الذين عند ربك اى قريبين منه بحيث كان تعالى هأ  
 مأل نسبتهم لا يستكبرون عن عبادته لانهم ادركوا مولويته و يسبحون

و ينزهونه عن كل نقيصة و عاب و له يسجدون خضوعا و خشوعا و احتراماما  
و اكراما و اولئك هم الملائكة .

الى هنا تمّ الجزء الثالث من التفسير تكفل

البحث عن سور المائة و الانعام

و الأعراف و يتلوه الجزء الرابع و اوله

سورة الانفال على يد مؤلفه

محمد بن محمد طه

الحويزي الكرسي

و الحمد

لله

•  
•  
•



خیابان چهار مردان - پاساژ صاحب الزمان - طبقه بالا

\* ( فهرست الجزء الثالث من كتاب التفسير ) \*

العنوان	الصفحة
سورة المائدة - وجوب الوفاء بالعقد	١
ماهى الانعام	٢
الشهر الحرام وشىء من احكام الأحرام	٣
بيان جملة من المحرمات	٦
اكمال الدين و اتمام النعمة	٩
بيان المحللات و كل طيب محلل	١٠
الوضوء و الغسل و التيمم	١٣
تذكير الله لعباده بمواثيقه	١٦
من هم الباسطون لا يد يههم فى دك المسلمين	١٨
لعن الله لليهود	٢١
الأشادة بالاسلام و نييه	٢٣
المسيح بن مريم عبد من عبيد الله	٢٥
التمجيد برسول الاسلام ورسالته	٢٧
الزام بنى اسرائيل بمناهضة الجبارين	٣٠
تبه بنى اسرائيل	٣٢
قابيل و هابيل	٣٤
القصاص	٣٨
محاربة الله و الرسول	٣٩
القضاء العادل	٤٢
حد السرقة	٤٣
عوامل انحطاط المجامع	٤٥

العنوان	الصفحة
ذمّ الله لليهود	٤٩
فى القصاص	٥٢
التعريف بالقرآن و نبيّ الاسلام	٥٤
التأكيد على النبيّ بمتابعة الحقّ	٥٦
من يرتد عن دين الله فان له مخلصين من عباده	٦٠
ماذا ينقم اهل الكتاب من الاسلام	٦٣
المعتدلون خير ام المنحرفون	٦٥
لعن الله لليهود	٦٧
المنظور بآية الابلاغ	٧٠
ذمّ الله لليهود	٧٣
غلّو النصارى بالمسيح	٧٥
لعن اليهود على لسان داود و المسيح	٧٩
الهجرة الأولى الى الحبشة	٨٢
توابع الهجرة الأولى	٨٥
لا رهبانية فى الاسلام	٨٦
كفارة اليمين	٨٨
الخمرو القمار و عبادة الاوثان	٨٩
من سعادة المكلف اطاعه ربه و نبيه	٩١
تحريم صيد البر على المحرم	٩٣
كفارات الصيد	٩٤
حلية صيد البحر على كل احد	٩٦
الله سبحانه شديد العقاب و غفور رحيم	٩٨

العنوان	الصفحة
من وظيفة المؤمن التسليم لربه	١٠٠
تجهيل لأهل الجاهلية	١٠٢
من مضار التقليد	١٠٤
احكام بعض الوصايا	١٠٦
سؤال الله للرسول عما اجيبوا به	١٠٩
سؤال الحواريين انزال مائدة من السماء	١١٢
تقرير الله لعيسى	١١٤
سورة الانعام - الله خالق كل شيء	١١٦
الله يعلم السرّ والنجوى	١١٨
عجرفية العوام	١٢٠
العبرة والاعتبار	١٢٣
البرهان على وجود الصانع	١٢٥
الله هو القادر على كل شيء	١٢٧
افتراء المشركين على الله	١٣٠
عناد المشركين مع نبي الاسلام	١٣٢
العقيدة بالمعاد وازع عن المعاصي	١٣٦
اعراض الأمم ثقيل على الانبياء	١٣٨
عوالم الدواب والطيور	١٤١
لا يدعى غير الله	١٤٤
اختبارات الله لعباده	١٤٦
حقيقة النبوة	١٥٠
من دعائم الرسالة الانذار	١٥٣

العنوان	الصفحة
المقبل على الله يقبل الله عليه	١٥٦
المجامله بضرر الحق كفر	١٥٨
عنده تعالى مفاتيح الغيب	١٦٣
المنجى من الورطات هو الله	١٦٥
حرمة الاشتراك في حديث الباطل	١٦٧
لا يفلح المغرور بنفسه	١٧٠
لزوم تحرى الحقيقة	١٧٣
مقالة ابراهيم لأبيه آزر	١٧٥
مقالة ابراهيم لقومه	١٧٨
توفيق الله من اراد الموفقيه من عباده	١٨٢
لزوم الاقتداء بالانبياء	١٨٤
القرآن كتاب مبارك	١٨٧
حاجة كل ممكن الى الله سبحانه	١٩٠
الله فالق الحب والنوى	١٩٢
انواع من نعم الله	١٩٤
صفحة من جهل المشركين	١٩٦
يجب المضى على الحق ومهما كلف الأمر	٢٠٠
السياب شيمة الجهلة	٢٠٢
المعجزات بيد الله	٢٠٤
الجاهل المتمرد لا ينجع فيه شىء	٢٠٧
الله هو الحكم	٢١٠
شىء من احكام التذكية	٢١٢

العنوان	الصفحة
من بعض شرائط الذبيحة	٢١٦
لجاجة المشركين	٢٢١
صراط الله المستقيم	٢٢٣
الدجل و التدليس	٢٢٥
محاسبة الله للغاوى و المغوى	٢٢٧
مهمة الانبياء و العلماء التذكير	٢٣٠
من جهل المشركين	٢٣٢
الزام الواجدين بمواساة المساكين	٢٣٧
بيان جملة من محرّمات الأكل	٢٤١
بيان جملة ممّا حرم على اليهود وعلى غيرهم	٢٤٤
الجبر و التفويض	٢٤٥
جملة من تقارير قيّمة	٢٤٨
تمجيد الله بكتب السماء	٢٥٣
فضل الله و عدله	٢٥٧
سورة الاعراف - الدعوة الى الحقيقة فيها جهد	٢٦١
آيات للعبارة	٢٦٤
خلقه آدم	٢٦٥
تهديد ابليس للبشرية	٢٦٨
طرده سبحانه لأبليس	٢٧٠
اغراء ابليس لآدم و زوجته	٢٧٢
المؤمن لا يوالى الشيطان	٢٧٥
امر الله بالقسط	٢٧٧

العنوان	الصفحة
الله لم يشتط بعباده	٢٧٩
جملة مما حرم الله	٢٨١
افتراء الكذب على الله	٢٨٤
الظلم انواع	٢٨٥
لعن الظلمة بعضا لبعض	٢٨٧
الفقيه الصدق من هو	٢٨٩
المؤمن العامل للصالحات هو مستحق الجنة	٢٩١
مطارحة اهل الجنة لأهل النار	٢٩٤
مطارحة اصحاب الأعراف	٢٩٦
المقارنة بين مقامات اهل الجنة و النار	٢٩٨
كتب الله اقوم حجة	٣٠٠
الله خالق كل شيء	٣٠٤
البلد الطيب و البلد الخبيث	٣٠٧
نوح شيخ الانبياء	٣١٠
هود اخو عاد	٣١٣
صالح اخو ثمود	٣١٦
لوط وقومه	٣١٨
شعيب و مد بين	٣٢٠
الله لم يبارح اتمام الحجة	٣٢٤
ماذا يصلح المجتمع	٣٢٦
للعبرة و الاعتبار	٣٢٨
موسى و فرعون	٣٣٠



العنوان	الصفحة
سحرة فرعون	٣٣٣
عصا موسى	٣٣٤
تهديد فرعون لبني اسرائيل	٣٣٧
ابتلاء الله لآل فرعون	٣٣٩
اغراق آل فرعون	٣٤١
طلب بني اسرائيل نصب صنم يعبدونه	٣٤٣
مواعدة الله لموسى	٣٤٥
ما هو محتويات الألواح	٣٤٨
عجل السامرى	٣٥٠
رجوع موسى من ميقات ربّه	٣٥٢
تمجيد الله نبي الاسلام	٣٥٦
دعوة الاسلام عامّة	٣٥٧
استسقاء موسى لقومه	٣٥٨
السبت عند اليهود	٣٦٠
مسخ جملة من اليهود قرودا	٣٦٢
رفع الجبل فوق رؤس الاسرائيليين	٣٦٦
مصير الجاهل المتمرد	٣٧١
دوابّ البشرية	٣٧٢
اختيارات الله لعباده	٣٧٤
المخلوق ملك ربّه	٣٧٦
انما تجوز عبادة الله وحده	٣٧٨
العفو وفعل المعروف و الأمر به من أحسن الأخلاق	٣٨١

العنوان	الصفحة
المتقى مستبصر	٣٨٤
اقسام الناس الثلاثة	٣٨٥
لزوم الاستماع للقرآن و الانصات له	٣٨٧

\* \* \* \* \*







WERT  
BOOKBINDING  
Grantville, Pa.  
JULY - AUG 1994  
We're Quality Bound

Princeton University Library



32101 057496976